رودلف بلوم

الببليوجرافيا

بحث فى تعريفها ودلالاتها

ترجمة الدكتور شعبان عبد العزيز خليفة

الدار المصرية اللبنانية

الببليوجرافيا

بحث فى تعريفها ودلالاتها

الناشر : الدار المصرية اللبنانية
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع: ٨٩٥٤ / ١٩٩٦
الترقيم الدولي: 8 - 290 -270 - 977
طبع: آمون
العنوان: ٤ فيروز - متفرع من إسماعيل أباظة
تليفون: ٣٥٤٤٣٥٦ - ٣٥٤٤٥١٧

الطبعة الأولى: جمادى الأول ١٤١٧ هـ.ستمبر ١٩٩٦م

رودلف بلوم

الببليوجرافيا

بحث فى تعريفها ودلالاتها

ترجمـة

الدكتور شعبان عبد العزيز خليفة

النـــاشر
الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم المترجم

من بين الببليوجرافيين فى العالم يتميز الببليوجرافيون الألمان والإنجليز على وجه الخصوص. وعلى رأس الببليوجرافيين الألمان يبرز إثنان هما رودلف بلوم وجورج شنيدر باسهاماتهما العديدة والعميقة فى هذا العلم الحيوى. ومن بين اسهامات رودلف بلوم بحثان رائعان أحدهما عن «كاليماخوس أمين مكتبة الإسكندرية القديمة ودوره فى الببليوجرافيا» وثانيهما الذى ننقله الآن إلى اللغة العربية وهو بعنوان «الببليوجرافيا: بحث فى تعريفها ودلالاتها».

وتتسم كتابات بلوم عموماً وهذا الكتاب على وجه الخصوص بميله نحو التحليل والتأويل والتفسير والنفاذ فيما وراء الظواهر والمؤشرات واستجلاء العلل والعوامل الكامنة، أكثر من ميله نحو الوصف والسرد والتسجيل؛ ومن هنا فإن كتابات بلوم تخاطب الفطنة والذكاء.

يتناول البحث نقطة صغيرة جداً فى بحر علم الببليوجرافيا الواسع ألا وهى المصطلح نفسه: كيف نشأ، كيف تطور، ماهى مدلولاته وما هى محتوياته؛ مما يعتبر البوابة الطبيعية لفهم المجال كله وليس فقط المصطلح. ومن هنا فإن هذا الكتاب يدخل فى باب الأمهات.

ونظراً لأننى اشتغلت بهذا العلم ردحاً طويلاً من الزمن واتصلت فيه بالمئات من الكتب والدراسات التى نشرت فيه، وقارنت وحللت فقد شعرت بأن هذا

البحث من العمق والاحاطة والشمول بأصول المصطلح بحيث لاينبغى أن يفوت علينا نقله إلى اللغة العربية، التى تقل بل وتندر فيها مثل هذه الأعمال.

لقد كتب هذا البحث أصلاً باللغة الألمانية وترجم إلى اللغة الانجليزية، وقد نقلته أساساً عن الطبعة الانجليزية إلى العربية ولكنى كنت أرجع من حين إلى آخر للأصل الألمانى لاستيضاح بعض المصطلحات أو عناوين الكتب أو التعبيرات حيث كانت الانجليزية فى بعض المواقف تفشل فى نقل مقصود المؤلف أو التعبير الدقيق عن الفحوى. إن لغة الكتاب الأصلية هى الألمانية حقاً، بيد أن الكتاب قد حوى مئات من التعبيرات والمصطلحات باليونانية واللاتينية والفرنسية والألمانية مما ألقى علىّ عبئاً كبيراً فى عملية الترجمة حيث كان من الضرورى الرجوع إلى العديد من قواميس تلك اللغات سواء الأحادية أو الثنائية أو المتعددة للترجمة الدقيقة والمقارنة.

والحقيقة أننى لم أتصرف فى نص الكتاب إلا فى أضيق نطاق، ذلك أننى لو نقلت النص حرفياً لأسأت اساءة بالغة إلى المعنى، ومن ثم كان حرصى على المعنى أكثر من حرصى على النص. وهذا البحث ينفر بطبيعته من أن يكون محلاً للترجمة الحرفية. ومن هنا أيضاً كانت مراوحتى بين الطبعتين الألمانية والانجليزية؛ ولم أشأ فى نفس الوقت بيان الفروق بينهما فليس هذا من شأن الترجمة، إنما دأبها عندما تنقل عن لغة وسيطة أن تنقل روح النص دون تشتيت للقارئ فى متاهات المقارنة بين الأصل والوسيط؛ فالترجمة إلى العربية كانت ترجمة وظيفية أكثر منها ترجمة مورفولوجية.

ولأن هذا البحث عميق مستفيض، رجع فيه صاحبه إلى مئات من المصادر رغم صغر حجمه، وأشار إلى كل مصدر بالبيانات الببليوجرافية الكاملة والصفحات التى استقى منها مادته، وأورد تعليقات شخصية وشروحاً ربت فى مجموعها على ستمائة وثلاثين حاشية واستشهاداً رقمت فى النص؛ فقد رأيت

لتمام الفائدة من الترجمة أن أبقى على الترقيم فى النص والحواشى فى نهاية النص كما هما، كما أوردت قائمة مصادر البحث الأصلى بتمامها.

وإنى إذ أقدم هذه الترجمة إلى الباحثين وطلاب العلم العرب فى مجال البيليوجرافيا لأرجو أن ينتفع بها.

والله سبحانه من وراء القصد،

د. شعبان عبد العزيز خليفة

الجيزة ١٩٩٦

* * *

الفصل الأول

مقدمة

مقدمة

يوجد فى معظم اللغات الأوروبية «مصطلح فنى» مشتق بطريق مباشر أو غير مباشر من المصطلح اللاتينى «ببليوجرافيا» كما هو الحال فى اللغة الألمانية والانجليزية والفرنسية والإيطالية والروسية. . وتصر كل المصادر الألمانية تقريباً على أن التعبير «ببليوجرافيا» مشتق من اللغة اليونانية ويعنى «وصف الكتب». ومع ذلك فإن المفهوم الشائع عن المصطلح أنه يعنى قائمة بالكتب أو غيرها من الإنتاج الفكرى ونظرية أو إعداد تلك القوائم. ومع ذلك فليست كل ببليوجرافية يطلق عليها هذا الاسم، فبعض الببليوجرافيات قد يعنون بعنوان «مكتبة». وتقوم وجهة النظر هذه على أساس أن الببليوجرافيا هى علم قوائم الكتب وقوائم الإنتاج الفكرى بعامة. وفى تلك المصادر تذكر الببليوجرافيا ـ بين أشياء أخرى ـ على أنها الوصف الفعلى للكتب. ومن النادر فى الكتب المرجعية والكتب الدراسية الخاصة بالببليوجرافيا فى ألمانيا أن يذكر أن للببليوجرافيا معنى آخر هو «معرفة الكتب».

وفى كل مكان فإن المصطلح المشتق من كلمة «ببليوجرافيا» يحمل نفس المعنى الألمانى مع الاستثناء بأن التركيز أحياناً يراوح بين فكرة «وصف الكتب» و«معرفة الكتب» أكثر من نظرية قوائم الإنتاج الفكرى. وفى خلال القرن التاسع عشر أطلق مصطلح «ببليوجرافيا» كذلك على علم الكتاب وتنظيم المكتبات فى فرنسا

ودول أخرى غيرها. وفي الوقت الحاضر نادراً ما يستخدم المصطلح بهذا المعنى الواسع. ومع ذلك فإنه في الاستخدام البريطاني يطلق جزء من هذا العلم على «الكتاب وتاريخه» وهو «الببليوجرافيا التاريخية». كما أن هناك استخداماً انجليزياً خاصاً للمصطلح هو «الببليوجرافيا النقدية»، أى تاريخ النصوص وتحليل طريقة نقل الفكر. وهذا هو ماحدا بكاتب مثل بيير كارون إلى أن يكتب في سنة ١٩٣٩ «إن معنى مصطلح ببليوجرافيا هو معنى فردى ويختلف من دولة إلى أخرى»(١).

ماهو المعنى المحدد للمصطلح؟ ولماذا كانت له معان أخرى؟ هذه الأسئلة ليس من السهل الإجابة عليها؛ ولا يستطيع مؤلفو الكتب الدراسية القياسية الإجابة عليه في غياب الدراسات المبدئية. ومن هنا فإن البحث الحالي يسعى إلى استجلاء المعاني المختلفة المتعاقبة لمصطلح ببليوجرافيا عبر القرون: كيف كانت الببليوجرافيّة الفردية تعنون، ماذا كانت دلالة الفئة بأكملها وأكثر من هذا كله كيف توسع مفهوم الببليوجرافيا وكيف اكتسب المصطلح مدلولاته الضيقة والواسعة. ولا يمكن للمرء أن يفصل تاريخ الكلمة ومعناها عن مفهومها ودلالتها فهي جميعاً مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الببليوجرافيا نفسها. ومن هذا المنطلق كان على هذا البحث أن يضع تطور الببليوجرافيا موضع الاعتبار بصفة مستمرة.

إن قلة قليلة من الببليوجرافيين فقط هم الذين اهتموا بتأريخ الببليوجرافيا تخصصهم ونادراً ما وجدت مساعدة من أعمالهم في بحثي هذا. ذلك أن الجانب الأكبر من تاريخ الببليوجرافيا الذى كتبته لويزا ـ نويل مالكليس قد بنى على معرفتها المستفيضة بالقوائم القديمة والحديثة على السواء. وطالما أن الباحثين في أوروبا الغربية والوسطى لم يحددوا نظرية ومصطلح ببليوجرافيا تحديداً قاطعاً إلا مؤخراً فقد اتبعت مفاهيمهم وممارساتهم. وعندما درست الببليوجرافيين الألمان في القرون الباكرة أدركت تماماً العلاقة المفقودة بين الببليوجرافيا وتاريخ المعرفة. وقليلون هم الذين يتذكرون أن «التاريخ الفكرى» ـ تاريخ العلوم ـ كان مقرراً يدرس في كثير من المدارس العليا والجامعات الألمانية منذ منتصف القرن السابع عشر وحتى مطلع القرن التاسع عشر. أما الآن فإن التاريخ الفكرى قد طواه النسيان تقريباً ووزعت أهدافه على المجالات المختلفة كل على حدة. ومن بين

فروعه فقط تاريخ الأدب الذى مايزال يدرس كموضوع مستقل الآن. وطالما أن تاريخ التعليم كجزء من التاريخ الفكرى كان لابد من أن يكتب فقد حاولت أن أبين ذلك عندما تعرضت لمؤسسات التعليم العالى الألمانية فى الماضى. وهذه مجرد تذكرة لاتخلو من فائدة للاتجاه الحالى نحو تدريس الببليوجرافيا فى علاقتها بكل مجال فردى على حدة.

إن تركيز هذا البحث سوف ينصب على قوائم الكتب أو الإنتاج الفكرى التى تسمى عالمياً بالببليوجرافيات. وهؤلاء العارفون بالببليوجرافيات سوف يدركون بالضبط أى نوع من القوائم نعنى، بيد أن المرء سوف يبحث عبثاً عن التعريف الدقيق لقائمة الكتب أو الانتاج الفكرى التى يمكن أن تسمى «ببليوجرافيّة» ذلك أنه ليس من السهل حقيقة أن نعرف على وجه الدقة ماهى الببليوجرافية، ومع كل فإن ذلك لا يمنعه من المحاولة.

فالببليوجرافيّة هى قائمة بالمنشورات المتعلقة بطائفة معينة، أعدت لتفصح عن صدورها ولتصفها. والخصائص المشتركة بين المفردات المدرجة فى القائمة قد تكمن فى انتمائها لنفس المؤلف أو الموضوع أو اللغة أو النوع، أو نفس الدولة التى نشرت فيها أو السنة التى ظهرت فيها.. الخ. وطبقاً للخصائص الأساسية قد تشكل المفردات المدرجة طائفة من «الابداعات الفكرية» قائمة بذاتها أو انتاجاً طباعياً. ولا يهم فى هذا المقام أن تصدر تلك القوائم مستقلة (منفردات) أو كجزء من كل (مقالات فى دوريات). ولا يهم كذلك طريقة الوصف ومداه، لأنها ذات قيمة ثانوية.

فالمفردات قد تتوالى فى قائمة بسيطة سلسة على هيئة ببليوجرافيّة حقيقية بشروح وتعليقات أو بدون، وقد ترد المفردات كجزء من مقال ببليوجرافى بعرض أو يقيم محتوياتها؛ كذلك قد ترد المفردات على هيئة دليل أو تقرير عن الإنتاج الفكرى فى الموضوع. هناك أشكال كثيرة للببليوجرافية تتدرج من تلك التى تدرج العناوين بأقصى درجة من الشمول ولكن بدون شرح وتعليقات؛ إلى تلك

القوائم التى تنتقى وتصف وتقيم المفردات المدرجة جميعاً. وبصرف النظر هنا عن التفاوتات الواسعة فى ترتيب المفردات فيها. إن الهدف من تجميع المفردات هام وهو بالدرجة الأولى الاعلان عن صدور المنشورات فى طائفة معينة وبعبارة أخرى، إعلام المستفيدين المحتملين بالمنشورات فى مجال اهتمامهم. أما كيف يستفيد هؤلاء القراء من تلك الببليوجرافيات : فإن بعضهم سوف يحصل منها على معلومات عن الإنتاج الفكرى الحديث أو القديم فى مجال معين، والبعض الآخر قد يحصل على تفاصيل دقيقة عن طبعات معينة من ذلك الانتاج.

والفهارس هى الأخرى قوائم بالكتب ولكنها مع ذلك تصف الأعمال الفكرية المقتناة فى مكان معين؛ وعلى سبيل المثال الكتب فى مكتبة أو متجر كتب بذاته؛ بينما البيليوجرافيات تضم الأعمال المنشورة فى مجال معين على اطلاقها دون التقيد بوجودها فى مكان ما. ولهذا السبب فإنها تعد من أهم أدوات البحث العلمى. ويغدو دورها كدليل إلى المعرفة المسجلة وأنواعها العديدة المتشعبة أكثر أهمية مع تضخم الانتاج الفكرى. والمجتمع الحديث يحتاج دوماً إلى المعلومات المتجددة عن الإنتاج الفكرى الجارى. وبمساعدة الحاسب الآلى سوف تكون لدينا القدرة فى المستقبل، قدرة لا نحلم بها، على تحقيق الحاجة إلى المعلومات. إن استخدامه لن يجعل تسجيل الإنتاج الفكرى زائداً عن الحاجة لأن المواد سوف تستمر فى الظهور ولكن فى أشكال أخرى.

لقد يغلب على البيليوجرافيات أن تسمى قوائم الكتب على الرغم من أنها قد تدرج أوعية أخرى أكثر من الكتب، وعلى الرغم من أنها ليست القوائم الوحيدة بالكتب. ولكن عندمايكون الأمر متعلقاً بالببليوجرافيات القديمة فإن ذلك يكفى؛ فحتى مطلع القرن التاسع عشر كانت المطبوعات المستقلة ـ وخاصة الكتب ـ فقط هى التى تدرج فى تلك القوائم. وحتى مطلع القرن التاسع عشر كانت المطبوعات المستقلة تتفوق على كل المواد فى القوائم. وعلى العموم فإن قائمة الكتب لهذا السبب كانت تفهم على أنها ببليوجرافية إلا إذا كانت تمثل مجموعات مكتبة معينة ومن ثم فإنها تشكل «فهرساً». إن بعض البيليوجرافيات الحديثة

تتضمن مطبوعات غير مستقلة مثل مقالات الدوريات إلى جانب الكتب أو تتألف فقط من تلك المطبوعات غير المستقلة. وكثير من مؤلفى القرن العشرين لهذا السبب لا يسمون هذه الببليوجرافية وأية ببليوجرافية «قائمة كتب» ولكن يسمونها قائمة الانتاج الفكرى أو قائمة الكتابات. وهذا المصطلح الأخير «قائمة الكتابات» أفضل من سابقه لأن «الكتابات» اسم جامع يدل على أن المطبوعات المدرجة تدور فى فئة أو طائفة. ومبكراً فى سنة ١٨٢٣ تحدث ادولف إيبرت عن «الكتابات» كمادة أو موضوع للببليوجرافيات[٣].. ومع هذا فإن المرء يجب أن يضع فى اعتباره أنه تحت هذا المصطلح تقع ليس فقط فئات الأعمال العلمية والأدبية ولكن أيضاً كل الأعمال المطبوعة والمنشورة فى وحدات ببليوجرافية[٤].

وأخيراً هناك بعض الملاحظات القليلة التى تتعلق بالببليوجرافيا كوصف للكتاب. ففى أيامنا هذه فإن وصف كتاب مايجب أن يتضمن محتويات الكتاب، مكان وتاريخ النشر، عدد الصفحات والحجم؛ كما يجب أن يتضمن تفاصيل العمل المنشور والطبعة موضوع الوصف والفروق بينها وبين غيرها. إن وصف الكتب المنشورة فى قطاع معين سوف يمثل كما شرحنا سابقاً «ببليوجرافية» بنفس معنى قائمة الكتب، ومن هنا يمكن أن نقول وصف الكتب بنفس معنى إدراج الكتب فى قائمة.

إن إعداد الببليوجرافية يمكن أن يمر بثلاث مراحل: جمع المفردات ذات الصلة بالمجال؛ وصف تلك المفردات؛ ترتيب تلك المفردات. والخطوة الأولى ـ جمع المفردات ـ هى أهمها جميعاً. ولكننا هنالن نعول عليها كثيراً لأنه بالنسبة لبحثنا هذا فإن الخطوتين الثانية والثالثة هما الأكثر صلة. وليس من الصعب وصف الأعمال التى جمعت إذا كان لها صفحات عنوان معتمدة تشتمل على البيانات الضرورية وإلا اضطر المرء إلى بحث مكثف عن تلك البيانات؛ وهو مايحدث عادة بالنسبة للأعمال القديمة. إن الببليوجرافى الذى يصف مطبوعات القرون الباكرة وخاصة الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر، غالباً مايغوص فى تفاصيل المحتويات ومكان وتاريخ النشر. وربما نصادف مشكلات مماثلة بطبيعة

الحال فى المطبوعات الحديثة ولكنها قليلة ونادرة عموماً. إن البيانات على صفحات العنوان، يجب أن تراجع دائماً وفى حالة الضرورة يجب أن تستكمل وتصحح بمساعدة الببليوجرافيات الأخرى. وإن القواعد الدقيقة التى تحكم هذا النوع من الوصف لايمكن وضعها آنياً، كما أن طريقة الوصف والخلفية العلمية اللازمة لهذا العمل يمكن أن تكون موضوعاً لعلم قائم بنفسه.

إن وصف الكتب نفسها هو موضوع لقواعد محددة. وعلى الرغم من أن هذه القواعد ليست مطبقة بنفس القدر فى كل مكان، فإنها هى نفسها على وجه العموم المستخدمة فى المكتبات فى الفهرسة الوصفية[٥]. وهنا أيضاً لابد للمرء من اتخاذ قرارات أساسية فيما يتعلق بترتيب المفردات فى الفهرس أو الببليوجرافية المرتبة هجائياً. سواء كان المدخل الرئيسى للمطبوع بالمؤلف الطبيعى أو المعنوى أو بالعنوان وأى شكل للاسم سوف يستخدم وأيها الشكل الصحيح وماهى العوامل التى تحكم ذلك كله.

إن الخطوة الأخيرة للعمل الببليوجرافى هو تنظيم المفردات. والشخص الذى يختار الترتيب الهجائى باسم المؤلف أو العنوان فى حالة الأعمال مجهولة المؤلف يتبع بصفة عامة الطريقة المتبعة فى فهارس المكتبات. والببليوجرافيون الذين يفضلون ترتيب المفردات ترتيباً منهجياً (طبقاً لتنظيم المعرفة أو هجائياً برؤوس الموضوعات) يسيرون فى خط مواز للمكتبات أيضاً. وفى حالة الترتيب الهجائى باسم المؤلف أو عنوان العمل يخضع التنظيم لقرار شكل مدخل المؤلف أو العنوان. أما فى حالة الترتيب المنهجى فإن خطة التصنيف أو رؤوس الموضوعات يجب أن تحدد سلفاً، ومن هنا فإن الببليوجرافى الذى لا يقنع بالترتيب الهجائى عليه أن يفكر فى بناء نظام تصنيف أو ينحت رؤوس الموضوعات؛ وهذا العمل من هذه الزاوية يصبح جزءاً هاماً من عملية وصف الكتب، أى جزءاً هاماً فى عملية إعداد قوائم الكتب.

* * *

الفصل الثانى

مصطلح ببليوجرافيا فى العصر القديم

مصطلح ببليوجرافيا فى العصر القديم

فى مجال الاستخدام العلمى يمكن تتبع مصطلح «ببليوجرافيا» حتى النصف الأول من القرن السابع عشر. وعلى الرغم من أن أصول المصطلح معروفة فإن الاشارات المتعلقة به رغم ذلك ليست قاطعة بما فيه الكفاية. وطالما أن المصطلح يتألف من جذعى كلمتين يونانيتين معروفتين جيداً فإن المرء يميل إلى البحث عنه فى كتابات المؤلفين فى العصر القديم. وفى حقيقة الأمر استخدمت الكلمة بواسطة المؤلفين الإغريق فى القرون الثلاثة الأولى من تلك الحقبة. فالكلمة فى ذلك الوقت كانت تعنى نسخ الكتب باليد. ولم يكن قبل القرن الثامن عشر الميلادى حين استخدامت الكلمة للدلالة على عملية تأليف الكتب كنشاط فكرى. ومن حين لآخر يجد المرء الكلمة اليونانية ببليوجرافى للدلالة على كاتب أو ناسخ للكتب(٦).

ولم يقبل الرومان هذه المصطلحات المركبة ولذلك نادراً ما نجدها مستخدمة فى الغرب حتى القرن السابع عشر. وبعض الباحثين فى القرن السادس عشر والسابع عشر الذين أطلقوا على الكاتب أو حتى على الطابع كلمة ببليوجرافى أو سمّوا نسْخ - ونادراً كتابة - الكتب ببليوجرافيا؛ إنما فعلوا ذلك من قبيل التباهى أو التفاخر بثقافتهم الانسية القديمة(٧). وهذا الأمر لا يعنينا هنا. لقد ظهر استخدام جديد للمصطلح ببليوجرافيا فى القرن السابع عشر. والباحثون الذين استخدموه

للمرة الأولى بالمعنى الجديد قصدوا، ليس كتابة الكتب، ولكن وصف الكتب. لقد رصد المصطلح نشاط أو على الأصح نتيجة وصف الكتب. ومن هنا أطلقوا على العمل الذى يصف الكتب «ببليوجرافيّة» بصرف النظر عما إذا كان هذا العمل على شكل مقالة أو قائمة. وفى مطلع القرن الثامن عشر كان مصطلح ببليوجرافيا يستخدم على غرار مصطلح جغرافيا والمصطلحات الشبيهة، كما كان يستخدم للدلالة على معرفة الكتب. ولكننا هنا أيضاً نستبق الأحداث. إن النقطة الحالية هى تفحص الفروق بين الببليوجرافيا فى العالم الاغريقى والببليوجرافيا فى القرن السابع عشر والثامن عشر. فالجذع الاغريقى «جراف» يعنى جزئياً الفعل يكتب وجزئياً الفعل يصف حسب التركيب كما يعنى من جهة أخرى الفعل يقارن. بينما يمكن تركيب جذوع أخرى مع هذا الجذع «جراف» للدلالة على فعل واحد وإذا ركبنا الجذع ببليو مع جراف فإن معنى النسخ والوصف يتحققان معاً. ومع هذا فإن الاغريق لم يستفيدوا من المعنى الثانى (الوصف) حتى لا يحدث سوء فهم ويختلط المعنيان. ومن هنا فإنهم لم يستخدموا كلمة ببليوجرافيا بمعنى وصف الكتب أو معرفة الكتب. لقد كانوا على وعى بمفهوم «معرفة الكتب» ولكنهم لم يستخدمواكلمة ببليوجرافيا للدلالة عليها(٨).

ومن هنا فليس صحيحاً تماماً أن ندعى بأن مصطلح ببليوجرافيا هو مصطلح اغريقى والأصح القول بأن المصطلح يتألف من جذعى كلمتين يونانيتين، ولم يقم الاغريق أبداً بمزج هذين الجذعين للدلالة على ما استخدما له فى القرنين السابع عشر والثامن عشر بعد الميلاد.

* * *

الفصل الثالث

بداية الببليوجرافيا وتسميات الببليوجرافيات خلال القرن السادس عشر والسابع عشر

بداية الببليوجرافيا وتسميات الببليوجرافيات خلال القرن السادس عشر والسابع عشر

يؤكد مؤرخو الببليوجرافيا على حقيقة أنه كانت هناك فى العصور القديمة بالفعل قوائم بالكتب شبيهة بالببليوجرافيات الحالية[٩]. والانتاج الفكرى القديم يضم مسوحاً مختلفة تتعلق بفئات المؤلفين وأعمالهم الفكرية. وهناك إشارات متفرقة إلى قوائم مستقلة بالأعمال الفكرية فى مجال محدد[١٠]، ثم تجميعها لإعلام المستفيدين المعنيين بالمجال. ولكن مما يؤسف له أن تلك القوائم قد فقدت بالكامل. ولعل أهم إنجاز ببليوجرافى تم فى العصور القديمة هو تلك القائمة التى حصرت المؤلفين الإغريق وأعمالهم المسماة بالألواح (الخشبية) Penakes والتى أعدها كاليماخوس فى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، وذلك من واقع مقتنيات مكتبة المتحف بالاسكندرية. وكل ما نعرفه عن هذه القائمة هو إطارها العام فقط[١١]. ولقد حصلنا على معلومات أكثر عن ببليوجرافيات متواضعة من العصور الوسطى لباحثين احتذوا الببليوجرافيات التى أنتجت فى العصور القديمة. والتاريخ الحقيقى للببليوجرافيات يبدأ فقط بعد نصف من اختراع الطباعة على يد يوحنا جوتنبرج. ذلك أنه عندما انتشرت الطباعة، وأنتج المزيد والمزيد من الكتب، أصبح الباحثون فى حاجة إلى أدوات تعلمهم عن المؤلفين ومطبوعاتهم. وهكذا فإنه فى ختام القرن الخامس عشر بدأ ظهور وصدور الببليوجرافيا[١٢].

وبواكير هذه الببليوجرافيات كانت عبارة عن معاجم عالمية بالمؤلفين الذين نشروا في جميع فروع المعرفة البشرية وقد رتب هؤلاء المؤلفون إما زمنياً وإما هجائياً مع تسجيل تواريخ الميلاد والوفاة وعناوين أعمالهم. وإلى جانب تلك الببليوجرافيات الحيوية ظهرت هناك ببليوجرافيات متخصصة رتبت مفرداتها ترتيباً منهجياً. وقبيل منتصف القرن السادس عشر قام كونراد جزنر ـ وهو فيزيائى من زيورخ وباحث فى العلوم الطبيعية ـ بنشر ببليوجرافية عامة مستفيضة. وتألفت هذه الببليوجرافية من جزأين. تضمن الجزء الأول منها أسماء المؤلفين: اليونان ـ اللاتين ـ العبرانيين في سياق هجائى واحد مع تاريخ الميلاد والوفاة وعناوين أعمالهم ومقتطفات منها وتعليقات عليها. والجزء الثانى أعاد فيه ترتيب نفس الأعمال مع إضافات قليلة ترتيباً مصنفاً. وقد نالت ببليوجرافية جزنر الإعجاب واعتبرت نموذجاً لقائمة بالكتاب وأعمالهم. وقد عنونت الببليوجرافية فى جزئها الأول بعنوان الببليوجرافية العالمية(١٣). وفى جزئها الثانى بعنوان ملحق الببليوجرافية العالمية :ـ

- Bibliotheca Universalis Sive Catalogus Omniun Scriptorum (Zürich 1545)

- Pandectae Sive portitiones Universales (Zürich 1545)

ومن حسن الحظ أنه قد وصلنا من الجزء الأول أربع طبعات قصيرة من الجزء الأول وهى لسوء الحظ طبعات غير رسمية بعنوان Epitome Bibliathecae Universalis وقد جرى تلحيقها فى سنوات ١٥٥١ و ١٥٥٥ و ١٥٧٤ و ١٥٨٣. هذه الطبعات المختصرة سهلت انتشار العمل ورغم ذلك فإن كثيراً من الببليوجرافيين لم يحذ حذو جزنر فى منهجيته. فلم يقم خلفاؤه بوصف الطبعات المختلفة من الأعمال التى يدرجونها بل اقتصروا على المؤلفين والعناوين فقط. وقدموا معلومات تجيب على سؤالين فقط هما: ماذا كتب مؤلف معين؟ وماذا كتب عن موضوع بالذات؟ بيد أن جزنر لأسباب عملية وصفها بالتفصيل فى مقدمة عمله وأعطى تفصيلات عن كل عمل أدرجه : أين، متى، من نشر كل كتاب، التوريق

بالكامل (عدد الأوراق + الحجم)، تلك البيانات التى تعتبر الآن من الأساسيات. ولم يرتبها فى نظام واحد تحت كل عمل، ولكنه رتبها حسبما ورد على صفحة العنوان، كى تعكسها عكساً دقيقاً.

وفى نفس السنة التى نشر فيها جزنر الجزء الثانى (١٥٤٨) قام جون بيل John Bale بنشر ببليوجرافية خاصة بالمؤلفين البريطانيين وأعمالهم بعنوان:

Illustrium majoris Britanniae scriptorum summarium. Ipswich, 1548.

وكانت هذه الببليوجرافية بداية سلسلة لا نهاية لها من الببليوجرافيات الوطنية، والاقليمية والمحلية التى تحصر المؤلفين وأعمالهم فى تلك الأنطقة. وعلى سبيل المثال فقد قام أنطون فرانسسكو دونى بعد سنتين بنشر ببليوجرافية خاصة بالمطبوعات المنشورة باللغة الوطنية فقط (الإيطالية)[١٤] :

Anton Francesco Doni : Libreria. Venice, 1550.

ويعد أن نشر أنطونيوس سينيس الببليوجرافية الراجعة الشهيرة :

Antonius Senensis = Bibliotheca Ordinis Fratrum Praedicatorum. Paris, 1585.[١٥]

وذلك كملحق لعمله الشهير الخاص بالكتاب الدينيين Chronicom Fratrum ordinis praedicatorum، بعد هذا بدأ نشر ببليوجرافيات راجعة من كل الأنواع : عامة، موضوعية، وطنية، دولية.

وعرفت ألمانيا الببليوجرافيات الدورية فى النصف الثانى من القرن السادس عشر فقد تطورت الكتالوجات النصف سنوية المصنفة (Messekataloge) من مجرد قوائم كتب فى معارض فرانكفورت وليبزج موسمية إلى قوائم ببليوجرافية دائمة مستقلة تحصر كل الكتب الجديدة فى جميع موضوعات المعرفة من كل الدول. فكان الفرق بين هذه القوائم التجارية والقوائم العلمية التى يعدها الدارسون يكمن فى وصف كل الطبعات المدرجة. ومنذ ذلك التاريخ فإن

مايسمى بالبيانات الببليوجرافية، قد أصبح جزءاً أساسياً من خصائص أية ببليوجرافية. ولكن مضى وقت طويل بعد ببليوجرافية جزنر حتى أدرك الناس أن بيانات النشر (المكان، الناشر، تاريخ النشر) وبيانات التوريق، كانت بيانات أساسية لاغنى عنها فى الببليوجرافيات العلمية.

لقد جاء التغيير الهام فى وصف الأعمال المدرجة بالببليوجرافيات العلمية من الببليوجرافيات التى قام بها جاكوب زاناخ:- Jakob Zannach. Bibliotheca theologica. Müblhausen, 1541. (١٦) حين استخدم كلاً من ببليوجرافية جزنر والكتالوج النصف السنوى ونقل البيانات كما وردت فى مصادره إضافة إلى بيانات النشر كاملة وبيانات التوريق. ومن ثم أصبحت هذه الطريقة فى وصف مفردات الببليوجرافيات مقبولة فى القرن السابع عشر.

لقد استخدمت فى القرن السادس عشر عدة تعبيرات كعناوين لقوائم كتب المؤلفين ومؤلفاتهم بصرف النظر عن شكلها ونوعها من بينها:- Catalogus - elenchus - Index - وكثيراً ما استخدم: nomenclator كما أن الاسم الذى أطلقه جزنر على عمله وهو-Bibliotheca - كثيراً ما استخدم بعده من ١٥٥٠ فصاعداً. كذلك أشرنا إلى تسمية الببليوجرافية باسم Libreria تلك التى استخدمها أنطون فرانسيسكو دونى ١٥٥٠ كما أن فرانسوا ديلاكروا دى مين (باريس ١٥٨٤) وأنطوان دى فرديى (ليون ١٥٨٤) سميا الببليوجرافيتين اللتين أعداهما للمؤلفين الفرنسيين باسم المكتبة الفرنسية Bibliothèque Françoise كما قام فرديى بنشر ملحق لببليوجرافية جزنر وملحق آخر لببليوجرافية سينسيس.

كما أن هناك ببليوجرافيات موضوعية أطلق عليها هى الأخرى تسمية Bibliotheca من بينها: -Bibliotheca Medica- التى أعدها Paschalis Gallus ونشرت فى بازل ١٥٩٠ وتلك التى ذكرناها من قبلBibliotheca theolegica - التى نشرها Jakob Zannach . وكذلك الببليوجرافية المتخصصة فى الفلسفة والمعنونة :

Bibliotheca philosophicorum Classicorum authorum Chronologica,

والتى أعدهـا جوهـان جاكـوب فرايز Johann Jakob Fries. Zürich 1592

كذلك فإن كلمته ببلوتيكا Bibliotheca قد استخدمت للأدلة والمجموعات[١٧] ومن الظواهر الملفتة للنظر خلال القرن السابع عشر إطلاق كلمة ببلوتيكا على جميع أنواع قوائم الإنتاج الفكرى[١٨]. واقتصر استخدام كلمة Catalogus على فهارس المكتبات وتجارة الكتب فقط مع وجود استثناءات قليلة. وكانت كلمة Bibliotheca هى التسمية التى تطلق على القائمة الواحدة بينماBibliothecae تطلق على الفئة وذلك فى منتصف القرن السابع عشر. وعندما قام الأب الجزويت Philippe Labbé بتجميع الببليوجرافيات لأول مرة ورتبها هجائياً بأسماء المؤلفين أطلق عليها اسم [١٩] - Bibliotheca Bibliothecarum - وقد نشرت فى باريس ١٦٥٣ كملحق لكتابه Nova Bibliotheca mss Librorum ونشرت مستقلة بعد ذلك فى باريس ١٦٦٤ . وقد أطلق على البليوجرافيين الذين جمعوا الببليوجرافيات من هذا المنطلق اسـم -Bibliothecarii- ولـقد قـام خليـفة Jodocus/ - Labbé Dudinck بتجميع قائمة بأسماء البيليوجرافيين كان من المفروض أن ينشرها -Jodocus Kalkoven فى كولونيا تحت عنوان Bibliothecariographia ولكنه حتى الآن لم ينشر. ولقد حاول الفقيه Johann Heinrich Hottinger (زيورخ) لأول مرة أن يصنف الببليوجرافيات Bibliothecae سنة ١٦٦٤وهو أمر سوف نناقشه بعد. هذه التسمية واستخدامها -Bibliotheca- ترجع إلى جزنر ولبريقه استخدم للدلالة على فئة.

لم يكتف جزنر بتسجيل أسماء المؤلفين وأسماء أعمالهم ولكنه قدم معلومات عن حياتهم ومقتطفات من أعمالهم وتعليقات نقدية عليها. وقد رأى بعض خبراء القرن الثامن عشر لذلك أن الببليوجرافيات التى تشتمل على عناوين المفردات فقط لا ينبغى أن يطلق عليها اسم -Bibliothecae- ولكن فهارس Catalogi أو[٢٠] nomenclatores أى قوائم أسماء. ولكن هـذه الدعـوة لم تستمر طويـلاً ذلك أنـه حتى فى القـرن العشرين كان يطلـق على الببليوجرافيـات الـتى تضم الأسمـاء والعناوين فقط اسم Bibliotheca [٢١] وعلى سبيل المثـال: Bibliotheca

ومع هذا فقد خفت بريق هذا الاسم ولم تعد له جاذبية Philologica classica بعد[٢٢].

ومن المحتمل أن يكون جزنر قد أخذ هذه التسمية Bibliotheca [٢٣] من اسم القائمة التى أعدها بطريرك القسطنطينية (فوتيوس Photius) سنة ٨٥٥ وضمنها ٢٧٩ كتاباً كان قد قرأها وذلك قبل قيامه برحلة دبلوماسية طويلة وقد شرح محتوياتها[٢٤] وأثبت مقتطفات منها وأعطى معلومات بيوجرافية عن المؤلفين وتعليقات نقدية عليها. وقد أعد البطريرك هذه القائمة لأخيه تعزية له عن فراقه وحثاً له على القراءة. ولقد كانت لهذه القائمة أهمية خاصة عند الدارسين لأن كثيراً من الكتب التى ضمت فيها ضاعت. وقد وصل هذا العمل إلى جزنر وكان ينوى نشره[٢٥]. ورغم أن فوتيوس لم يضع العنوان الذى اشتهر به العمل (قائمة وحصر بالكتب التى قرأناها)[٢٦] فقد غلب عليه العنوان الأصلى وهو Bibliotheca الذى استخدمه جزنر فيما بعد[٢٧].

* * *

الفصل الرابع

سك المصطلح الحديث: الببليوجرافيا

سك المصطلح الحديث : الببليوجرافيا

تعتبر : Bibliographia Parisina التى أعدها الأب-Louis Jacob de Saint Charles ونشرت فى باريس سنة ١٦٤٥ هى أقدم ببليوجرافية يطلق عليها اسم ببليوجرافيا. رغم أن تيودور بسترمان ـ الذى يدين له تاريخ الببليوجرافيا الأوربية حتى نهاية القرن السابع عشر ـ أشار إلى كتاب كتبه جابرييل نوديه نشر سنة ١٦٣٣ فى فينسيا باسم Bibliographia Politica وقد ألمح إلى أن وصف الكتب السياسية فى تلك الببليوجرافية لايمثل الاتجاه الببليوجرافى الحديث(٢٨). ونتفق معظم المصادر مع بسترمان فى أن مصطلح الببليوجرافيا الذى استخدمه جابرييل نوديه لوصف الكتب لم يكن مستخدماً قبل Jacob ليعنى قائمة بالانتاج الفكرى.

ومهما يكن من أمر فليس هناك فى مبلغ علمنا أى عمل يحمل فى عنوانه كلمة ببليوجرافيا Bibliographia قبل سنة ١٦٣٣. والسؤال الآن ما الذى دفع نوديه لكى يستخدم هذا المصطلح وما الذى دفع جاكوب للمثل؟ وللإجابة على هذا السؤال لابد من دراسة عمل نوديه عن قرب.

لقد طلب جاكوبو جافاريللى D. Gacopo Gaffarelli إلى صديقه جابرييل نوديه تحديد الكتب الضرورية لدراسة النظرية السياسية فأجابه إلى طلبه باعداد كتابه المعروف Avis pour dresser une Bibliothèque (باريس ١٦٢٧). وكتابه

Addition âl'histoire de Louysxi (باريس ١٦٣٠) وغيرها. وكان قد اشتغل بعد ذلك أميناً لمكتبة الكاردينال مازاران Mazarin [٢٩] وقد فهم النظرية السياسية على أنها كل ما يتعلق بالعلوم السياسية والحكومة والخدمة المدنية والعمل بالمحاكم والبلاطات وعلاقة السلطة بالدين ولذلك جاء العنوان الكامل لكتابة هكذا «وصف الكتب السياسية، حيث معظم مؤلفى السياسة سجلوا ونقدوا» والعنوان باللاتينية والانجليزية Bibliographia politica, in qua plerique omnes ad civilem prudentiam scriptores que racensentur, qua diiudicantur (description of political books where most of the authors on statecraft are listed and evaluated)

ولم يقدم نوديه فى هذا العمل قائمة ببليوجرافية بأسماء الكتب بل قدم نصاً متصلاً (أى دراسة) فقد وضع فى البداية قائمة بالموضوعات التى ينبغى على طالب النظرية السياسية أن يدرسها وحدد المؤلفين الذين تعتبر كتاباتهم ذات أهمية فى هذا الصدد. وكلما كان ذلك ممكناً رتب مادته العلمية تاريخياً. أى أنه قدم المؤلفين فى سياقهم التاريخى وكان دائماً يقدم معلومات عن المؤلفين وكان سخياً فى نقدهم مما وضعه فى مكانة مرموقة بين نقاد الإنتاج الفكرى[٣٠]. ولم يكن نوديه يشير إلى الكتب نفسها إلا إذا كان للمؤلف عدة كتب ولم يكن القارئ على يقين أيها يقصد. ولم يشر نوديه إلى أية معلومات ببليوجرافية أبداً بالمعنى الحديث مثل بيانات النشر أو التوريق[٣١]. ويبدو أنه اعتمد على ذاكرته فقط فى إعداد هذا العمل. ويمكن اعتبار هذا العمل استعراضاً أو مسحاً لأدب الموضوع عرض على شكل مقال ببليوجرافى أو «دليل للانتاج الفكرى فى الموضوع» أكثر منه قائمة ببليوجرافية[٣٢].

لقد نشرت هذه الدراسة أو الدليل عدة مرات لأهميتها العلمية أكثر من أهميتها الببليوجرافية، فقد نشرت أربع مرات فى دارسان ألمانيا وحدها قبل ١٧١٥. من بين هذه الطبعات اثنتان توفر على نشرهما دارسان عظيمان هما: Hermann conring, August Buchner كما ضمنها Lodewijk Elzevier سنة ١٦٤٥ فى مجموعته

الشهيرة De studiis instituendis «الدراسات التربوية» ظهرت ترجمة فرنسية لها فى سنة ١٦٤٢ (٣٣).

لقد كان وقت نوديه هو وقت الرغبة فى الكتابات السياسية(٣٤). والبحث النظرى والتحقيق العملى للنظريات وكانت هناك حاجة فعلية إلى الرجال المثقفين سياسياً. وكان أبناء الطبقة الأرستقراطية والراقية يعدون أنفسهم فى الجامعات لشغل المناصب السياسية ومناصب البلاط ومع انتشار الجامعات ومع اتساع رقعة التعليم العالى، كان هناك المزيد من الكتابات السياسية وبالتالى ظهرت أدلة هذا الإنتاج الفكرى لطلبة الكليات(٣٥) فقد نشر نوديه نفسه مثل هذه الأدلة Syntagma de studio Liberali ونشر فى أوربينو سنة ١٦٣٢(٣٦). ومن ثم يكون نوديه قد تأثر بالنمط الذى كان سائداً آنذاك ألا وهو أدلة الانتاج الفكرى. ولقد وصف عمله فى المقدمة بأنه «قائمة أسماء nomenclature ترتب الكتب التى رأيت أنها تفيد فى تعلم ومعالجة الموضوعات السياسية رتبت بطرقة منهجية». وفى القسم الأول المتعلق بمؤلفى الكتب فى مجال «الأخلاق» يصف نفسه بأنه مرشد أو دليل الأرواح والأنفس. والترجمة الفرنسية لهذا العمل تحمل عنوان :

La Bibliographie politique contenant les livres et la méthode nécessaire a éstudier la politique.

أى« ببليوجرافيا العلوم السياسية : تضم الكتب والأسلوب اللازم لدراسة السياسة». ومن هذا المنطلق وضعها السفير فى مجموعته (رسائل فى التربية) التى أشرنا إليها من قبل. كذلك فإن Burkhard Gotthelf Struve الذى نشر أول ببليوجرافية عن الأدلة سنة ١٧٠٤ اعتبر عمل نوديه من بين الأدلة الدراسية، ولكنه فرق بينها وبين الأدلة القديمة من حيث أنها «لا تكتفى بتقديم الخطوط العريضة للدراسة ولكنها كذلك تقدم معلومات هامة عن المؤلفين الراسخين فى كل موضوع»(٣٧).

ولم يحرص مؤلفو تلك الأدلة على تقديم قائمة بالقراءات المقترحة فى أدلتهم حتى نهاية القرن السادس عشر[٣٨]. ولم تبدأ تلك الظاهرة إلا مع مطلع القرن السابع عشر وعلى سبيل المثال قام كريستوف كولر الأستاذ فى جامعة التدورف Altdorf بإضافة قائمة مقترحة بقراءات فى كل المجالات إلى كتابهEpistola de ordinando studio politico (1602- Hanau) [٣٩]. ولم يظهر دليل دراسى يستعرض الإنتاج الفكرى فى كل المجالات قبل سنة ١٦٣٣ ولذلك فإن العمل الذى قام به نوديه قدم شيئاً جديداً ومع ذلك لم يستطع تسميتها-de studio politico أو Bibliotheca politica . وكان عليه أن يكون عنوان العمل من واقع المحتويات نفسها ولم يكن الأمر باختياره كما لم يقصد إلى ابتداع كلمة جديدة. ومن هنا كان استخدامه لكلمة Bibliographia لأول مرة فى عمل علمى. ولم يقصد الى استخدامها كمصطلح وانما استخدمها ككلمة لغوية يعنى بها وصف الكتب لأن هذه الكلمة كمصطلح له عند الاغريق دلالة مختلفة ولم يخطر لهم الدلالة الجديدة (وصف الكتب) على البال. وكان كل دارس يفهم الكلمة الجديدة بمعناها اللغوى الذى قصد إليه نوديه. ومع بداية القرن السادس عشر بدأ المقطع جرافيا graphia (description وصف) يتحد مع كلمات أخرى ليدل على مصطلح جديد (مثل ology) وأصبح يستخدم فى عناوين الكتب وهاك بعض أمثلة قليلة على ذلك قبل سنة ١٦٣٣ وقليل منها بصيغة الجمع فى المقطع الأول كما هو الحال فى Bibliographia

Prosopographia - Angelopgraphia-

Aenigmatographia - Eclipsiographia -

Stratage matographia - Haligraphia -

وهى جميعا عناوين كتب كما هو الحال فى كتاب نوديه[٤٠].

وبعد عدة سنوات استخدم نوديه كلمة ببليوجرافيا Bibliographia مرة ثانية فى

عمل مشابه للـ Bibliographia politica وهو الـ Bibliographia Militaris والتى أدرجها فى كتابه : Syntagma de studio Militari (Rome, 1637) هذا الدليل بالمطبوعات العسكرية لاقى ترحيباً شديداً فى ألمانيا ولذلك نشر هناك مستقلاً فى جينا ١٦٨٣ (٤١).

* * *

الفصل الخامس

استخدام مصطلح ببليوجرافيا حتى مطلع القرن الثامن عشر

استخدام مصطلح ببليوجرافيا حتى مطلع القرن الثامن عشر

استخدام المصطلح فى ألمانيا

بعد أن نشر عمل نوديه حذا حذوه فى التسمية عديدون فقد أعد هنريش جوليوس شورل Heinrich Julius scheurl كتاباً سماه ببليوجرافيا الأخلاق Bibliographia Moralis (Helmsted 1648): وقد قال فى المقدمة ما نصه «أن هذا العنوان يسعده لأن جابرييل نوديه المثقف استخدمه فى دراسة شهيرة له». وقد قادت هذه العبارة إلى الاستنتاج بأن شورل اعتقد بأن نوديه قد اختار المصطلح السليم لعمله «ببليوجرافيا». وقد كان هذا العنوان مقدمة محاضرة طويلة ألقاها شورل عن عمل بوتيوس المعروف باسم :

Boethius : De consolatione philosophiae

وقد كانت موجهة للطلاب كما كان عمل نوديه، بيد أن عمل شورل كان أقل تفاصيل ببليوجرافية من عمل نوديه وأكثر تفاصيل تاريخية. فلم يكن دليلاً بالمطبوعات فى المجال بقدر ماكان مخططاً تاريخياً عن علم الأخلاق فى العصور القديمة مدعماً بأسماء كتب ومؤلفين. ولقد صدرت طبعة أخرى من هذا العمل سنة ١٦٨٦.

كما نشر عمل آخر مجهول المؤلف في مكان مغمور هو (Germanopoli) ذكر عدة مرات داخل العمل وقد جاء عنوان العمل على النحو الآتى: ببليوجرافية جمعت بعناية فى التاريخ والسياسة وفقه اللغة تبين نقاط القوة والضعف فى كل كاتب، وقد أثبتنا فيها مؤلفات كل كاتب شهير على شكل رسالة بهدف التعليم الجيد للعلوم السياسية»:

(Bibliographia historico - politico - philologica curiosa, quid in quovis scriptore laudem sensuramve mereatur exhibens, cui praefixa celeberrimi cuiusdam viri de studio politico bene instituendo dissertatio epistolica postuma).

ويرى رودلف بلوم أن هذا العمل ربما يكون قد قام به البروفسور صامويل شوتيل Samuel Schottel ونشره Schrey & Hamm فى فرانكفورت أم ماين ويتضمن ثلاثة أعمال غير موثقة. وقد ذكر فى المقدمة أنها «موجهة إلى طلبة علم السياسة» وأنها دليل دراسى مدعم بالمراجع اللازم للقراءات الإضافية وقد وقعت المقدمة التى جاءت على شكل خطاب باسم:.Argentorati J. H. B وهذه الاختصارات كانت لأستاذ شهير فى اشتراسبورج هو جوهان هنريش بوكلر الذى توفى ١٦٧٢ (Johann Heinrich Boecler) والذى حاول أن يدمج دراسات التاريخ واللغة والسياسة.

والجزء الأساسى من هذا العمل عبارة عن دليل بالإنتاج الفكرى فى الفلسفة والأدب والانسانيات. وقد رتبت المفردات طبقاً لخطة جيرهارد جوهانس فوسيوس. وقد جاء التركيز على موضوعات التاريخ والفلسفة أكثر من موضوعات السياسة. والنص غير متوازن ويغلب عليه وجود قوائم بعناوين الكتب على بعضها تعليقات من حين لآخر. ومنذ مطلع القرن الثامن عشر تردد أن هذا العمل كان مذكرات دراسية للبروفيسور بوكلر سابق الذكر ولم يقصد إلى نشرها.

وقد جاء بعد هذا العمل عمل آخر يستحق فعلاً أن يطلق عليه اسم الببليوجرافيا السياسية ولكن أطلق عليه: «المكتبة المضغوطة فى العلوم السياسية: أى عرض ونقد لكتاب السياسة والمنتمين لعلم السياسة وخاصة أصحاب الأهمية التاريخية».

"Bibliotheca politica contacta, hoc est recensus et iudicia de scriptoribus politicis et ad politicam pertinentibus, imprimis autem historicis"

ومؤلفه كان معاصراً وندا للبروفيسور بوكلر وهو جوهان أندرياس بوزيه الذى توفى ١٦٧٤ Johann Andreas Bose الأستاذ فى جامعة جينا وقد نشر هذا العمل فى جينا سنة ١٦٦٨[٤٢] تحت عنوان: علم السياسة المقارن: دراسة تمهيدية بنيت على الكتب والمؤلفين المناسبين للموضوع..

De Comparanda prudentia civili deque libris deque Libris et scriptoribus ad eam rem maxime aptis disseratio isagogica. [٤٣]

ورغم قصور الببليوجرافيا التاريخية اللغوية السياسية (سابقة الذكر) من ناحية بيانات الوصف الببليوجرافى فقد استقبلت استقبالاً حسناً وبسبب أنها كانت مجهولة المؤلف فقد استخدم المصطلح ببليوجرافيا على نطاق واسع فى ألمانيا كعنوان لكثير من الأعمال المماثلة. وقد ظهرت منها طبعة معادة فى سنة ١٦٩٦ ولكن جاء فيها كثير من الأغلاط الطباعية مما حدا بالعديد من الباحثين من بينهم إثنان من الببليوجرافيين الغيورين هما جاكوب فردريش رايمان Jakob Friedrich Reimmann وجوهان جوتليب كراوس Johann Gottlieb Krause أن يقررا إعادة نشر هذا العمل. وقد انتهى كراوس من العمل أولاً وبالتالى عزف الآخرون عن النشر.[٤٤] وقد ظهرت أولى اصدارات كراوس سنة ١٧١٥ فى ليبزج حاملة اسم بوكلر وكانت طبعة جديدة تماماً وجاء العنوان: ببليوجرافيا بوكلر النقدية: مسح منهجى للمؤلفين فى كل الآداب والعلوم، الآن كاملة تحرير وإصلاح ج ج كراوس:

"Jo. He. Boecleri Bibliographia critica scriptores omnium artium atque scientarium ordine percensens nunc demum integra et ememdatius edita... Recensuit Jo. Go. Krause"

ويقول المحرر فى مقدمته كم رغبت في إبقاء كلمة ببليوجرافيا فى العنوان لأن هذا الكتاب الصغير اشتهر فى كل مكان بهذا المصطلح وكم أشعر بأن الكلمة منطبقة بما فيه الكفاية على الموضوع.

وبعد سنة ١٦٩٦ ظهرت ثلاثة كتب أخرى تحمل كلمة ببليوجرافيا وتسير على نفس النمط السابق وقد نشرت جميعها فى ألمانيا:

(١) ببليوجرافيا الأخلاق: فيها استعراض وتقييم لكثير من كتاب علم الأخلاق وخاصة الفرنسيين.

"Bibliographia Ethica, qua nonulli scriptores ethicae praecipue Galli recenstiti et iudicati" (Leipzig 1401)

وقد قام على جمع وإعداد هذه الببليوجرافية كاسبار جوتشلنج ودانيال فدلر Caspar Gottchling وDaniel Fidler وقد أشارا عدة مرات للببليوجرافيا السياسية التى قام بها نوديه وببليوجرافيا الأخلاق التى أعدها شورل.

(٢) ببليوجرافيا علم الطبيعة والطب أعنى دراسة تاريخية للكتب الشهيرة فى الفيزياء والطب والتى وصلتنا من أقدم العصور.

Bibliographia Physico - medica, das ist: historiche Abhandlung derer vohrnehmsten physikalischen und Medizinischen Bücher, Welche von uhralten Zeiten her biss auffuns geschreiben sind...) [Lüneberg 1704]

وقد توفر على هذا العمل هنريش لوهالم ميير Heinrich Lohalm Meyer وقد كان الطبيب الرسمى لأمير برونشفيج - لونبيرج. وكان أول من استخدم كلمة ببليوجرافيا فى مجال العلوم الطبيعية وباللغة الألمانية.

(٣) ببليوجرافيا العصور القديمة أو مقدمة إلى الكتاب الذين سلطوا الأضواء على العلوم العبرية، اليونانية، الرومانية، المسيحية القديمة.

Bibliographia antiquaria sive introductio in notitiam scriptorum qui antiquitates Hebraicas, Graecas, Romanas et Christianas illustrarunt: Hamburg, 1713. 2nd ed. 1716. 3rd ed. 1760).

وهذا العمل قام به جوهان البرت فابركيوس Johann Albert Fabricius وهو نتاج محاضرات ألقاها فى الجوهانيوم Johannium فى هامبورج وهو عبارة عن دليل بأهم المؤلفات عن العصور القديمة وهو يمثل العمل الببليوجرافى خير تمثيل. فقد بدأ نوديه استخدام المصطلح ولكن هذا الرجل ذهب إلى أبعد مماذهب إليه نوديه وجامعو الببليوجرافيات القديمة فقد قدم بيانات وصف هامة (مكان النشر وسنة النشر والحجم) وهو ما نجده الآن شيئاً أساسياً فى الببليوجرافيات الحالية.

لقد نشرت الأدلة الدراسية بطبيعة الحال فى ألمانيا تحت عناوين أخرى(٤٥) ولكن كلمة ببليوجرافيا كانت الأكثر شيوعاً. لقد كان هناك حتى سنة ١٧١٥ نحو ثلاثة عشر دليلاً تستخدمه بما فى ذلك الطبعات الفردية(٤٦) وإلا لم يكن هذا المصطلح ليستخدم فى ألمانيا. وقد استخدم المصطلح ببليوجرافيا منذ ذلك الحين ليدل على الفئة بصرف النظر عن عناوينها أى ليدل على «وصف الكتب» وليدل على «أدلة الإنتاج الفكرى» كنمط خاص من أنماط وصف الكتب ولا نندهش أنه من الآن فصاعداً أطلق على أدلة الإنتاج الفكرى تسمية الببليوجرافيات.

ويمكن تتبع بداية هذا الاتجاه فى كتاب جوتفريد وجنر Gottfried Wegner المسمى: كتاب صغير فى تنمية وتزويد المكتبات Biblidion de bibliothecis per societotem augmendis et collegendis. والذى نشره سنة ١٦٨٦ تحت اسم مستعار (Georg Finwetter) وبدون مكان نشر. وبعد أن ناقش المؤلف قضايا المكتبات عالج المؤلف الأنواع المختلفة من قوائم الكتب

(الببليوجرافياتBibliothecae) وغيرها من المصادر التى تسجل الإنتاج الفكرى، وبدون تفاصيل أشار إلى الأدلة الدراسية حين قال «ولقد قام آخرون بنشر ببليوجرافيات العلوم الطبيعية، والأخلاق، العلوم السياسية والرياضيات».(٤٨) لقد حذا ويجنر هنا حذو فالنتين هنريش فوجلرValentin Heinrich Vogler الذى ناقش فى كتابه: المقدمة الشاملة إلى المؤلفين الممتازين من كل نوع-Introducio universalis in notitiam cuiuscunque generis bonorum scriptorum. Helmstedt, 1670 (٤٩) أدلة الإنتاج الفكرى فى مجالات المنطق ـ الطبيعة ـ الأخلاق ـ النظرية السياسية ـ الرياضيات. ومن بين كل الأعمال التى عددها فوجلر كان هناك عملان فقط أطلق عليهما اسم ببليوجرافيا وهما: Scheurl's Bibliographia Moralis و Naude's Bibliographia Politica وفى نفس الوقت قام تاجر الكتب الهولندى كورنيليس فان بيجيمCornilis Van Beughem ـ وسوف يأتى ذكره ـ باصدار ببليوجرافيا الطب والعلوم الطبيعية Bibliographia Medica et Physica سنة ١٦٨١ بيد أنه لم تنشر أية أعمال تحمل اسم Mathematica: أو Bibliographia Logica ورغم ذلك فقد اعتقد ويجنر أن من الممكن أن يسمى أى دليل بالإنتاج الفكرى ببليوجرافيا طالما أنه يسير فى نفس اتجاه العمل الذى قام به شورل ونوديه.

إن تطور معنى «الببليوجرافيا» والذى بدأ مع ختام القرن السابع عشر تأخر بسبب ظهور ثلاثة أدلة ممتازة أطلق عليها ليس ببليوجرافيا وإنما «مكتبة» فقد قام بوركهارد جوثلف استروف Burkhard Gotthelf Struve أمين المكتبة والأستاذ فى جينا بنشر Bibliotheca ivris Selecta (Jena 1703) تمهيداً لكتابه: Introducio ad notitiam rei Litterariae et usum Bibliothecarum. Jena 1704).

كما نشر Bibliotheca philosophica (Jena 1704) Selecta Bibliotheca, historica (Jena 1705)

لقد كانت هذه أدلة للإنتاج الفكرى فى المجالات المذكورة على شكل مقالات

بناها على محاضرات له. ولقد اختلفت عن الأدلة القديمة فى أنها قدمت بيانات ببليوجرافية عن الأعمال التى عالجتها على نحو ما قام به جوهان ألبرت فابريكيوس فى ببليوجرافيا العصور القديمة التى سبقت استروف بعشر سنوات.

واستروف لم يذكر لنا لماذا سمى هذه الأدلة مكتبات ولم يسمها ببليوجرافيات وربما نبع ذلك من أنه لم يدرك الفرق بين القائمة المجردة (Bibliotheca) والدليل (الببليوجرافيا) الذى يدرس الإنتاج الفكرى ويمسحه وربما يكون قد اعتقد أن البيانات الببليوجرافية التى جاء بها فى أدلته كانت تسير حسبما فى الـ Bibliothecae ذلك أنه قبل نشر أدلته لم يكن ذلك متبعاً فى الببليوجرافيات[٥٠] على الرغم من أن عمل جزنر الشهير المسمى Bibliotheca كانت به مثل تلك البيانات الببليوجرافية وأكثر من هذا فإن عمل بوزيه Bose الذى أشرنا إليه سابقاً طبع مرتين تحت عنوان Bibliotheca politica contracta[٥١] وكما عرف استروف أيضاً أن مصطلح ببليوجرافيا كان معروفاً ومستخدماً فى كل من فرنسا وهولندا وخاصة فى قوائم الكتب غير المشروحة وبالذات قوائم الكتب الجديدة.[٥٢] وفى باريس استخدم المصطلح فى سياق ومعنى جديد بعد نشر أدلة ستروف هذه.[٥٣] وليس معروفاً على وجه اليقين ما إذا كان الألمان فى ذلك الوقت يعرفون كيف يستخدم هذا المصطلح فى الدول الأخرى وقد يعزى التأخر فى هذا الإدراك إلى النجاح الكبير الذى حققته أدلة ستروف وإعادة طبعها مراراً. وكان من تأثيرها على الأعمال المشابهة فى القرن السابع عشر والعقود الأولى من الثامن عشر غلبة اطلاق كلمة Bibliotheca عليها وليس كلمة ببليوجرافيا Bibliographia مع استثناءات قليلة بطبيعة الحال.[٥٤] كما كان من الممكن أيضاً أن تتخذ عناوين أخرى.

لقد عبر Friedreich Reimmann فى كتابه: Versuch einer Einleitung in die Historiam Literarium (Magdeburg. 1708) عن هذه الحالة عندما ذكر من بين المصادر التى يرجع إليها للحصول على معلومات عن الكتب:

Bibliothecas, Bibliothecarios, Bibliographias.

وفى معرض حديثه عن قوائم الكتب فى المجالات الموضوعية المختلفة يسميها ببليوجرافيات. وإذا أمعنا النظر فى تلك العبارات سوف نجد أن كل المصادر التى تمدنا بالمعلومات عن الكتب يمكن أن تسمى ببليوجرافيات (وصف الكتب - أدلة الإنتاج الفكرى - قوائم الانتاج الفكرى - دراسات الإنتاج الفكرى المقالية).(٥٥) ولذلك فإن مؤلف كتاب تحليل الإنتاج الفكرى العالمى: كريستوف أوجست هيومان.Chrisoph August Heumann : Conspectus rei publicae Literariae. Hannover, 1718. عنون الفصل الخاص المتعلق بقوائم الكتب وأدلة الإنتاج الفكرى بعنوان: ببليوجرافيا مختلف المجالاتDe Biliographiis varii generis

وهكذا فإن رايمان وهيومان قد استخدما مصطلح ببليوجرافيا لكل أنواع حصر الإنتاج الفكرى دون النظر إلى عناوين القوائم وبمعنى آخر يمكن القول بأنهما استخدما المصطلح للدلالة على النوع genre.

الاستخدام الفرنسى والهولندى للكلمة

إن كلمة ببليوجرافيا بمعناها العلمى لم تستخدم فى فرنسا أو هولندا أو حتى ألمانيا قبل ١٦٤٠. والأعمال التى كانت يمكن أن نطلق عليها ببليوجرافيات قبل ذلك التاريخ لم تكن أدلة إنتاج فكرى مثل العمل الذى قام به جابرييل نوديه (الببليوجرافيا السياسية). ومع ذلك فقد كان عمل نوديه مقدراً فى بلده كما رأينا من خلال ترجمته إلى الفرنسية ١٦٤٢. ولم يحاول أحد من الفرنسيين تقليد العمل كما لم يهتم به سوى نخبة محدودة من الناس بيد أنه فى سنة ١٦٤٨ نشر فى باريس عمل بعنوان ببليوجرافيا Bibliographia ولكنه كان شيئاً مختلفاً تماماً عن العمل الببليوجرافى. هذا العمل الذى استقبل باهتمام كبير من قبل الدارسين وتجار الكتب حتى خارج فرنسا هو: ببليوجرافيا باريس أعنى فهرس كل الكتب المطبوعة فى باريس خلال سنة ١٦٤٣ و ١٦٤٤ Bibliographia Parisina, hoc est Catalogus Omnium Librorum Parisiis onnis 1643 et 1644 inclusive excussorum والتى توفر على إعدادها -Carmelite Louis Jacob de saint Charles. وكما هو واضح انطوت هذه الببليوجرافية على حصر بالكتب التى

طبعت فى مدينة باريس سنتى ١٦٤٣ و ١٦٤٤. رتبت على المجالات[٥٦] ولقد كان جاكوب صديقاً ومغرماً بـ : نوديه وقد عكف عدة سنوات على تجميع معجم بالمؤلفين الفرنسيين: الببليوجرافية الشاملة للفرنسيين المشهوين بمؤلفاتهم. Bibliotheca Universalis Ommium Galiorum, qui Scriptis Clarue-runt ورغم أنه لم ير نهاية لعمله فقد أغراه نوديه فى سنة ١٦٤٤ بأن ينشر حصراً سنوياً بالكتب الفرنسية الجديدة أى ببليوجرافية وطنية عامة جارية.[٥٧] وقد بدأ بحصر السنتين المذكورتين والذى اقتصر فيه على المطبوعات الباريسية. لقد كانت فكرة حصر المطبوعات المنشورة فى بلد معين فكرة جديدة آنذاك ومع ذلك فلم يكن جاكوب هو أول من قام بها فقبله بعدة سنوات عندماكانت حرب الثلاثين عاماً تستعر فى ألمانيا بدأ تاجر كتب هولندى وباحث بلجيكى فى حصر وتسجيل المطبوعات الهولندية والبلجيكية الجارية. وهما على الولاء: Broer Jansz وMagister Claude Doresmieulx وقبل ذلك كانت هناك محاولات مبكرة من جانب بعض تجار الكتب الانجليز. وكان النموذج أمامهم الكتالوجات الموسمية لمعارض فرانكفورت وليبزج التى كان تجمع كل ستة أشهر وتضم الجانب الأكبر من المطبوعات الألمانية. تلك الكتالوجات رغم أنها كانت دولية فى طبيعتها إلا أنها كانت تقوم بوظيفة الببليوجرافيا الوطنية الألمانية إلى أن فقدت ـ بسبب الحرب ـ أهميتها الوطنية والدولية على السواء. وكان يطلق على القوائم الألمانية والهولندية والانجليزية على السواء اسم الفهارس Catalogus.

وكيف تأتى لجاكوب أن يطلق على قائمة بسيطة من الكتب نفس العنوان الذى استخدمه صديقه نوديه كدليل تحليلى بالإنتاج الفكرى؟

يبدو أن الكرملى (جاكوب) أخذ الفكرة من عنوان سلفه البلجيكى دورزميلكس الذى لم يكن ليحترم قوائم المطبوعات الجديدة التى تصدرها تجارة الكتب. والذى أراد لحصره للكتب (الذى طبعه سنة ١٦٤٠ فى هولندا الأسبانية المسماه بالمقاطعات الملكية البلجيكية) أن يتميز عن الكتالوجات الموسمية فى الحصر الشامل والبيانات الدقيقة فى العنوان والترتيب المنهجى المصنف. ومن هنا جاء

عنوان قائمته دالاً على أنها عمل علمى. ولذلك كانت كلمة Catalogus بالنسبة له لا محل لها. ولم تكن كذلك كلمة Bibliotheca مناسبة له. لأنه لو استخدم عنواناً لعمله Bibliotheca Belgica لانصرف الذهن إلى معجم بالمؤلفين البلجيك خاصة وأنه كان هناك بالفعل عمل بنفس العنوان قام به فاليريوس اندرياس ديسليويس(٥٨) Valerius Andreas Desselius هو Bibliotheca Belgica: Louvin 1623, 2nd ed. 1643 - ومن هنا أطلق دورزميلكس على قائمته اسم «الببليوجرافى البلجيكى أو قائمة بالكتب الجديدة أو المنقحة أو الموسعة التى نشرت فى المقاطعات الملكية ومعظم المقاطعات الكاثوليكية البلجيكية فى السنة الميلادية ١٦٤٠:

Bibliographicus Belgicus, seu Librorum Index quii in Regiis ac Maxime Catholicis Belgii Provinliis Anno christiano 1640 novi vel emendatiores vel auctiores prodierunt (Lille 1641)

ومن الراجح أنه قد سمع ببليوجرافية نوديه أو على الأقل العنوان لأنها نشرت فى طبعتين (فينسيا ١٦٣٣ و فتنبرج ١٦٤٠) قبل أن ينشر عمله وثالثة كانت فى الطريق فى هولندا الحرة (أو ما عرف بالمقاطعات المتحدة) وقد نشرت سنة ١٦٤٢ فى ليدن. وعندما استخدم دورزميلكس صيغة المذكر Bibliographicas وليس صيغة المؤنث التى استخدمها نوديه Bibliographia فإنه لم يقصد فقط أنه سوف يكشف ـ كما يظهر من العنوان الفرعى ـ الموضوعات ولكنه أيضاً كان يسعى إلى إختيار عنوان يدل على المستوى العلمى للعمل الذى يقوم به ويقترب به من الـ nomenclator وهو من أحسن التسميات للبليوجرافيات ذات المستوى العلمى فى نظر المعاصرين يليه مصطلح كتالوج Catalogus من الناحية العلمية.(٥٩) وليست هناك علاقة بين مصطلح دورزميلكس «البيليوجرافى» والمصطلح الأغريقى «الببليوجرافى» حيث الدلالة مختلفة فهو لم يكتب ولكنه وصف. كما أن العنوان الفرعى- Librorum Index - يشرح المصطلح الجديد ولسنا على يقين من أن البلجيكى قد أخذ تلك

التركيبة graph, Biblio من نوديه أو كانت فكرته هو، ومهما يكن من أمر فقد كان دورزميلكس هو أن من استخدم المصطلح المكون من المقطعين اليونانيين لقائمة بالكتب mere List of titles . وهكذا فإنه قد أطلق على عمله اسماً (عنواناً) ميزه عن كتالوجات تجار الكتب ذلك أن اسم Bibliographicus يبدو عملاً علمياً.

لقد كان جاكوب هو الآخر أكاديمياً حيث قام باعطاء معلومات دقيقة عن عناوين الكتب ـ على عكس تجار الكتب ـ ونظم المفردات فى ببليوجرافيته تنظيماً منهجياً (حيث قسمها إلى تسع وعشرين مجالاً). وقد أراد ـ مثل دورزميلكس ـ لعمله أن يكون علمياً متميزاً . فكلمة Bibliotheca هنا أيضاً لم تكن واردة فقد ادخرها لمعجم المؤلفين الذى كان يخطط لاصداره ولذلك قلد هذا الكرملى العنوان الذى استخدمه دورزميلكس ولكن فى صيغة المؤنث والتى استخدمها صديقه نوديه ومن المؤكد أنه بالاتفاق مع نوديه قد قدم نداً أو صنواً فى الببليوجرافية الباريسية لعمل دورزميلكس Bibliographicus Belgicus وقد فسر العنوان الفرعى ذلك حيث نص على أنه فهرس كتب Catalogus Librorum .

وبينما قام دورزميلكس بتسجيل المطبوعات البلجيكية فقط سنة ١٦٤١ و ١٦٤٢ فى اصدارتين مستقلتين فى الـ Bibliographicus Belgicus (وقد طبعتا فى سنة واحدة ١٦٤٤) فقد سجل جاكوب على فترات فى خلال عام أو اثنين الكتب التى ظهرت بين سنتى ١٦٤٣-١٦٥٣ فى باريس والمدن الفرنسية الأخرى. وفى الفترة من ١٦٤٥-١٦٥٤ نشرت تسع قوائم بين سنوية أو كل سنتين تحمل عنوان Bibliographia Parisina وقد أشير إلى هذه الببليوجرافيات خارج فرنسا باسم BibliographiaGallica Universalis . ونوديه نفسه لم يتردد فى أن يقفو أثر صديقه جاكوب فى استخدام نفس المصطلح فى قائمة قصد بها أن تكون دليلاً دراسياً إلى الإنتاج الفكرى ذلك أن قائمة نوديه المرتبة زمنياً ذات الثلاث والعشرين كتاباً الملحقة فى كتاب توماس كمبس Thomas Kempis المعنون: De imitatione christi قد أطلق عليها اسم: Bibliographia Kempensis . (٦٠) ومع هذا فإن تطور المصطلح لم يكن ليتوقف على عنوان تلك الببليوجرافية

الموضوعية القصيرة. لقد حدث هذا التطور بسبب العدد المعقول من الببليوجرافيات Bibliographiae التى توفر عليها جاكوب. وهى الببليوجرافيات التى طورت المصطلح فى فرنسا ليدل ليس فقط على قوائم الكتب ولكن أيضاً على قائمة متصلة (مسلسلة) بالمطبوعات الجديدة ذات الصبغة العلمية. وليس الصبغة التجارية.

ورغم ذلك فقد أنتجت فرنسا القرن السابع عشر قوائم تجارية ولأسباب خاصة أطلق عليها اسم ببليوجرافيات Bibliographiae نشرت إحداها سنة ١٦٥٩ بواسطة تاجر الكتب الباريسى Sebastian Cramoisy (الذى طبع ونشر ببليوجرافيات جاكوب بعد سنة ١٦٤٩) وأخوه جابرييل Gabriel . وقد سجلت فى هذه القائمة المطبوعات التى توفر سباستيان على نشرها منذ سنة ١٦٥٤، أى بعد نهاية إقفال الببليوجرافية الباريسية فقد كان من المناسب أن يطلق عليها المحرر عنوان «الببليوجرافيات»: ببليوجرافية كريموازى أو فهرس الكتب التى طبعها سباستيان كريموازى من سنة ١٦٥٤، حين توقفت الببليوجرافية الفرنسية الشاملة حتى هذه السنة ١٦٥٩:

- Bibliographia Caramosiana sive catalogus Librorum quos Sebastianus Cramoisy ab anno 1654, ubi desiit Bibliographia Gallica Universalis, Usque ad hunc annum 1654 excudit.

وقد قام الاخوان أنيسون فى ليون باستخدام نفس العنوان (وقد كانوا منافسين للاخوان كريموازى لدرجة أن جان أنيسون Jean Anisson قد دعى إلى باريس سنة ١٦٩١ ليكون مديراً للمطبعة الملكية وهو المنصب الذى شغله ذات مرة سباستيان كريموازى) ببليوجرافيا ووضعوه على قائمة أصدروها باسم: Bibliographia Anissoniana حيث رتبت بالمجالات ونشرت لأول مرة ١٦٦٩. وهذه الببليوجرافية لم تكن قائمة ناشر مثل ببليوجرافية كريموازى ولكنها كانت قائمة تاجر كتب يسجل الكتب الجديدة المتاحة للبيع أياً كان ناشرها

ومكان نشرها، وقد صدرت منها إصدارات أخرى فى سنوات ١٦٧٦، ١٦٨٤، ١٧٠٢. (٦١)

كما توفر صديق آخر لنوديه وجاكوب هو فيليب لابيه Phillipe Labbé على اختيار عنوان مماثل لببليوجرافية أصدرها بعنوان: ببليوجرافية سنة ١٦٦١ للآباء الموقرين لجمعية يسوع فى المملكة الفرنسية، تسجل كل الكتب التى نشرت بواسطتهم فى تلك السنة (باريس ١٦٦٢).

- Bibliographia anni MDCLXI, RR,PP. Socitatis Juse in Regno Franciae, Libros omnes, ab illis eo anno editos reproesentans. Paris 1662.

هذا العمل يسجل الكتب التى نشرها الجزويت الفرنسيون خلال سنة ١٦٦١. وكان لابيه قد اعتزم استئناف تلك الببليوجرافية على أساس أن تكمل ببليوجرافية أخرى هى:

Phillipe Alegambé: Bibliotheca scriptorum Societatis Jesu (Antwerp 1643).

ولقد قام فرانسوا كولتيه François Colletet وكان من المعجبين بجاكوب فى سنة ١٦٧٧ باستئناف إصدار اعلانات الكتب الباريسية الجديدة، ولمدة قصيرة وقد استخدم نفس الاسم الذى استخدمه الكرملى فى قائمته ولكن مع استعمال الصيغة الفرنسية على النحو الآتى: Bibliographie Francoise et Latine de Paris

وقد قضى على هذا المشروع فى مهده. ومنذ بدايتها فى سنة ١٦٦٥ قامت دورية Journal des Savants الأسبوعية بتقديم عروض علمية تلخص الكتب العلمية الجديدة. وهى خدمة ببليوجرافية أرقى بكثير من أية ببليوجرافية وطنية أو محلية تصدر على فترات متباعدة. وأكثر من هذا فقد قرر محررو الدورية أن ينشروا فى نهاية كل مجلد (سنة) منذ سنة ١٦٧٥ قائمة بالمطبوعات العلمية التى تقع تحت أيديهم إضافة إلى تلك التى عرضت فى الدورية. (٦٢) وكانت أول قائمة

قد نظمت تنظيماً رائعاً وعنونت : Bibliographia seu catalogus librorum qui hoc anno 1675 typis mandati ad nos pervenerunt.

وقد قدم لتلك القائمة بكلمة أشارت إلى قيمة القوائم السابقة عليها والمماثلة لها مثل قائمة جاكوب الخاصة بالببليوجرافية الباريسية. وقد استمرت هذه الدورية فى استخدام نفس العنوان السابق فى الاصدارات المختلفة. ولكن فى السنوات التى تلت استخدمت الدورية عناوين أخرى مثل Catalogus Librorum (1676) (١٦٧٦)، Catalogue des Livres اعتباراً من ١٦٧٧ ولكنها لم تكن بنفس القدر من التنظيم كما حدث فى القائمة الأولى. وفى بعض السنوات ١٦٨٠، ١٦٨٣، ١٦٨٥ ظهرت القوائم مصنفة وكانت هذه القوائم تعنون دائماً باللاتينية :

- Bibliographia seu catalogus librorum.

ولكن بعد سنة ١٦٩٣، كانت العناوين التى تعرض فى الأعداد الأسبوعية من الدورية ترتب مصنفة أو هجائياً تحت اسم: Catalogue des livres (1693) أو Bibliographie ou catalogue des livres (1694).

وبعد سنوات من التردد بين هذه الأسماء المختلفة لباب العرض وكيفيته استقر الأمر على الترتيب المصنف والاسم الآتى للباب :

Bibliographie ou Catalogue des livres dont il est parlé dans les journaux del,année.

وظل هذا المنوال سائداً حتى ١٧٩٢ وقد حذت حذو هذه الدورية دوريات أخرى قدمت عروضاً للكتب بنفس التسمية «ببليوجرافيا» ومن بين تلك الدوريات:

- L'Esprit des Journaux Français et étrangers (Paris 1772).

- Journal général de la Litterature étrangere (Paris 1800).

وفى خلال النصف الثانى من القرن السابع عشر كان الهولندى الوحيد الذى

استخدم مصطلح ببليوجرافيا كعنوان فى عمل له وبنفس المعنى الذى استخدمه الباريسيون هو كورنيليس فان بيجيم Cornelis Van Beughem . فقد كان تاجر كتب مثقف وببليوجرافى موهوب وتوفر على جمع عدد من الببليوجرافيات كان يرجع إليها من حين لآخر.(٦٣) ولقد تعلم بيجيم تجارة الكتب من جان جانسون فان وايسبرج من أمستردام Jan Jansson Van Waesberghe قبل أن ينشئ تجارته الخاصة فى Emmrich وكان يعرف تماماً معنى مصطلح ببليوجرافيا وكيف استخدم فى باريس وكيف عرف كل المصادر الببليوجرافية وخاصة Journal des Savants التى كان ينشرها أستاذه السابق. ومن هنا خطط لاعداد ببليوجرافيا منهجية (تفرع باللغة) تضم كل المطبوعات العلمية التى نشرت منذ منتصف القرن السابع عشر فى كل الدول فى جميع مجالات المعرفة البشرية. مع ملاحق تسجل الجارى منها ومن ثم فإنه كان يفكر فى ببليوجرافية راجعة وجارية موضوعية. وكانت قوائمه الأساسية الأولى قد عنونت بعنوان ظريف هو: أحدث ببليوجرافية فى القانون وعلم السياسة، جارية إلى مالا نهاية أو أول حصر بفهرس الكتب فى إدارة العدل والشريعة والقانون المدنى، والسياسة العامة بالإضافة إلى النظرية السياسية، سواء تلك المطبوعة أو الجديدة أو المنقحة فى جميع أنحاء أوروبا بكل اللغات خلال نصف القرن الحالى أى منذ سنة الخلاص ١٦٥١ . والعنوان باللاتينيه يسير على النحو الآتى :

Bibliographia Juridica et politica novissima perpetuo continuanda sive conspectus primus catalogi librorum juridicorum canonicorum, politico - legalium ut et politicorum, quotquot currente hoc semisecolo, id est ab anno reparatae solutis 1651, per universam Europam in quavis lingua.. aut novi aut emendatoires typis prodierunt (Amsterdam 1680).

وكانت آخر ثلاثة قوائم له هى : أحدث ببليوجرافية فى الطب والعلوم الطبيعية ١٦٨١ ؛ أحدث ببليوجرافية فى التاريخ والأحداث والجغرافيا ١٦٨٥ ؛ أحدث ببليوجرافية فى الرياضيات والمهارات ١٦٨٨ .

- Bibliographia medica et plysica novissima. 1681.

- Bibliographia historica, chronologica et geoqraphica novissima. 1683.

- Bibliographia mathematica et arteficiosa novissma 1688.

لقد جاء العنوان ببليوجرافيا مماثلاً أو شبيهاً للنمط الباريسى لأن جاكوب وخلفاءه قد استخدموا هذا المصطلح بنفس هذا المعنى: Bibliographia novissima perpetuo continuanda (٦٤). ولقد نفدت الببليوجرافيا الأولى من السوق فى فترة وجيزة ووعد بيجيم باصدار طبعة جديدة فى مقدمة الببليوجرافيا الثانية ولكنه لم يف ولم تصدر حتى ملاحق(٦٥) وربما كان ذلك بسبب عدم جدوى الببليوجرافيات الموضوعية فى ظل العديد من الدوريات المتخصصة التى كانت تخصص باباً لعرض الكتب الجديدة فى موضوعها.

وبدلاً من ذلك توفر سنة ١٦٨٣ على مشروع جديد أعطاه عنواناً مضللاً هو France Savante أى فرنسا العالمة وهو ببليوجرافيا حصر فيها كل الأعمال محلية وأجنبية التى عرضت فى دورية Journal des Savants بين ١٦٦٥ و ١٦٨١.

وقد أدرج المفردات بثلاث طرق:-

أ - زمنيا حسب سنوات النشر

ب - هجائياً بأسماء المؤلفين

ج - مصنفة على ست مجالات هى :

١- الدين والكتابة المقدسة

٢- القانون والسياسة

- الطب والعلوم الطبيعية

٤- الفلسفة

٥- التاريخ والأحداث والجغرافيا

٦- اللغة.

وكل قسم كان يبدأ بعبارة ببلوجرافيا بكتب. أو فهرس-Bibliographia seu ca talogus librorum وكان استخدامه هنا لكلمة ببليوجرافيا تالياً لاستخدام الدورية له. إلى جانب هذه الدورية قام بيجيم باستخراج قوائم أخرى من دوريات مماثلة ففى الفترة من ١٦٨٩ إلى ١٧١٠ نشر خمسة مجلدات سجل فيها هجائياً الكتب التى عرضت فى تلك الدوريات مع الاشارة إلى مكان وتواريخ وصفحات العروض. أى أن هذه المجلدات كانت بمثابة كشافات إلى تلك العروض على نحو مايحدث فى بعض الببليوجرافيات الحالية Book Review Digest . وبنفس النمط الباريسى استخدم بيجيم نفس مصطلح ببليوجرافيا فى عناوين المجلدات الخمس. وكان عنوان المجلد الأول يسير على النحو المطول جداً الآتى :

«أداة للأحدث فى التاريخ الفكرى، تضم قوائم مختلفة، ظهرت أولاها الآن وهى ببليوجرافية نقدية جمعت بعناية عن الباحثين أو الترتيب المنهجى للكتاب وأعمالهم والتى ظهرت مستخلصاتها ومحتوياتها فى محاضر الأعمال والدوريات العلمية فى كل أنحاء أوروبا تقريباً .

- Apparatus ad historiam literariam a, novissimam, variis conspectibus exhibendus quorum nunc primus prodiit, qui est bibliographia eruditorum critico-curiosa, seu Despositio harmonica scriptorum operumque quorum summaria et contenta in actibus et ephemeridibus eruditorum univerae ferme Europae exhibentur". Amsterdam 1689.(٦٦)

ويبدأ عنوان طبعة سنة ١٦٩٤ بكلمة ببليوجرافيا ولو أنه ببنط صغير حيث ورد:

ببليوجرافيات الباحثين: نقدية جمعت بعناية أو الحصر الثانى لأداة عن الأحدث فى التاريخ الفكرى.

- Bibliographiae eruditorum critico - curiosae sive apparatus ad historiam literariam novissimam conspectus secundes.

أما فى سنة ١٦٩٩ فقد عاد بيجيم إلى العنوان الأصلى والذى استخدم كذلك فى طبعات ١٧٠١و ١٧٠٤.

وبعد نشر بيليوجرافيّة بيجيم الأولى بسنتين قام أحد البيليوجرافيين الألمان من الباحثين يدعى مارتن ليبن Martin Lipen فى عمل بيليوجرافى له بعنوان :

Bibliotheca realis philosophica (Frankfurt am Main 1682)

بتضمين بيليوجرافيات بيجيم وجاكوب ولابيه ونوديه وشورل ودوررزميلكس تحت رأس : Bibliographia مما يكشف عن انطباق مصطلح بيليوجرافيا على أنواع مختلفة بعد نوديه للدلالة على أدلة الإنتاج الفكرى. وفى فرنسا وهولندا ـ على خلاف نوديه ـ للدلالة على القوائم التى تنشر دورياً بالمطبوعات الجديدة وذات صبغة علمية وحتى ذلك الحين لم يحمل مصطلح بيليوجرافيا أى شئ يدل على استخدامه بأى معنى آخر خلاف ذلك. وعلى النقيض فإن الاستخدام الألمانى والفرنسى على السواء قد ضيق من معنى «وصف الكتب-Book descrip tion » وكان العملان الحاسمان فى هذا الاستخدام للمصطلح عمل نوديه Bibliographia Politica (بالنسبة لألمانيا) وعمل جاكوب Bibliographia Parisina (بالنسبة لفرنسا) من إعداد رجلين فرنسيين.

لم يعش الاستخدام الفرنسى للمصطلح طويلاً أطول من الاستخدام الألمانى بل على العكس فإنه بعد توقف بيليوجرافية فرانسوا كولتيه عن الصدور سنة ١٦٧٨ Bibliographia Francoise et Latine de Paris.

لم تصدر أعمال بيليوجرافية مستقلة تحمل عنوان Bibliographia أوBibliographie فى فرنسا لسنوات طويلة. وكان الوضع مماثلاً فى هولندا فقد كانت أعمال فان بيجيم بيليوجرافيا الرياضيات والمهارات (١٦٨٨)، أدوات التاريخ الفكرى الجديدة (١٦٨٩-١٧١٠) كانت لوقت طويل آخر الأعمال التى تحمل كلمة بيليوجرافيا فى عناوينها. فقط تلك القائمة التى كانت تظهر فى

المجلدات السنوية لـ Journal des Savants فى كل من فرنسا وهولندا كانت الوحيدة التى تحمل فى عناوينها كلمة ببليوجرافيا واستمرار ذلك إنما كان يرجع - كما رأينا - لبعض التقاليد التى جرت عليها تلك الدورية ولأن أية قائمة علمية بالمطبوعات كان يجب أن تسمى ببليوجرافيا. لم تكد الببليوجرافيات الوطنية الدورية والببليوجرافيات الخاصة تظهر حتى حلت محلها وتفوقت عليها الدوريات. ولم تكن مجرد قوائم الكتب الجديدة - بصرف النظر عن كتالوجات باعة الكتب - لتقوى على منافسة الدوريات التى كانت تسجل أسبوعيا أو شهريا المطبوعات المحلية والأجنبية.(٦٧) وكان من الواضح أن فان بيجيم كان ينشر كشافات بعروض الكتب الجديدة فى تلك الدوريات وتوقف عن نشر الملاحق التى وعد بها لببليوجرافياته الموضوعية.

واستمر الناشرون كذلك فى نشر ببليوجرافيات راجعة تسجل إنتاج المؤلفين فى الدولة أو فى مجال موضوعى معين ولكن معظم تلك الببليوجرافيات كانت تسمى Bibliotheca وهذا التحديد بشكله الفرنسى أطلق على دورية صدرت فى أمستردام بعد سنة ١٦٨٦ توفر عليها جان لوكليرك Jean Le clerc وكانت بعنوان Bibliothèque universelle historique . هذه الدورية التى كانت تنشر فى نفس المكان والزمان الذى كان ينشر فيه فان بيجيم ببليوجرافياته لاقت تقديراً كبيراً. وقد عرف عن تلك الدورية أنها الأولى التى تسجل الكتب دون أن تنقدها.(٦٨) ومع إطلاق كلمة Bibliotheqùe على هذه الدورية وربطها بقوائم الكتب المراجعة أشار دى كليرك إلى الوظيفة الببليوجرافية لتلك الدورية على أنها وظيفة مساندة وقد كان تشكك فى استخدام كلمة Bibliographie التى كانت تستخدم فى أوروبا الغربية لقوائم الكتب فقط. ولم يلبث محررو الدوريات الجديدة أن قلدوا هذا العنوان الناجح بما فى ذلك دوريات أجنبية صادرة بلغات أخرى(مثل Boekzaal, Büchersaal, Library) . ومع منتصف القرن الثامن عشر أصبحت كلمة Bibliotheca ومشتقاتها العنوان الأوسع استخداماً فى الدوريات العلمية.(٦٩) ومن الآن فصاعداً أصبح هناك معنى جديد مرتبط بكلمة Bibliothek

معنى كان قاصراً فقط على كلمة ببليوجرافيا Bibliographia هذا المعنى الجديد هو : «التسجيل الجارى المنهجى للمطبوعات الجديدة» وحدث نفس الشئ فى أوروبا الغربية كما حدث فى وسط أوروبا عندما دل مصطلح Bibliotheca على معنى البيليوجرافيا Bibliographia عندما استخدم هذا الأخير استخداماً عاماً ـ أى من الناحية اللغوية ـ.

واستخدام المصطلح استخداماً عاماً صادف تعبيرات مختلفة فى فرنسا وألمانيا حيث بدأ رايمان وهيومان فى إطلاق كلمة ببليوجرافيات على قوائم الكتب من كل نوع وفى نفس الوقت مع مطلع القرن الثامن عشر بدأ تجار الكتب القديمة فى العاصمة الفرنسية فى جمع وتسجيل معدى قوائم الكتب تحت رأسBibliographi فى كتالوجاتهم هكذا فعل :

- Prosper Marchand = Bibliotheca Bigotiana. 1706.
- Gabriel Martin = Bibliotheca Bultelliana. 1711. [٧٠]

وكان ذلك محيراً[٧١] لأن مصطلح Bibliographia بدا لهم ذا دلالة مختلفة فلم يكن يستخدم كاسم لنوع من الانتاج الفكرى (قوائم الكتب) وانما كاسم لفرع من فروع المعرفة البشرية (علم الكتب Notitia Librorum). ولسوف نناقش هذا التغير فى معنى المصطلح فى الفصل السابع[٧٢].

* * *

الفصل السادس

مفهوم الببليوجرافيا وتسمياتها حتى بداية القرن الثامن عشر

مفهوم الببليوجرافيا وتسمياتها حتى بداية القرن الثامن عشر

المكتبات والتاريخ الفكرى

نذكر القارئ بأن النشاط الببليوجرافى أخذ يتصاعد ويسرع الخطى فى القرن السادس عشر وبلغ ذروته فى ذلك القرن عندما نشر كونراد جزنر ببليوجرافيته العالمية : Gesner, Konrad = Bibliotheca Universalis. Zürich, 1545.

وقد وصف هذا العمل فى العنوان الفرعى بأنه «عمل ليس فقط ضرورى لبناء مجموعات المكتبات ولكنه مفيد للغاية فى عملية التعليم لكل الطلاب فى العلوم أو الفنون (الآداب)».

ولعل المشابه له جاء من إيطاليا وقام به الايطالى الجزويت أنطونيو بوسيفينو بعنوان «ببليوجرافيا مختارة: تمثل خطة لدراسات: التاريخ، والفنون والعلوم وفيها الخلاص للجميع».

- Possevino, Antonio = Bibliotheca selecta, in qua agitur de ratione studiorum in historia, in disciplinis, in salute omnium procuranda. Rome, 1593.

ولقد كانت الأولى أمام كثير من البيليوجرافيات المختارة,Bibliotecae selectae Bibliothèques choisies وقد قصد بها الرجل أن تكون دليلاً للطلاب الكاثوليك والكتب المدرجة بها سعت لنفس الغرض. ومن الطريف أن جامعى البيليوجرافيات فى ذلك الوقت ـ كما هو الحال الآن ـ كانوا مقتنعين بأهمية عملهم ولذلك لم يشعروا بالحاجة إلى الحديث عنه.

وكما ألمحنا سابقاً قام جزنر باضافة مجلد ثان إلى عمله سنة ١٥٤٨ وزع فيه المفردات هجائياً، وكان التوزيع الموضوعى بناء على خطة تصنيف وضعها بنفسه اتبع فيها التصنيف المعترف به آنذاك للمعرفة البشرية. ولكن أين وضع جزنر صاحب البيليوجرافية العالمية البيليوجرافيات المتخصصة وما شابهها فى خطته؟ لقد وضع جزنر واحدا وعشرين قسماً (libri) أولها النحو وآخرها اللاهوت.[(٧٣)] وقد قسم القسم الأول إلى واحد وعشرين شعبة (tituli) أولها كان: الفلسفة، الحكمة، الآداب، الدراسات، العلوم، الفنون، واللغات. وكان من الغريب والمدهش أنه لم يبدأ هذا القسم بشعبة النحو وقد نبه القراء إلى أن جميع العلوم والمعارف قد انبثقت من الفلسفة وربما كانت شعبة الفلسفة التى جاءت فى البداية هنا مناسبة أكثر فى القسم الخامس عشر (الفلسفات الأولى). وقد قسم هذه الشعبة الأولى إلى أربعة عشر رتبة (Partes) تتناول اتجاهات عامة فى الفلسفة مثل قيمة الفلسفة، العلماء عموماً، المدارس الفلسفية، اكتشاف الفنون، اللغات مدارس تعليم الكتابة وأدواتها والمكتبات. وتضم الشعب من ٢-١٢ الإنتاج الفكرى عن النحو عموماً أما الشعب من ١٤-٢١ فتعالج النحو اللاتينى واليونانى والعبرى بينما خصصت الشعبة ١٣ لتعالج موضوعات مختلفة وتنقسم إلى ثمان رتب تسير على النحو الطريف الآتى:

١ـ المؤلفون الذين كتبوا رسائل مختلفة فى عمل واحد.

٢ـ قوائم الكتب.

٣ـ مشكلات وتساؤلات، مناظرات.

٤-٥-٦- أشياء عامة.

٧- المكتبات: أعنى قوائم الكتب والأماكن المشهورة كمستودعات للكثير من الكتب.

٨- طرائف.

وفى هذه الرتب الثمانى تظهر أشياء كثيرة تختلط ببعضها البعض سوف نستعرض ما يهمنا منها فقط ففى الرتبة الثانية عرض جزنر لإعداد الكشافات (يقصد قوائم الكتب) وأدرج بعض الكشافات الفعلية بالمؤلفين المشاهير وكثير من كتالوجات الطابعين وباعة الكتب وفهارس المكتبات. كما قدم عرضاً من جانبه لكيفية إعداد الفهارس. وفى الرتبة السابعة نجد بعض المراجع المتعلقة بتاريخ المكتبات[٧٤] ثم بعد ذلك نجد قوائم بأسماء المؤلفين وأعمالهم فى الموضوع وقد سمى جزنر تلك القوائم Bibliothecae وهو المصطلح الذى أدخله للدلالة على الببليوجرافيات وفى نهاية هذه الرتبة تأتى ملاحظات جزنر على عدد لابأس به من أهم المكتبات (القوائم).[٧٥]

وفى الشعبة ١٣ نجد جزنر يضع أعمالاً لم يعرف أين يضعها وبعضها يتصل بنسب إلى القسم الأول من تصنيفه (النحو) رغم ابتدائه الجيد بالفلسفة. وإذا كان جزنر لم يجد مكاناً مناسباً لموضوع الببليوجرافيا فى عمله هذا فإننا يمكن أن نستنتج من ذلك أن هذا العلم كان فى مهده ولم يكن قد نضج بعد.

لقد كانت هناك خطوة أبعد من جزنر قام بها صديقه الريفى جوهان جاكوب فرايز Johann Jakob Fries الذى كان مسئولاً عن الطبعة الثالثة من الـ Epitome من الببليوجرافيا العالمية Bibliotheca Universalis (زيورخ ١٥٨٣). والذى خطط لطبعة جديدة من Pandectae لقد كان فرايز مسئولاً لفترة عن مكتبة القانون فى جروسمنستر Grossmünster حيث أعد نظاماً خاصاً لتنظيم الكتب على الرفوف والذى أوصى به زملاءه السويسريين والذى تولى مواطن من زيورخ طبعه هذا المواطن هو جوهان هنريش هوتنجر Johann Heinrich Hottinger سنة

١٦٦٤[٧٦] ومثل فرايز استخدمه فى نشر طبعة جديدة من Pandectae الخاصة ب جزنر. وفى تلك الفترة لم يكن هناك خلاف بين أنظمة تنظيم المفردات فى القوائم وتنظيم الكتب على الرفوف.. وقد قسم فرايز المعرفة إلى أقسام رئيسية بقدر ما هناك من حروف فى الأبجدية ومثل جزنر وضع اللاهوت فى آخر حرف (Z) ولكنه فى البداية وقبل النحو (C) وضع قسمين آخرين هما (A) مجاميع الأدب والدراسة والفنون والعلوم. وفى (B) وضع المعارف العامة التى لا تنتمى إلى قسم معين:

(A) De Omnia Literatura, ratione studiorum, encyclopaedia artium et scientiarum, (B) Varii miscellanei, Epistolae, Orationes.

وفى القسم (A) سابق الذكر وضع الببليوجرافيا العالمية الخاصة بجزنر وقد سمى تلك الشعبة «المجلد الممثل لخطط الدراسة» Codex ad rationem studiorum pertinens . ومن الواضح فى أيامنا هذه أنه من الأفضل فعلاً وضع الكتابات المتعلقة بالمعرفة البشرية العامة مع الفهارس والمعاجم والببليوجرافيات فى قسم عام يسبق كل الأقسام بدلاً من وضعها مع النحو على النحو الذى فعله جزنر. ولكن أمناء المكتبات الآخرين لم يحذووا حذو فرايز ولكنهم بدلاً من ذلك أنشأوا قسماً خاصاً للأعمال المرجعية وجعلوه فى نهاية الأقسام كلها وذلك على نحو ما قام به بوسيفينو فى كثير من المكتبات (القوائم) فى نهاية القرن السادس عشر وكان هذا القسم العام الأخير يسمى: Generalia Universalia sive Encyclia . وضم هذا القسم المكانز Thesauri ، الكتب المرجعية، المكتبات، المعاجم.[٧٧] وحتى القرن الثامن عشر لم يكن من الطبيعى سواء فى فهارس المكتبات أو الببليوجرافيات العامة أن يبدأ التصنيف بقسم العموميات. ومع ذلك فإن كل قسم فردى كان يمكن أن يبدأ بشعبة للعموميات تضم الببليوجرافيات الموضوعية لهذه الشعبة على النحو الذى فعله اسرائيل سباخ Israel Spach فى ببليوجرافيتين عظيمتين إحداهما خاصة بالعلوم الطبية والثانية خاصة بالفلسفة واللغة

- Nomenclator scriptorum medicorum. Frankfurt am Main 1591.
- Nomenclator scriptorum philosophicorum et philologicorum. Strassburg 1589.

ولقد سجل أعمال الببليوجرافيين السابقين عليه فى شعبة أطلق عليها فى الأولى «قوائم الكتَّاب» وفى الثانية «كتَّاب الكتب ومجموعات الكتب» على التوالى. وحيث لم يظهر هذا الرأى الأخير Bibliothecarii كرأس مستقل وعلى قدم المساواة مع الأقسام الأخرى قبل سنة ١٦٤٠. حيث ظهر لأول مرة فى ببليوجرافية وطنية وفهرس سبق ذكرهما وهما :

- Claude Doresmieulx = Bibliographicus Belgicus. Lille 1641, and Brussels, 1644.

حيث جاءت قوائم الكتب Bibliothecarii كقسم مستقل فى النهاية وبعد كتب النحو.

- Louis Jacob = Bibliographia Parisina or Gallica Universalis. Paris 1645, 1652.(٧٨)

والقوائم هنا أيضاً فى قسم مستقل فى النهاية بعد كتب النحو بل إنه قبل جاكوب قام صديقه نوديه بجمع (كتَّاب عن الكتب Writers on books) ومجموعات الكتب فى قسم واحد فى فهرسه المسمى,Bibliothecae Cordesianae catalog of the Descardes Library (باريس ١٦٤٣). وهو لم يضع هذا القسم فى النهاية بل فى البداية مباشرة بعد كتاب الانجيل وكتاب اللاهوت الذين جاءوا فى بداية التصنيف(٧٩). لقد جمع دورزميلكس، جاكوب، نوديه تحت عنوان: Bibliothecarii ليس فقط جامعى الببليوجرافيات (القوائم) بالمؤلفين وأعمالهم ومحررى فهارس المكتبات وتجارة الكتب ولكن أيضاً الباحثين الذين كتبوا أكبر مما يتوقعه المرء من العنوان. والكتاب الذين يكتبون اليوم عن الجامعات ـ الآن على الأقل ـ لا يدخلون ضمن الـ Bibliothecarii .

ويمكن ملاحظة نفس الشئ بالنسبة للببليوجرافية التى أشرنا إليها من قبل

والتى أعدها فيليب لابيه Fr. Philippe Labbé (باريس ١٦٥٣)[٨٠] والذى كان أيضاً صديقاً لنوديه. هذا العمل هو - Bibliotheca Bibliothecarum - والذى يشار إليه دائماً على أنه أقدم ببليوجرافيا الببليوجرافيات. فهى لا تدرج فقط جميع القوائم والفهارس من كل الأنواع[٨١] ولكن كذلك أدلة الدراسة، وتقييم الكتب، تاريخ التعليم، وتراجم الباحثين وكذلك الكتب المتعلقة بالجمعيات العلمية والمدارس (أكاديميات، جامعات، كليات..). كتب عن الطباعة وتجارة الكتب، كتب تاريخ المكتبات وإدارتها. لقد قام لابيه - مثل نوديه - بوضع معلومات عن مؤلفين آخرين إلى جانب جامعى الببليوجرافيات كما وضع معلومات أخرى إلى جانب القوائم، وقد يندهش قارئ اليوم عندما يجد مثل هذا الخليط من المعلومات فى ببليوجرافية عن الببليوجرافيات ولكن ذلك الوضع كان طبيعياً فى ذلك القرن حيث سادت فكرة التاريخ الفكرى Historia Litteraria .

وهنا يجب أن نتوقف قليلاً أمام فكرة «التاريخ الفكرى» حيث كان له فى تلك الفترة مفهوم أوسع بكثير مما هو عليه الآن history of literature فلم يكن يهتم فقط بالآداب ولكن بكل الفكر الانسانى الراقى: بالتعليم عموماً، فقد أشار أحد الكتب الدراسية الألمانية سنة ١٧١٨ إلى هذا الموضوع بأنه تاريخ التعليم history of Learning : historie der Gelehrsamkeit كأول ترجمة للمصطلح اللاتينى Historia Litteraria [٨٢] بينما المصطلح الألمانى فى القرن الثامن عشر هو Litterargeschichte أما فى القرن التاسع عشر فهو Literargeschichte .

وكان الدافع للاهتمام بهذا المجال قد جاء من فرانسيس بيكون Francis Bacon[٨٣] ففى فصل هام من فصول كتابه: أهمية وتطور العلوم: De dignitate et augmentis scientiarum والذى نشر بالإنجليزية فى فترة مبكرة سنة ١٦٠٥ بعنوان:[٨٤]

the worth and Growth of the sciences

قسم هذا الفيلسوف التاريخ إلى تاريخ الكنيسة، التاريخ العلمانى، تاريخ الآداب والفنون ولكنه أضاف بأن من الأفضل توزيع الأخير (تاريخ الآداب

والفنون) على موضوعاته المختلفة، وقد وضع بيكون تخطيطاً للتاريخ الفكرى حيث يقول:

«هذا الموضوع لا يعدو أن يكون إعادة تجميع من تواريخ كل العلوم والآداب والفنون من كل العصور ومن جميع أنحاء العالم التى انتعشت فيها. يشمل هذا التجميع أصول هذه المجالات، تطورها، وانجازاتها فى جميع أنحاء العالم (لأن العلوم والرجال ترحل معاً)، انحطاط العلوم، اختفاءها، وترميمها واصلاحها. وفى نفس الوقت يضم هذا التجميع اكتشاف الأصول ووضع منهج البحث وعملية اجراء البحوث بل وكذلك عمليات التعليم والتدريب والتواصل. هنا كذلك يجب أن نعالج المدارس الفكرية الشهيرة، والمجادلات والمناظرات، والنتائج التى توصلت إليها والانتقادات التى وجهت إليها والمديح الذى كيل لها والاختلافات بينها. يجب أن نوجه اهتمامناكذلك فى هذا الصدد إلى المؤلفين المشاهير فى كل مجال والكتب الأساسية الشهيرة، الكليات، الأقوال الأثيرة، الأكاديميات، الاتحادات، الأنظمة، وختاماً كل ما يمت إلى دنيا الفكر».[٨٥]

والمؤلفون القلائل الذين جاءوا قبل بيكون وطالبوا بأن يكون هناك قسم مستقل «للتاريخ الفكرى» لم يسمع صوتهم. بينما وجد برنامج بيكون موافقة واسعة وفى معظم الدول المتحضرة وخاصة فى ألمانيا أخذ الباحثون فى وضع أسس جديدة للتاريخ الفكرى. لقد فعلوا ذلك قبل بيكون ولكن دون خطة محددة وفى اتجاهات متفاوتة. ولكن بعد بيكون أخذ عملهم يكتسب طابعاً جديداً ومعنى مختلفاً . وقد ساد المفهوم الجديد ـ تاريخ التعليم ـ عصر الباروك وأصبح من خصائصه الأساسية. وأنا لا أستطيع أن أعالج هذا النقطة بالتفصيل هنا ولكنى أصل القارئ إلى مقال لى (بلوم نفسه) أشرت فيه إلى ما يعنيه التاريخ الفكرى - Historia Litteraria - لباحث شاب مثل جابرييل نوديه الذى استلهم هو الآخر مفاهيم بيكون[٨٦] حتى كتب نوديه نفسه فى القرن السابع عشر وخاصة :

- Additions à l'histoire de Louys XI - Bibliographia Politica [٨٧]

أشير إليها على أنها كتب فى «التاريخ الفكرى» وكان نوديه نفسه أحد المجددين فى مجال «تاريخ التعليم» History of Learning [٨٨] ففى ختام كتابه Advis pour dresser une bibliothéque (باريس ١٦٢٧) أشار إلى أنه يود أن يؤلف كتاباً يسميه Bibliotheca Memmiana يضمنه كل التفاصيل التى يعرفها عن التاريخ بمعناه الواسع وخاصة تاريخ العلوم وتاريخ الكتب. ولكنه لم يفعل ذلك. وكان بيتر لامبك Peter Lambeck (Lambecius) وكان يتخذ نوديه مثالاً له قد أخذ فى كتابه تاريخ العلوم بالتفصيل ولكنه لم ينشر سوى التاريخ القديم مع جداول بالقرنن وجاء عمل بعنوان: [٨٩] Prodromus historiae Litterariae (Hamburg 1659) ومن هذا العمل الناقص يمكننا القول بأن التاريخ الفكرى Historia Litteraria الذى أشير اليه قبل لامبيك بالمصطلح Historia Litterorum كان مجاله يتسع ليشمل إلى جانب التاريخ الفعلى للعلوم والمفكرين وأعمالهم الفكرية، والجمعيات العلمية والمدارس الفكرية، اشتمل كذلك على تاريخ الوسائل والمؤسسات التى نحن مدينون لها بالحفاظ على المعرفة وتوسيع نطاق تداولها خارج التعليم الرسمى ونعنى بها أساساً تاريخ الكتابة، والكتب، والمكتبات. [٩٠] فمصطلح Historia لايعنى فقط التاريخ ولكن يعنى أيضاً المعرفة وفى الحقيقة أن المعنى الأصلى لكلمة Historia كان «المعرفة» قبل «التاريخ». (انظر المعرفة الطبيعية Historia Naturalis).

ففى كتابه مقدمة إلى العلوم كتب بوركهارد جوتيلف ستروف:

- Burkhard Gotthelf Struve: Introducio ad notitiam rei Litterariae

وهو كتاب مقرر شعبى من كتب القرن الثامن عشر طبع كثيراً (أول مرة جينا ١٧٠٤، ط٢- ١٧٠٦) [٩١] كتب يقول: التاريخ الفكرى يتضمن المعلومات الخاصة بالموضوعات التى تنتمى إلى جمهورية العلم. وستروف يفرق بين المعنى الضيق للتاريخ الفكرى والمعنى الواسع فيقول بأن التاريخ الفكرى له معنيان إما المعنى الحرفى وإما معرفة المادة العلمية لموضوع ما. [٩٢]

وثمة تعريف آخر للتاريخ الفكرى نجده عند كريستوف أوجست هيومان فى كتابه : عرض جمهورية العلم[٩٣]

- Christoph August Heumann : Conspectus rei publicae literariae, Hannover 1718; 7th ed. 1763)[٩٤]

وهو «مرآة لدينا الفكر فى الماضى والحاضر». ولقد كان التاريخ الفكرى دائماً موضوعاً أثرياً ولكن له وظيفة عملية. لقد خدم كمقدمة لدنيا البحث ومصدر للمعلومات عن تقدم العلم وتطوره.[٩٥]

مما سبق نستنتج أن فكرة التاريخ الفكرى Notitia rei Litterariae لم تقصر نفسها على المعلومات أو على معرفة المطبوعات على الرغم أن هذه المعرفة تدخل فيها بل إن بعض الكتاب كان يسميها كذلك معرفة الكتب- (Knowledge of books) - Historia Librorum .[٩٦]

لقد كان نوديه، لابيه، كونرنج يفضلون استخدام المصطلح الاغريقى (ببليوجرافيا) للدلالة على نفس موضوع معرفة الكتب. وأياً كان الحال فإنه منذ عهد نوديه كان الباحثون على معرفة تامة بمفهوم المصطلح «معرفة الكتب Knowledge of books ».[٩٧]

ولقد أوحى بيكون فى برنامجه الخاص «بالتاريخ الفكرى» بتجميع قوائم بالمؤلفين المعاصرين وكتبهم حتى يشتهر هؤلاء المؤلفون وكتبهم ويعرفون على حد تعبيره. ونعود الآن إلى المشكلة التى بدأنا بها وهى مكان الببليوجرافيات فى خطة تصنيف الانتاج الفكرى، فالمؤلفون الذين أيدوا خطة بيكون لم يجدوا صعوبة فى تحديد مكان للببليوجرافيات فقد كان من رأيهم أن هذه الببليوجرافيات هى جزء من التاريخ الفكرى ومن بين هؤلاء جوهان هنريش بوكلر الأستاذ فى ستراسبورج الذى أعلن بعيد منتصف القرن السابع عشر مباشرة أن قوائم الكتب أيضاً ومجموعات الكتب (الفهارس) يمكن أن تستشار فى سياق التاريخ الفكرى.[٩٨] فهو لم يشر هنا إلى فهارس المكتبات فقط بل أيضاً إلى الببليوجرافيات على نحو

مافعل بالنسبة للأمثلة التى ساقها ومن بينها : Draud = Bibliotheca Classica;
Gesner = Bibliotheca Universalis;
Possevino = Bibliotheca Selecta.

وفى حدود معلوماتى فإن أقدم نظام ببليوجرافى ينظم المفردات طبقاً لهذه الفكرة بدأ على يد تاجر كتب اسمه سيمون باولى Simon Pauli والذى عاش فى نفس المكان مع البروفيسور بوكلر فهذه الفكرة تمثل أساس تنظيم الفهرس الذى طبعه باولى سنة ١٦٧١ بعنوان مضلل هو Historia Litteraria [٩٩] وقد سجل فى هذا الفهرس أحدث المطبوعات فى جميع فروع المعرفة والتى أحضرها باولى معه من سوق فرانكفورت الموسمية خلال السنتين السابقتين على ذلك الفهرس فقد قسم الفهرس طبقاً لترتيب الكتب على الرفوف فى موضوعات واسعة : كتاب اللاهوت ـ التشريعيون ـ الأطباء ـ الفلاسفة ـ اللغويون ـ المؤرخون ـ الرياضيون ـ كتاب الرياضة (الألعاب) ـ التكنولوجيون. وتحت: المؤرخون وضع بين سائر الكتاب: مؤرخو الفكر والكتبيون، محاكمات مشاهير الكتاب وكتاباتهم. فهارس المكتبات وفهارس الكتب، الأكاديميات وأساتذتها وأنسابهم والمؤرخون الأفراد، والتراجم، ويضم مؤرخو الفكر كل من كتب فى تاريخ الفكر وتاريخ الكتب ومعاجم المؤلفين والببليوجرافيا. ولم يحدث من قبل أن قام تاجر كتب بنشر كتالوج بمثل هذا التفصيل فى تنظيم المفردات فى كل فروع المعرفة.

لقد تأكد اتجاه باولى هذا فى تنظيم المعرفة ووضع الببليوجرافيات فيها فى نظام آخر لتاجر كتب من باريس هذا النظام وضعه جان جارنيير سنة ١٦٧٨ فى باريس تحت عنوان: [١٠٠]

- Systema Bibliothecae collegii parisiensis societotis Jesu.

وقد وضع التاريخ الفكرى فى الملاحق وقسمه على النحو الآتى :

أ ـ القوائم العامة بالمؤلفين يسمى المؤلف القوائم باسم«المكتبات» ترجمة للـ Bibliotheca

ب ـ القوائم الخاصة وتنقسم إلى ست أنواع : (يقصد هنا فهارس المكتبات)

١ـ الكليات ـ أعضاء هيئة التدريس Faculties .

٢ـ الدول

٣ـ الأنظمة (يقصد الموضوعات)

٤ـ الأكاديميات

٥ـ المكتبات (الأماكن التى تحفظ بيها الكتب)

٦ـ باعة الكتب (مثل أسواق الكتب فى فرانكفورت أو متاجر الكتب الشهيرة)

ج ـ التاريخ الخاص بمشاهير رجال الفكر والفن والنساء المؤلفات.

د ـ تاريخ الأكاديميات.

و ـ تاريخ الطباعة

وهذا التنظيم عجيب وجارنيير يسمى الببليوجرافيات «فهارس المؤلفين» (وكان الشائع تسميتها بالمكتبات). وكان هذا القسم هو الوحيد عند جارنيير الذى قسمه هذا التقسيم المفصل. ومن الشواهد ما يؤكد أن جارنيير قد تأثر فى تصنيفه هذا بتصنيف جوهان هنريش هوتنجر الذى ميز فى ببليوجرافيته الشهيرة بين الأنواع المختلفة من القوائم :- Johann Heinrich Hottinger : Bibliothecarius quadri-partitus. Zürich, 1664.(١٠١)

فهذا الرجل جمع كل القوائم التى تسجل المؤلفين الذين ينتمون إلى دولة معينة فى قسم خاص بهم، وفى ملحق بعد هذه القوائم يسجل نوعاً آخر من الببليوجرافيات هو فهارس المكتبات وتجارة الكتب، التى تعرف بأنها مجرد قوائم جرد فى أيامنا هذه.(١٠٢)

والذى يفحص تصنيف جارنيير عن قرب يجده مطابقاً لقسم «التاريخ الفكرى Historia Litteraria (١٠٣) فى مكتبة كلية الجزويت فى باريس.

ويدرك أن ببليوجرافية لابيه (أستاذ جارنيير لمدة خمس سنوات): ببليوجرافيا البيليوجرافيات Bibliotheca Bibliothecarum (١٠٤) لم تكن مجرد حصر للببليوجرافيات ولكنها كانت فى الواقع ببليوجرافية بكل مطبوعات (التاريخ الفكرى) فالعمل يحصر كل الكتب التى تنتمى إلى جميع القطاعات التى ضمنها جارنيير فى (التاريخ الفكرى) ونفس المفهوم فى قسم Bibliothecarii بفهرس نوديه الذى أعده لمكتبةBibliotheca Cordisiana حيث جمع فى هذا القسم كل المؤلفين الذين كتبوا فى موضوع «التاريخ الفكرى» فيما عدا كتاب التراجم والذين ورد ذكرهم بعد «المؤرخين». وأحسن قطعة فى هذا القسم هى الخاصة بجامعى البيليوجرافيات Bibliothecae ، معدى فهارس المكتبات، أو الذين كتبوا عن المكتبات وهم الذين كانوا يسمون الكتبيين Bibliothecarii ونفس الوضع فى البيليوجرافيا البلجيكية والببليوجرافيا الفرنسية وببليوجرافيا باريس تحت نفس عنوان: الكتبيون .

ومن هنا نجد أنه مع بداية الأربعينيات من القرن السابع عشر بدأ تجميع «الببليوجرافيات» فى شعبة خاصة بها داخل قسم التاريخ الفكرى. وقد اعتبرت هذه الأعمال نفسها بمثابة إضافة إلى التاريخ الفكرى وجزءاً منه. ومن بعد جزنر فرضت الببليوجرافيات نفسها على أية خطة لتصنيف الفنون والعلوم ولم يكن لها اسم خاص لأن العمل الببليوجرافى اعتبر جزءاً من تاريخ الفكر.

ونحن لسنا على يقين من الشخص الذى ربط الببليوجرافيا بالتاريخ الفكرى ولكن الفكرة عموماً جاءت من مفهوم بيكون للتاريخ الفكرى الذى شرحناه سابقاً. وقد قام نوديه وجاكوب بتبنى هذا المفهوم وتوسيعه. ولكننا فى الواقع لانجد أثراً (للتاريخ الفكرى) كموضوع فى أى تصنيف فرنسى قبل جارنيير ولا نجده كذلك فى الفهرس الشهير: Catalogus Bibliothecae Thouanae والذى ظهر بعد تصنيف جارنيير بسنة واحدة (باريس سنة ١٦٧٩). والتصنيف المستخدم هنا تصنيف عتيق نسبياً ويرجع إلى اسماعيل بولياو- Ismail Boulliau العالم والصديق لنوديه والذى كان يعمل أمين مكتبة عند أسرة ثو Thou حتى ١٦٦٦. (١٠٥)

وهنا نجد لأول مرة الأقسام الخمسة التى ترتد فى أصولها إلى نظام المكتبات الباريسية Systéme des Libraire de Paris (فقط وضع التاريخ فى القسم الخامس بدلاً من الثالث) هذا التصنيف تسير أقسامه الخمسة على النحو الآتى : اللاهوت ـ القانون ـ التاريخ ـ الفلسفة (ويقصد بها العلوم والفنون) ـ الآداب. وهذا القسم الأخير يبدأ بالأجروميين (النحويين) وبقية القسم ادخر فقط للآداب وفى نهاية هذه الآداب وبدون عنوان دال نجد الأعمال المتعلقة بالأكاديميات والمكتبات، مكتبات بذاتها، معاجم المؤلفين، الأدلة الدراسية.[١٠٦] وهنا أيضاً نجد كتاب السير يأتون بعد «المؤرخون» كما هو الحال عند نوديه.[١٠٧]

ويتفق نوديه وجاكوب وبولياو على أن المطبوعات الببليوجرافية وتلك المتعلقة بالتاريخ الفكرى ينتميان إلى بعضهما البعض بل وأكثر من هذا فهم متفقون على أن هذه المطبوعات لا ينبغى أن توضع تحت «التاريخ» ولكن يجب أن تمثل فئة أو قسماً مستقلاً بذاته وقد وضعها نوديه فى البداية بعد اللاهوت مباشرة. أما جاكوب وبولياى فقد وضعاها فى النهاية فقد رأيا أن التاريخ الفكرى لا ينبغى اعتباره جزءاً أو ملحقاً (للتاريخ). وربما كان ذلك لأن أهميتها هى أهمية عامة لكل مجالات المعرفة. ولكن لو أن مؤرخى الفكر قد أطلق عليهم مصطلح Historia Litterarii فقد كان من الصعب فصلهم عن المؤرخين عموماً ولعل ذلك كان السبب الذى جعل نوديه وجاكوب يختاران مصطلح الكتبيين Bibliothecarii بينما آثر بولياى استخدام المصطلح العام. وأصبح الباحثون منذ ذلك التاريخ على وعى بالعلاقة بين التاريخ الفكرى والتاريخ العام وخاصة مكان الأول فى أية خطة للتصنيف. لقد كانت هناك محاولات مبكرة لفصل التاريخ الفكرى ـ ومعه الببليوجرافيا ـ وفى هذا الصدد فإن جارنيير يختلف مع الباحثين الثلاثة المذكورين سابقاً إذ اعتبر التاريخ الفكرى ليس كقسم مستقل ولكنه ملحق للتاريخ العام وقد وجد من يؤيده فى ذلك فى باريس فى ختام القرن السابع عشر رغم أن ببليوجرافيًّا آخر معاصراً له اختلف معه تماماً . هذا الببليوجرافى هو ادريان بيليه.

كان ادريان بيليه مديراً لإحدى» المكتبات الممتازة التى كانت مملوكة للمحامى العام فى لاموانون Advocat General Francois Chrétien de Lamoignon وقد اقترح نظام جارنيير لتنظيم المكتبات ولكن لعمله الببليوجرافى المعنون: تقييم الباحثين لأعمال كبار المؤلفين:

- Jugemens des scavans sur les principaux ouvrages des auteurs. (Paris, 1655-86)

استخدم نظاماً آخر،[١٠٨] وصف ذات مرة بأنه نموذج للنقد البناء[١٠٩] ولكنه للأسف لم يتم وكانت الأجزاء التى صدرت هى على النحو التالى:

١ـ مناقشة عامة فى نقد الكتب.

٢ـ أـ مؤلفو الأعمال التكنولوجية والفنية.

٣ـ ب ـ المترجمون.

٤ـ أـ ب ـ ج ـ د ـ الشعراء.

ولم يغفل الرجل ذكر الجغرافيين، النسابين، المؤرخين، رجال الآثار، الفلاسفة، الرياضيين، الطبيعيين، الأطباء، المحامين، القانونيين، السياسيين، الأخلاقيين، واللاهوتيين. وكل قسم من هذه الأقسام انقسم إلى عدة شعب وداخل كل شعبة رتب المؤلفين زمنياً وقد قيم كل عمل على حدة[١١٠] ولم يقتصر فى هذا التقييم على ما قاله الدارسون أو الباحثون فى الكتاب بل أعطى رأيه الشخصى كذلك[١١١] حتى فى وجود تقييم لكبار الباحثين ولذلك اعتبر عمله هذا بين الببليوجرافيات المشروحة Bibliographie Raisonné .

ويهمنا هنا بالدرجة الأولى القسمان المتعلقان بالنقاد. ويفرق بيليه بين النقاد التاريخيين (٢ـ أ) والنقاد اللغويون (٢ـ ب) حيث قصد بهذه الفئة الثانية اللغويين عموماً والذين كتبوا فى الأدب وخاصة الذين عرضوا للكتاب القدماء وحيث قال أن علم اللغة (الفيلولوجيا) كان ذات يوم أجمل جزء فى الأجرومية.[١١٢]

ولقد جاء فى رأس القسم الثانى أ أنه يضم :

«أعمال كبار الجامعيين، الشعبة الأولى تضم فاحصى الكتب أو مختارى الكتب والذين جمعوا فى كتبهم أعمال مشاهير الرجال، والذين أنشأوا فهارس الكتب أى الذين اهتموا بالأعمال الأساسية لجمع وحصر وتسجيل ووصف كتب كل مؤلف وأخيراً نقد وتصميم أسلوبهم وطريقة كتابتهم، دراسة مدى نجاحهم فى الحياة، والمنافع التى يمكن أن نخرج بها منهم.

ومحتويات الشعب فى هذا القسم هى:

١ـ جامعو الأعمال العامة (الببليوجرافيات الشاملة) [ومن بينهم ذكر فوتيوس، جزنر، بوسيفينو، درود]؛ فهارس الكتب المنسية في دول المنشأ (النشر).

٢ـ جامعو ومجموعات مؤلفى الزمن القديم.

٣ـ جامعو مؤلفات المذاهب الدينية.

٤ـ جامعو وكتاب مشاهير الرجال مرتبين حسب دولهم.

٥ـ المهن والعلوم والفنون.

٦ـ بعض الفهارس الخاصة بتجار الكتب، المكتبات وفى نهايته نجد فهرس سوق فرانكفورت، المؤلفون الذين كتبوا عن كيفية إنشاء مكتبة أو الذين كتبوا رسائل لغوية أو تاريخية عن المكتبات الشهيرة.

٧ـ المؤلفون الأساسيون الذين لم يتعرضوا بالنقد لكتب الآخرين بل فقط استخدموها فى كتبهم كمصادر لهم.

٨ـ الأدلة الدراسية.

هذا العمل الذى يجئ بعد ثلاثين عاماً من ببليوجرافية الببليوجرافيات Biblio-theca bibliatecarum التى جاءت حصراً دون شروح، يعتبر ببلوجرافيا للببليوجرافيات، مختارة ومشروحة بل ومنهجية فى فرنسا وباللغة الفرنسية.(١١٣)

وهو مثل لابيه يحصر نفس الأعمال فيما عدا أنه يحذف تلك المتعلقة بالمؤسسات العلمية والجمعيات لأنها فى نظره ليس لها صلة مباشرة بالتاريخ الفكرى. رغم أنه أنضج الأعمال أيضاً التى لها صلة بتاريخ المكتبات أو تروق لبيليه كأمين مكتبة. كما أنه اهتم بكتب مناهج البحث العامة رغم أنها ليست ذات صلة وثيقة بالتاريخ الفكرى اللهم إلا صلة محدودة. وقد أدرج كتب مناهج البحث فى الملحق فقط.

لقد كان العنوان الذى أعطاه بيليه لهذا القسم متميزاً فللأسباب التى شرحناها سابقاً وضع نوديه وجاكوب (وبطريق غير مباشر لابيه) تحت عنوانBibliothecarii جامعى القوائم (بالمؤلفين والعناوين) والتى كان يطلق عليها عادة اسم Bibliotheca وكذلك جامعى فهارس المكتبات. وكانت هذه الفئة أيضاً تضم مؤلفى المؤلفات الأخرى التى تدخل ضمن (التاريخ الفكرى). وقد شاركهم بيليه الرأى فى أن التجميعات البيليوجرافية ومؤلفات التاريخ الفكرى لا ينبغى أن تعتبر جزءاً من التاريخ العام ولكنها يجب أن تشكل فئة مستقلة بذاتها. والاسم الذى اختاره بيليه لجامعى البيليوجرافيات فى المذاهب الدينية أو فى دولة مستقلة هو: Bibliothéquaires (الفصل الثانى والرابع) وهو نفس المسلك الذى سلكوه وهو لم يعتبر هذا الرأى صالحاً لكل القسم ولذلك اختار عنواناً للقسم مصطلح Critiques وهو لا يعنى بهذا المصطلح جامعى البيليوجرافيات النسقية فقط ولكنه قصد به كذلك الفهارس الهجائية بالعنوان والخاصة بالمكتبات والتى أدخلها ضمن الأعمال البحثية. وفى الواقع فإن قوائم الكتب التى لا شروح فيها يمكن أن تتضمن بعض عناصر النقد الأدبى الأساسية. وفى بداية هذا القسم يقول عن النقاد «انهم أولئك الذين مهمتهم جمع وترتيب وتزمين أعمال كل مؤلف وتمييز كل منها.(١١٤) وعندما ميزهم بصفتهم Critiques Historiques فإنه قد فرق بينهم وبين المؤرخين الآخرين وباعتبارهم جامعى ببليوجرافيات وأعمال تنتمى إلى طائفة (التاريخ الفكرى) كما أنه ميزهم مرة ثانية بوضعهم فى مكان خاص بهم فى التصنيف بين العلوم والفنون. أما من سبقوه فأطلقوا

عليهم (Bibliotecarii) أو من لم يسموهم على الاطلاق (مثل بولياى) فإنهم لم ينجحوا فى ذلك. فهم جميعاً مثل نوديه وجاكوب وضعوا رجال اللاهوت المؤلفين فى البداية، ذلك أن نوديه قد وضع الوراقين Bibliothecarii بعد اللاهوتيين بينما جاكوب وبولياى وضعهم كآخر قسم فى تصنيفهما[١١٥] وعلى أى حال فإن هؤلاء الوراقين قد وضعوا فى قسم مستقل. لقد أراد بيليه مثل جزنر وضع اللاهوت كآخر قسم تتويجاً للتصنيف وفى هذه الحالة يجئ النحو فى البداية ولكن بيليه الذى جاء بعد جزنر بمائة وأربعين سنة كان أكثر منطقية حين وضع الببليوجرافيين فى البداية وقبل النحويين واللغويين حيث أن هؤلاء يخدمون جميع المجالات، وقد وضع بيليه هذه الفئة مباشرة بعد الطابعين فى بداية عمله. ولقد انقطع وضع الببليوجرافيين فى خطط التصنيف بعد ذلك حتى جاء مارشاند الذى وضع فهرس مكتبة فولتربيه Faultrier سنة ١٧٠٩.

من ناحية ثانية فإن جوهان هنريش هوتنجر ـ وقد أشرنا إليه مراراً من قبل ـ[١١٦] ونحن مدينون له بأول تصنيف للببليوجرافيات قد وضع الببليوجرافيات فى أخر شعبة Bibliothecas Scholas Academia typographias (Libri scholastici) من أخر قسم (Libri philosophici) من نظامه. وقد أشار إلى محتويات تلك الشعبة بأنها: «تضم الكتب وقوائم الكتب ومجموعات الكتب.[١١٧] وبمناسبة تسمية Libri scholastici فإن مؤلفاً شهيراً مثل فوسيوس - Vossius - قد أشار إلى التاريخ الفكرى على أنه التاريخ الدراسى- Historia scholastica - .[١١٨]

أما جوهانز لوميير Johannes Lomeier الأستاذ فى المدينة الهولندية زوتفن فقد أوصى فى الفصل الرابع عشر من كتابه المستفيض De bibliothecis (Zutphen, 1669)[١١٩] بنظامين ليس لأيهما علاقة بالتاريخ الفكرى أحدهما طوره بوسيفينو والذى يضم قسمه السابع والأخير (العموميات)، [المكانز، الكتب المرجعية، مجموعات الكتب، القواميس].[١٢٠] أما فى النظام الثانى فنجد الكتب العامة قد وضعت فى أول قسم من أقسامه التسعة، وهو أمر غير عادى تماماً.[١٢١]

إن خطوة أبعد فى تطور مفهوم الببليوجرافيا يمكن تلمسها فى دراسة مناهج الكليات الألمانية والجامعات الألمانية خلال القرن السابع عشر والثامن عشر فقد سرت الفكرة القائلة بأنه فى تصنيف الكتب يجب أن توضع الببليوجرافيات Bibliothecae مع موضوع (التاريخ الفكرى) وفى خلال النصف الأول من القرن السابع عشر جرت عادة الكليات على أن يتصدر المحاضرات الأكاديمية والكتب المقررة نبذة عن المؤلفين الذين أنتجوا كتباً فى هذا الموضوع.[١٢٢] وبعد ازدياد الرغبة فى مجال (التاريخ الفكرى) جرى التوسع فى تلك الإشارات الببليوجرافية حتى اكتسبت طابع التاريخ الفكرى للموضوع. وبعد هذا التوسع أحياناً كان يتم نشر هذه المقدمات مستقلة كمدخل إلى الموضوع وكجزء من التاريخ الفكرى له.[١٢٣] وفى حوالى منتصف القرن السابع عشر لم يكن من الشائع فى بعض المقررات أن تخرج خارج حدود الموضوع وأن تعالج التاريخ الفكرى بعامة والببليوجرافيا خاصة وقد بدأ بيتر لامبك هذا الاتجاه فقد اتخذ جابرييل نوديه مثله الأعلى خلال إقامته فى باريس ١٦٤٦ وابتداء من ١٦٥١ بدأ فى تدريس التاريخ فى الكلية فى جوهانسبرج ونتيجة لمحاضراته فى التاريخ الفكرى نشر كتابه الذى أشرنا إليه من قبل: Prodromus historiae Litterariae (هامبورج ١٦٥٩).[١٢٤] وكان من بين مؤيديه فى هذا الاتجاه فى الكتابة التاريخية فى هذا الفرع الجديد هيرمان كونرنج الذى عمل فى جامعة هيلمشدت وأصبح أستاذاً للفلسفة الطبيعية سنة ١٦٣٢ وأستاذاً للطب سنة ١٦٣٦ وأخيراً أستاذاً للعلوم السياسية سنة ١٦٥٠. وقد جعل من هذه الجامعة مكاناً حياً لدراسات (التاريخ الفكرى)[١٢٥] وهو مثل لامبك كان صديقاً ومعجباً بنوديه وربما بسبب هذا الاعجاب تعلم الاثنان من نوديه أمين مكتبة الكاردينال مازاران Mazarin[١٢٦] الذى اعتبره ستروف معلماً للألمان فى هذا الشأن،[١٢٧] وعلى سبيل المثال فقد قام كونرنج بإعداد مقرر عن التاريخ الفكرى العام منذ ميلاد المسيح حتى وقته وقد طبع بعد ذلك من مخطوطة بخط يده ترجع إلى سنة ١٦٦٤ بعنوان:

- Commentarius de scriptoribus xvi post Chr. n. saeculorum, cum prolegomenis et additionibus, ed. Gottl. Krantz, Pressburg 1703.

وهناك مخطوطة قديمة كانت فى حوزة جاكوب فردريش رايمان تؤكد أن كونرنج اشتغل بهذا الموضوع سنة ١٦٣٧ طويلاً قبل أن يبدأ لامبك محاضراته فى التاريخ الفكرى.[١٢٨] وأكثر من هذا فإنه قد نشر عملاً لخص فيه ست محاضرات تضمنت قطعة هامة من التاريخ الفكرى عن تاريخ الجامعات هذا العمل جاء بعنوان: الآثار الأكاديمية De antiquitatibus academicis. هلمشدت ١٦٥١؛ ط٢ ـ ١٦٧٤. وبسبب اختلاط وتداخل تاريخ الفكر مع تاريخ الكتب فقد كان من الطبيعى أن يقدم كونرنج إلى طلبته هذين الموضوعين كلاً على حدة والمطبوعات الخاصة بهما. ويتضح هذا ليس فقط من محاضراته فى الجامعة[١٢٩] ولكن أيضاً من تحريره لطبعة جديدة من البيليوجرافية السياسية لنوديه Bibliographia Politica (Helmstedt, 1667) ولم يكن كونرنج وحيداً فى هذا الاتجاه بل حذا حذوه كثيرون من الأساتذة فى هلمشدت وغيرها. بل إن البعض فعل المثل دون تأثر به مثل جوهان هنريش بوكلر فى ستراسبورج[١٣٠] والذين رأوا أن من المنطقى أن يحدثوا طلبتهم عن المطبوعات السابقة فى الموضوع.[١٣١]

ولقد ذهب كونرنج إلى أبعد من ذلك فقد رأى أنه لا يكفى أن يتحدث إلى طلابه عن الكتب السابقة فى الموضوع ولكنه شرح لهم كيف يمكن للواحد منهم أن يحصل على تلك المعلومات عن الكتب بنفسه وأحسن الطرق إلى معرفة الكتب Notitia Librorum . وهذه المشكلة قادته إلى وضع فصل فى كتابه عن تاريخ مكتبة ولفونبوتل Wolfenbuttel والذى وجهه على شكل خطاب إلى البارون جوهان كريستيان فون بوينبرج وكان بعنوان:

- De Bibliotheca Augusta quae est in arce Wolfenbuttelensi, Helmstedt, 1661.[١٣٢]

وقد بدأ هذا الكتاب (الخطاب) بمناقشة موضوع طبع فهرس المكتبة وأهمية

الفهارس فى معرفة الكتب وقد عرض لفهارس الطابعين وباعة الكتب وفهرس المعرض (يقصد فرانكفورت) والببليوجرافيات الأجنبية[١٣٣] ثم ختم حديثه قائلاً ولكن لماذا انزلق إلى هذا الحديث فليس من غرضنا هنا أن نعلم طرق تحصيل علم الكتاب أو معرفة الكتب ولكن ربما نهتم بهذا الموضوع فى يوم آخر من الأيام. .[١٣٤]»

ولكن كونرنج نفسه لم يناقش هذا الموضوع فى أى مطبوع بعد ذلك. ولكن يكفيه هنا أنه مس موضوعاً عولج فيما بعد كأحد القضايا الكبرى فى مجال (التاريخ الفكرى) بمعناه الواسع. هذه القضية التى عالجها كثير من الباحثين الألمان هى: كيف يحصل المرء على معرفة الكتب؟ ما هى الأدوات المعينة على ذلك «الأدوات المعينة على تحصيل المعرفة عن المؤلفين والتاريخ الفكرى» أو كما قال[١٣٥] دانييل جورج مورهوف ذات يوم بأن «العلم» الذى يمد المرء بالمعلومات فى هذا المجال (معرفة الكتب) يسمى الببليوجرافيا.

وعندما كان كونرنج مايزال على قيد الحياة نشر أحد تلاميذه المتخرجين وهو فالنتين هنريش فوجلر كتاباً باقتراح من بارون فون بوينبرج بعنوان: مقدمة عامة فى معرفة الكتّاب الممتازين فى كل فروع المعرفة:

- Valentin Heinrich Vogler: Introductio Universalis in notitiam cuiuscu - nque generis bonorum scriptorum. Helmstedt, 1670.

لقد عالج فوجلر الفكرة التى فجرها كونرنج وهى ايجاد طريقة لمعرفة جيدة للكتب وأول جملة فى كتابه تؤكد على أهمية «معرفة الكتب» حيث قال ما نصه «إن جوهر التعليم الجيد أن يقود إلى معرفة الكتب الجيدة».[١٣٦] ونفس الجملة تكررت مع قليل من الاختلاف فى كتابات كثير من خلفائه. وطبقاً لما قاله فوجلر ـ الذى اتخذ كونرنج مثلاً أعلى له ـ «فإن المرء يعرف عن الكتب بقراءة فهارس المكتبات وتجارة الكتب وأحسن لو زار المكتبات ومتاجر الكتب ولكن أحسن من هذا كله بدراسة هؤلاء المؤلفين الذين جمعوا المعلومات عن المؤلفين والكتب». ولهذا السبب فإن اهتمامه الأكبر كان إعطاء طلابه أكبر كمية من المعلومات عن

الأعمال البيوجرافية والببليوجرافية. ولقد قسم هذه الأدوات إلى اثنتى عشرة فئة. ولكنه لم يفصل فى نظامه هذا لأن هذه الفئات تتداخل. فالفصول الأربعة الأول بعد المقدمة تتعلق بفهارس المكتبات وتجارة الكتب بما فى ذلك فهرس المعرض الذى أعده درود Draud وببليوجرافية باريس والببليوجرافية الغالية (الفرنسية) التى أعدها الأب لويس جاكوب، وكشافات الكتب المنسية؛ والمجموعات العامة والقوائم العامة بالكتب والمؤلفين والكتابات والنقاد وكتب التراجم.[١٣٧] والجزء الرئيسى فى الكتاب وهو الفصول من السادس حتى السابع والعشرين يغطى قوائم المؤلفين والكتب، مجموعات المؤلفين فى مجال معين، دولة معينة أو مذهب دينى والمؤلفات السيدات وكتب التراجم والصور التى تناسب كل فئة. والتنظيم هنا يتمشى مع التنظيم الذى اتبعه كل هوتنجر وجارنييه الذى يقسم الببليوجرافيات فى[١٣٨] Bibliothecae Universales and Particulares. ولكن على النقيض من هذين الباحثين فإن فوجلر الذى جاء زمنياً بين الاثنين لم يضع فهارس المكتبات وتجارة الكتب كملحق للببليوجرافيات الخاصة ولكن وضعها فى البداية على رأس جميع الببليوجرافيات وبالمعنى الحديث جداً فإنه يفصل الفهارس عن الببليوجرافيات، قوائم الجرد عن قوائم الانتاج الفكرى.

وعند الحديث عن فهارس المكتبات هناك خاصية معينة لابد من ابرازها، سوف تظهر مرة ثانية فى الكتب المقررة المتأخرة. فقد قصر فوجلر همه على تسجيل القوائم، والكتب المرجعية والمجموعات وكلما سمح الظرف أضاف كتباً عن تاريخ المكتبات وفهارس حصرية للمكتبات. وسنده فى ذلك أنها (كتب تاريخ المكتبات) تضم فهارس ومعلومات عن الكتب.[١٣٩]

وفى آخر فصل من فصول كتابه ناقش فوجلر أهميات أنواع الببليوجرافيات order of merit وكان دليله فى هذا الترتيب مدى إضافة الببليوجرافيات إلى المعرفة الإنسانية وتقييمها لأعمال الباحثين وللباحثين أنفسهم. وقد أضفى أهمية خاصة وتقديراً على الببليوجرافيات المرتبة زمنياً والتى تقدم معلومات ببليوجرافية وبيوجرافية ضافية مع تقييمات نقدية لكل المفردات.

لم يعرف فوجلر قراءه بأحسن المؤلفين وأحسن الأعمال ولكنه عرفهم الطريق إلى تحصيل تلك المعرفة فقد أشار إلى المصادر (الفهارس والببليوجرافيات). وحيث أن مقدمته هى فى الواقع درس غير مباشر فى هذا الصدد فهى تعلم تحصيل العلم عن الكتب من الدرجة الثانية. والناقد Reviewer الذى عرض هذا الكتاب فى Acta eruditorum سنة ١٦٩١ قال عنه «هذا الكتاب الصغير نشر منذ عشرين سنة بواسطة المؤلف لا ليعرف بكل المؤلفين ولكن ليعرف هؤلاء الذين يبحثون عن تلك المعلومات كيف يصلون إليها».[١٤٠]

ولما كانت معظم المعينات aids التى قدمها فوجلر فى كتابه هى من الببليوجرافيات، فإنها تكون معرفة من الدرجة الثانية فإنها تتمشى مع نظرية الببليوجرافيا كمعرفة للكتب. ونحن نبحث هنا عن أول مرة ورد المفهوم الحديث للببليوجرافيا بمعناه الضيق. ولكننا مانزال نفتقر إلى مصطلح لهذه الببليوجرافيا ومن الوصف القصير لمقدمة فوجلر فإننا ببساطة ندرك أننا أمام كتاب حديث فى الببليوجرافيا. وللأسف هذا الكتاب لم يذكر فى أى كتاب عن تاريخ الببليوجرافيا رغم أنه أقدم كتاب دراسى فى الببليوجرافيا وشأنه شأن معظم الكتب الدراسية الحديثة يقدم كتاب فوجلر قائمة ببليوجرافيات مختارة. والحقيقة أن فوجلر لم يعرف بـ ببليوجرافيا الببليوجرافيات التى أعدها الأب فيليب لابيه إلا من خلال عرض لها فى مجلة Journal des Savants .[١٤١] والمقارنة بين عمل لابيه وعمل فوجلر يرجح كفة هذا الأخير وخصوصيته. لقد كان عمل لابيه مسحاً للانتاج فى مجال (التاريخ الفكرى) بما فى ذلك قوائم الانتاج نفسه.[١٤٢] ولقد كان هذا العمل مقدمة فى معرفة قوائم الكتب والمصادر الأخرى فى معرفة الكتب Notitia Librorum.[١٤٣]

ويبدو أن «العلم» الذى يعالج مصادر «معرفة الكتب» قد عرف فى جامعة هلمشدت بناء على ممارسة البروفيسور - كمجال خاص محدود فى إطار الميدان الواسع لمعرفة الكتب بل والميدان الأوسع وهو (التاريخ الفكرى) - أمام تلاميذه فى قاعات الدرس. هذا الكتاب الدراسى صدرت منه ثلاث طبعات وفى كل طبعة

نجد تنقيحاً وزيادة (كما حدث فى طبعة ١٦٩١ التى وضع عليها الحواشى والتعلقيات هنريش ميبوم Heinrich Meibom ‏١٧٠٠، ١٧٢٠) وحتى سنة ١٧٠٥ كان هذا الكتاب يخدم جامعة هلمشدت ككتاب مقرر دراسى فى موضوع (معرفة الكتب). وفى منتصف القرن السابع عشر أدركت دائرة كونرنج وغيرهم شيئاً مايزال مفقوداً حتى اليوم وهو أن دراسة قوائم الكتب (الببليوجرافيات) يجب أن تصبح جزءاً من الأداة الأكاديمية التى تعالج طرق البحث فى أى موضوع.

ففى التصدير وفى الفصل الختامى من عمله أشار فوجلر إلى الهدف من دراسة: معرفة الكتب ـ التى هى بالمعنى الحديث ـ وظيفة الببليوجرافيا، حيث ذكر بأن معرفة الكتب تتيح الطريق إلى تاريخ العلوم والفنون والآداب وتتيح الطريق إلى الحقيقة حول الكتب فعندما كان هناك فقر فى المسح التاريخى حول موضوع من الموضوعات فإن تعليم هذا الموضوع كان فى حالة بدائية وفوضوية.[(١٤٤)] هذه الفكرة تشكل الأساس الذى بنى عليه كتاب فوجلر، وهى الفكرة التى شاعت فى الفترة اللاحقة حيث ورد فى بعض المصادر أن الباحث يتقدم من معرفة الكتب خلال (التاريخ الفكرى) إلى البحث عن الحقيقة. والبحث عن الحقيقة يفترض بداية الإلمام التام بحالة العلم ولن يتأتى ذلك إلا من خلال معرفة الإنتاج الفكرى. ومن هنا اعتبر فوجلر معرفة الكتب ضرورية. وكيف يتقدم الإنسان لطلب هذه المعرفة، هذاهو مالم يعرضه فوجلر فى مقدمته. واليوم يدرس هذا الموضوع مع الببليوجرافيا التى لم تكن تعرف آنذاك بنفس هذا المصطلح.[(١٤٥)]

ولو أننا اخترقنا حاجز اللغة التى صاغ بها فوجلر فكره عن معرفة الكتب لأدركنا أن فكرته عن الموضوع هى فكرة عصرية فقد اعتبر معرفة الكتب بمثابة خادم للبحث أو كما قال تخدم البحث عن الحقيقة.

لقد عاش فوجلر عصر التنوير الذى اعتبر امتداداً لعصر النهضة: فترة بعث الفنون والعلوم فمع مطلع القرن الخامس عشر حاول العديد من الباحثين أن يفهم الدنيا من وجهة نظر تأصيلية ويفسرها بطريقة طبيعية وأكثر من هذا أن يخرجوا

باستنتاجات عملية من بحوثهم. ولقد كانت جهودهم هذه مصدر تأييد من الحكام ففى ألمانيا على سبيل المثال ـ قبل حرب الثلاثين عاماً ـ وبعدها على وجه الخصوص أراد الحكام أن يكون الباحثون جزءاً من بلاطهم كما أرادوا رجالاً مدربين فى مجالات العلوم والفنون لانجاز كثير من المهام فى الكنيسة وإدارات الحكومة، وأن يرفعوا من المستوى الثقافى والاقتصادى فى مجالاتهم. كما أن كثيرين منهم كانوا معنيين بالتعليم فجامعة هلمشدت ـ حيث كان فوجلر يدرس ـ هى إحدى المؤسسات الأكاديمية التى دانت بوجودها وازدهارها إلى السياسة التعليمية والارهاصات الثقافية التى خرجت من البلاطات الحاكمة.[١٤٦]

ولقد شعر الأساتذة والطلاب بأنهم أمام عدد كبير من الكتب وأنهم فى حاجة إلى ملاحقة ذلك الفيض الذى ألقت به الطباعة وبث المعلومات الموجودة فيه ومن هنا برزت مرة أخرى فكرة أن معرفة الكتب هى جوهر عملية التعليم والبحث أو كما قال فوجلر ذات مرة «إن أعظم جزء فى المعرفة المفيدة إنما يتأتى من معرفة أحسن الكتب».

ولكن بسبب العدد الكبير من المطبوعات فلم يكن من السهل أن نتعرف على أحسن الكتب ولقد كان هناك بالفعل عدد من القوائم (الأعمال) التى تسجل الكتب المنشورة ولكن هذه الأدوات كانت قيمتها محصورة فيمن يعرفونها. ولذلك شهد النصف الثانى من القرن السابع عشر فى ألمانيا طرقاً رسمية وتعليمية لتدريس «معرفة الكتب» وقوائم الكتب وغيرها من الأدوات الببليوجرافية. وبمعنى آخر دراسة الببليوجرافيا من الدرجة الثانية (أعنى قوائم الكتب) إلا أن مؤرخى الببليوجرافيا لم يتوقفوا أمام تلك الظاهرة الجديدة. ولقد كان أساتذة هذه «المعرفة» الجديدة فخورين بأنهم ابتدعوا وسائل جديدة للتعرف على مصادر التعليم وأن معاصريهم لم يقدروا جهودهم هذه. فمنذ كونرنج كان تدريس (معرفة الكتب) مرتبطاً بتدريس (التاريخ الفكرى) كما أن كونرنج قد برهن على أن المعرفة الببليوجرافية كان هدفها تقديم المعلومات عن التاريخ الفكرى.

وقد يكون من الصعب تتبع تطور تعليم معرفة الكتب من خلال التاريخ الفكرى ومن خلال الببليوجرافيا كأداة لتعليم التاريخ الفكرى. إنما يمكننا تتبع ممارسة ذلك العمل فى التعليم الثانوى والعالى فى ألمانيا منذ بدايته حتى وقت كونرنج حيث كانت مقتصرة على المناطق البروتستانت وحتى انتهاؤها فى القرن التاسع عشر.[١٤٧] ذلك أن الأنشطة التدريسية قد أفرزت ودفعت إلى الأمام بعدد من الكتب جرى استخدامها بكثرة وأعيد تحريرها وطبعها عدة مرات هذه الأعمال تفيدنا جداً فى موضوعنا وهو البحث فى تاريخ فكرة ومصطلح (ببليوجرافيا). من بين هذه الكتب أهمها جميعاً كتاب - Polyhistor - الذى ألفه أستاذ جامعة كييل: دانيل جورج مورهوف - Daniel Georg Morhof - (توفى ١٦٩١). هذا الكتاب الذى نشر جزئياً بعد وفاة صاحبه كانت له مكانة عظيمة حتى النصف الثانى من القرن الثامن عشر. ولكن منذ القرن التاسع عشر اعتبر قديماً بالنسة لعنوانه بل واحتقر.[١٤٨] وعندما صدر الجزءان الأولان من الكتاب ١٦٨٨ استقبلهما بحفاوة شديدة كريستيان توماسيوس Christian Thomasius وقد أعلن توماسيوس أن مورهوف استحق الشرف العظيم من معاصريه ومواطنيه بسبب هذا الكتاب. ولكى نفهم ذلك فلابد من التعرض لمحتويات هذا الكتاب.[١٤٩]

يقول جوهانز موللر Johannes Moller أول محرر للكتاب الكامل Polyhistor (لوبك ١٧٠٧ - Lübeck 1707).[١٥٠] بأن هذا الكتاب قد سجل فى قائمة خطية بكتابات مورهوف باسم: موسوعة الببليوجرافيا: موضوع الببليوجرافيا بصفة عامة ومعظم المؤلفين المشاهير فى كل مجال.

- Encyclopaedia bibliothecaria, de re bibliothecaria in universum et de praestantissimis in omni doctrina autoribus.

وقد نشر مورهوف مخططاً للعمل كله سنة ١٦٨٦ وأعاد موللر طبعه. يشمل العنوان الفرعى: «معرفة المؤلفين والموضوعات» - De notitia scriptorum et rerum - وقد قيل إن هذا العمل هو ثمرة محاضرات مورهوف فى موضوع «معرفة المؤلفين» وهذا هام لمعرفة العمل.[١٥١]

إن العمل الكامل - polyhistor - يتألف من ثلاثة أجزاء هى : «الخبير فى الأدب، أى الإنتاج الفكرى»، «الخبير فى الفلسفة»، «الخبير فى العلوم التطبيقية» وقد قسم كل جزء إلى مجموعة من الكتب: وسوف نفصل الحديث عن الكتب الثلاثة الأولى من الجزء الأول ذلك أن الكتاب الرابع فى هذا الجزء (كتاب النحو) يأتى في بداية الأقسام الخاصة بالمجالات الفردية حيث يشرح مورهوف كل مجال على حدة مجالاً مجالاً ويعالج المؤلفين فى كل مجال بترتيب زمنى ويتعمق جزئيات المجال الواحد ولو بطريقة غير متساوية. وكلما تقدمنا فى الكتاب تتأخر الموضوعات ويتقدم الكتاب فى المعالجة.(١٥٢) وبينما الجزء الأول من هذا العمل polyhistor (ابتداء من الكتاب الرابع) يتضمن موسوعة منهجية بكل مجالات المعرفة مع التركيز على التاريخ الفكرى والببليوجرافيا فإن الجزء الثالث ليس إلا مجرد دليل بالإنتاج الفكرى فى المجالات. ولن يتأتى تفسير ذلك إلا بفحص الهدف من الكتاب. فالهدف منه هو ليس مجرد إعطاء الطلاب معلومات عن الكتب وإنما عن الموضوعات كذلك.(١٥٣) وقد بدأ مورهوف فى توسيع مخطوطة محاضراته عن (معرفة الكتب) ليؤلف منها عملاً موسوعياً فى التاريخ الفكرى والببليوجرافيا ولكنه مات قبل أن يتمه.

والعنوان الذى استقر عليه مورهوف لكتابه وعنوان الفصل الأول (المعرفة الجامعة) (De polymthia) تسببت فى سوء فهم.(١٥٤) فأستاذ كييل العظيم طمح مثل كثير من معاصريه فى ذلك القرن كما ليبنز Leibniz إلى المعرفة الجامعة وقد رفض ليس فقط التخصص الضيق فى موضوع واحد من المعرفة ولكن أيضاً السطحية فى مجالات متعددة فى وقت واحد وقد آمن بالمعرفة الجامعة المتعمقة فى نفس الوقت. وكان من مبدئه أن المرء يجب أن يلم بكل المعرفة الإنسانية إلماماً دقيقاً ثم يتعمق بعد ذلك فى موضوع واحد ويتخصص فيه وحده. ومن هنا كان اتجاهه فى الفصل الأول الذى حاول التوازن فيه بين المعرفة العامة الواسعة والتخصص العميق فى واحد فقط.(١٥٥)

إن الكتب الثلاثة الأولى من الجزء الأول التى تسبق الكتاب الرابع الذى يعالج المجالات الفردية هى:

١ـ كتاب عن الببليوجرافيا.

٢ـ كتاب عن المنهج (طرق الدراسة)

٣ـ كتاب التحضير (الاقتباس والتلخيص).

والكتاب الثانى والثالث لا يحتاجان إلى تعليق. أما الأول فهذا يستحق وقفة متأنية، ذلك أن المخطط الذى نشر عن هذا العمل سنة ١٦٨٦ كان يحمل العنوان الفرعى: موضوع الببليوجرافيا عموماً؛ أدوات تحصيل المعرفة عن المؤلفين والتاريخ الفكرى، الخطابات، الببليوجرافيات، الكتاب الشعبيون Writers of commonplaces

- De re bibliothecaria in universum, de subsidiis ad notitiam autorum et historiae literariae parandam, epistolarum, vitarum, Locorum communium scriptoribus.(١٥٦)

وبعد فصل واحد عن المعرفة الجامعة polymathia وآخر عن التاريخ الفكرى أخذ مورهوف يعالج قضيتين أساسيتين:

أ ـ المكتبات بعامة وخاصة : إنشاؤها، تجهيزها، تنظيمها وتاريخها (فصول ٣ـ٦)، المجموعات الخاصة (كتب، مخطوطات، الكتب المحظورةCondemned Books، الأعمال ذات الأسماء المستعارة، الأعمال مجهولة المؤلف..) (فصول ٧-١١) ثم بعد فترة من التداخل هناك أربعة فصول عن الجمعيات العلمية، المتعلقة بالمكتبات والكتب.

ب ـ أدوات تحصيل المعرفة عن الكتب ـ أدوات تحصيل المعلومات عن المؤلفين والتاريخ الفكرى ـ مقدمة عن الكتاب والمطبوعات (مثل مقدمة فوجلر) ـ النقاد (يقصد نقاد الكتب) مثل فوتيوس وجزنر وبيليه ـ الدوريات ـ أعمال عن التاريخ

الفكرى مثل عمل لامبيك Prodromus كتب متعلقة بتنظيم وتاريخ المكتبات (أى مصادر عن المادة العلمية فى موضوعات الفصول ٣-٦) - الببليوجرافيات العامة والمتخصصة - فهارس المكتبات وتجار الكتب بما فى ذلك فهرس المعرض الألمانى - وما شاكلها - التراجم (الفصول ١٦-١٩).

ودعنا نبحث فى القضية الثانية أولاً : فهى تشبه ما جاء عند فوجلر فى مقدمته وهو يشير إلى مورهوف(١٥٧) وهى تمثل مقدمة عامة فى معرفة الكتب من الدرجة الثانية وهى تأتى فى مرتبة تالية لمعرفة الكتب المباشرة التى هى من الدرجة الأولى. هذه المعلومات التى وردت ابتداء من الكتاب الرابع. وقد قدم مورهوف هذا الجزء من كتابه على سائر المعلومات عن المجالات المتخصصة (أى معرفة الكتب من الدرجة الأولى) مع حصر بالببليوجرافيات المتخصصة والعامة والأدوات المعينة فى التعرف على الإنتاج الفكرى (معرفة الكتب من الدرجة الثانية). ولقد نظم مورهوف قوائم الكتب - مثل فوجلر ومن قبله هوتنجر إلى: فهارس عامة ومتخصصة Catalogi (bibliothecae universales and particulares

كما فرق بين فهارس كل العصور catalogi perpetui وفهارس العصر الواحد catalogi temporales(١٥٨) وفى هذا نجح فى تحديد فئات قوائم الكتب وقد وضع بين القوائم الخاصة بالفترة الواحدة فهرس المعرض الألمانى والذى كان يعتبر حتى ذلك الوقت من بين فهارس تجارة الكتب كما أدرج فهارس المصطلح الانجليزى catalogs وغيرها من القوائم الوطنية والعالمية الدورية التى تغطى المطبوعات الجديدة التى يمكن أن توجد فى كل المدن والجامعات الأوروبية.

وعلى الرغم من أنه يفصل بين مقدمة فوجلر وبين نشر الكتب الثلاثة الأولى من الجزء الأول من عمل مورهوف، أقل من عقدين من الزمان فقد شهدت هذه الفترة تحسناً ملحوظاً فى دنياالبحث فقد ظهرت الدوريات العلمية ephemerides على المسرح وكان لها تأثير عظيم ولم يعرف فوجلر سوى دورية Journal des savants حيث ذكرها بين ما أسماه critiques (Judicia) وبعد ببليوجرافية كل من

فوتيوس وجزنر.[١٥٩] أما مورهوف فقد سجل عدة دوريات وكان أكثر وعياً من فوجلر بأهميتها وهو يسجل دوريات عرض الكتب والدوريات المتخصصة معاً Judicia and ephemerides وهو لم يعتبرها مثل فوجلر أدوات معينة فى معرفة الكتب ولكنه عالجها فى البداية بعد المقدمة[١٦٠] وعلى العكس من فوجلر فإنه سجل فهارس المكتبات وباعة الكتب فى البداية بعد الببليوجرافيات كما فعل هوتنجر وقد حذا حذوهما فى تنظيم الببليوجرافيات المتخصصة Bibliothecae particulares .[١٦١]

وفى نقطة أخرى اختلف مورهوف عن فوجلر اختلافا بيننا فكلاهما اعتبر فهارس المكتبات مصدراً من مصادر معرفة الكتب ولكن فوجلر ذكر الانتاج الفكرى المتعلق بتاريخ وتنظيم المكتبات باقتضاب وسرعة عند مناقشته لفهارس المكتبات وبسبب احتمال أنها تتضمن فهارس لتلك المكتبات ومعلومات عن الكتب التى تقتنيها تلك المكتبات. أما مورهوف فقد ناقش بالتفصيل المطبوعات التى كتبت عن المكتبات تحت عنوان (أدوات تحصيل المعرفة عن المؤلفين والتاريخ الفكرى) الفصل ١٧ من الجزء الأول. كما ناقش بعمق بعض القضايا المتعلقة بادارة وتاريخ المكتبات.

أما القسم الأول من الكتاب الأول (الفصول ٣-٦) فلا يقدم معلومات ذات أهمية ولكنه يكشف عن أن مورهوف اعتبر إدارة وتاريخ المكتبات وقوائم الكتب عموماً (الببليوجرافيات Bibliotheca) أهم الأدوات التى يرجع إليها فى تحصيل المعلومات. وقد ورد فى ذلك القسم معلومات عامة من بينها على لسان مورهوف «أن التاريخ الببليوجرافى أو المعرفة.[١٦٢] التاريخ الببليوجرافى ينقسم عموما إلى:

١ـ معرفة المكتبات العامة والخاصة سواء فى الأزمنة السابقة أو الحاضرة، تلك التى وجدت وما زالت على قيد الحياة.

٢ـ المؤلفون الذين يفحصون الكتب ويعارضونها ويقارنون فيما بينها ويجمعونها.

وطبقاً لهذا فإن المعرفة أو التاريخ الببليوجرافى هو فى نظره معرفة المكتبات ولها معنيان يتمشيان مع المعنى المزدوج لكلمة Bibliotheca المعروفة لكل الباحثين

في ذلك الوقت معنى مكتبة (مجموعة من الكتب) ومعنى (قائمة بالكتب).[١٦٣] ومن الطبيعى أن يكون هذا الموضوع بشقيه جزءاً من التاريخ الفكرى[١٦٤] كما ذهب مورهوف فى كتاب رقم I التاريخ الببليوجرافى Historia bibliothecaria كمسح لتاريخ وإدارة المكتبات وتاريخ الببليوجرافيات سواء العامة أو المتخصصة وغيرها من الأدوات المعينة فى تعلم الكتب (معرفة الكتب من الدرجة الثانية. هذا المسح اتبع بمناقشات منهجية وفنية فى كتاب رقم II وكتاب رقم III . أما الكتاب رقم IV (كتاب عن النحو) فهو بداية دليل ببليوجرافى عن الإنتاج الفكرى المتخصص في المجالات المختلفة للمعرفة البشرية (معرفة الكتب من الدرجة الأولى) وكل كتاب اعتباراً من الكتاب رقم IV يمثل (Bibliotheca) (ببليوجرافية) أى مسحاً بالإنتاج الفكرى المتخصص فى مجال محدد وهذا يفسر لماذا سعى مورهوف إلى تسمية العمل كله Encyclopaedia Bibliothecaria (الموسوعة الببليوجرافية). أما فى الاسم الذى استقر عليه الأمر فى النهاية Polyhistor فإن الكتب الثلاثة الأولى تمثل مقدمة عامة لدنيا الفنون والعلوم وطرق البحث العلمى.

ولنعد مرة ثانية إلى التاريخ الببليوجرافى Historia bibliothecaria الذى أثاره مورهوف فكما رأينا من قبل فإن تاريخ وإدارة المكتبات وقوائم الانتاج الفكرى هى جميعاً جزء من (التاريخ الفكرى) وكان إدماج هذين القسمين معاً فى قسم واحد داخل مجال (التاريخ الفكرى) لا يمكن تحقيقه نظرياً فليس هناك علاقة بين مجموعات الكتب فى التاريخ القديم وقوائم الكتب الطبية إلا بنفس العلاقة الموجودة بين تاريخ المكتبات وتطور الكتابة والطباعة التى ناقشها مورهوف فى الكتاب الرابع. والمرء لايمكن أن يوجد مثل هذه العلاقة إلا بسبب المعنى المزدوج لكلمة Bibliotheca فقد شعر مورهوف بضرورة اعتبار المكتبات والببليوجرافيات موضوعين أساسين فى مجال متخصص كما كانت هناك حاجة عملية إلى إدماج مقدمة فى إدارة وتاريخ المكتبات مع مسح بقوائم الانتاج الفكرى وغيرها من الأدوات المعينة لمعرفة الكتب، مع مقدمة عن الببليوجرافيا، ربما لأن المكتبات جعلت معرفة الكتب سهلة ممكنة، ومعرفة الكتب فى المقابل ساندت ودعمت المكتبات (مجموعات الكتب). وكثير من فهارس المكتبات يمكن استخدامها

كببليوجرافيات وكثير من الببليوجرافيات تستخدم كفهارس للمكتبات وعلى سبيل المثال ببليوجرافية جزنر. كما أن الفهارس والببليوجرافيات كلاهما عرضة لنفس المشاكل الخاصة باختيار المدخل وترتيب المفردات. ولما كان هناك تداخل بين عمل المكتبة والعمل الببليوجرافى إلى حد كبير فكان من الطبيعى أن تعالج الجوانب المختلفة من إدارة المكتبات مع الببليوجرافيا. وفهارس المكتبات التى كانت تعتبر إلى حد كبير أدوات فى معرفة الكتب، شكلت البؤرة التى جذبت ـ مع الببليوجرافيات ـ المادة المتعلقة بإدارة وتاريخ المكتبات. ومن جهة ثانية فإنه على عهد مورهوف كان من المعتاد فى بعض الجامعات فيما بعد أصبح دور أمناء المكتبات الجامعية أن يدمجوا مقدمة استخدام الطلاب للمكتبة مع بعض المعلومات الأولية فى الببليوجرافيا. ومورهوف نفسه أدمجهما معاً فى محاضراته التى ألقاها سنة ١٦٧٢[١٦٥] قبل أن يصبح مديراً لمكتبة جامعة كييل بفترة طويلة فى سنة ١٦٨٠[١٦٦]. ومن ثم لم يعترض أحد عندما أدمج العنصرين معاً فى كتابه عن Polyhistor وعلى العكس فإن مؤلفى الكتب المقررة فى التاريخ الفكرى والببليوجرافيا حذوا حذوه كما سنرى بعد قليل.

وفى نهاية الكتاب رقم I يناقش مورهوف قيمة التاريخ الببليوجرافى Historia Bibliothecaria (الفصل ٢٠ : قيمة كل التاريخ الببليوجرافى) فهو يسأل ما قيمة العمل الذى يقوم به مؤلفو الببليوجرافيات هؤلاء الذين بحثوا المكتبات بعامة أو مكتبات الكليات أو بحثوا فى الموضوعات الفكرية المختلفة ثم يجيب على ذلك بجسارة أبعد مما ذهب إليه فوجلر[١٦٧] «إن معرفة الببليوجرافيا هى وحدها التى تمهد الطريق لكامل المعرفة فى جميع الأشياء». . ويبدو للوهلة الأولى أن مورهوف قد بالغ فى قيمة علم المكتبات والببليوجرافيا والعلوم المساعدة لهما والتطبيق الذى هو المنهج الأساسى فى البحث العلمى، ومن جهة ثانية فإن عبارته تحمل بعض الصدق فنتائج كل الجهود الفكرية مضمنة فى الكتابات العلمية ومن يريد أن يتعلم فى موضوع معين عليه أن يقرأ الانتاج المكتوب فى هذا الموضوع ولكن كيف يقرأ وكيف يحصِّل؟ إنه يفعل ذلك من خلال الببليوجرافيات والمكتبات. (اليوم يتعلم الطلاب دون أن يستعملوا المكتبات

والببليوجرافيات) وكان مورهوف أول من علم كيفية الاستفادة من المكتبات والببليوجرافيات. لقد علم طلاب الجامعة وعرفهم بقوائم الكتب وكان فخوراً أن يكون دليلاً(١٦٨) فى ذلك أشار إلى طريق الكتب ومصادر المعرفة ولذلك اعتبر قضيته هذه فى غاية الأهمية.(١٦٩)

واستئنافاً لمناقشة الجملة المذكورة بعاليه اقترح مورهوف على السلطات الحاكمة أن تجمع الأخصائيين فى مجالات المعرفة المختلفة ليعملوا معاً على إنتاج ببليوجرافية عالمية بكل المؤلفات.(١٧٠) وكان على يقين من أن مثل هذا الانجاز العظيم سيكون له فائدة قصوى على العلوم والفنون ويمكن أن يؤدى إلى معرفة جديدة. ومن جهة ثانية فإن مما يرد إلى الذهن بالنسبة لمورهوف لم تتضمن التاريخ الببليوجرافى(١٧١) Historia Bibliothecaria أى فقط الببليوجرافيا بمعناها الواسع ولكن أيضاً تاريخ وإدارة المكتبات ولذلك لم يسع إلى نحت اسم للببليوجرافيا من الدرجة الثانية فى صيغتها كمعرفة بقوائم الكتب. ولنتذكر أن مورهوف ـ على عكس فوجلر ـ هو الذى فصل نقاد الكتب فى الدوريات (الشطر الثانى فى التاريخ الببليوجرافى) عن المؤلفين العاديين واعتبر قوائم الكتب أدوات لتعلم علم الكتاب. وكانت هذه على الأقل هى البداية. ولم يقبل مؤلفو الكتب الدراسية المتأخرين فى الببليوجرافيا المصطلح الغامض Historia bibliothecaria ولم يفرقوا بوضوح بين أدوات تحصيل المعرفة عن المؤلفين ومعرفة المؤلفين نفسها.(١٧٢)

ولو قارنا بين عمل مورهوف وعمل بيليه الذى ظهر قبل عمل مورهوف بثلاث سنوات (critiques) ستكون الفروق بين الباحثين أكثر وضوحاً. فبيليه باعتباره رجل أدب ركز على النقد الأدبى فى عمله الببليوجرافى أما مورهوف الأستاذ الأكاديمى الذى يدرس للشباب فى الجامعة فقد كان تركيزه على معرفة الكتب لتحسين معرفة الموضوعات. وكلاهما نال تأييد معاصريه وكانت وجهة نظر مورهوف هى الأشمل والأوسع ولذلك صفق له توماسيوس بشدة وقال ما نصه «إن مورهوف دل الطلاب والأساتذة أيضاً فى الجامعات الألمانية كيف يتغلبون على جهلهم وضيق أفقهم».

ومن بين الباحثين الشباب الذين استأنفوا عمل فوجلر ومورهوف : ستروف الذى سبق ذكره، مؤلف أشهر المقدمات فى معرفة الكتب خلال القرن الثامن عشر. وهو يستحق وقفة خاصة: فمنذ سنة ١٦٩٧ عمل ستروف أميناً لمكتبة الجامعة فى جينا. وفى سنة ١٧٠٤ أصبح أستاذاً للتاريخ وفى سنة ١٧٣٠ ظفر بكرسى القانون.[١٧٣] وبحكم خبرته فى المكتبة كان يمزج فى كثير من محاضراته بعض المعلومات عن المكتبات والببليوجرافيا والتاريخ الفكرى. وقد حذا هنا حذو أستاذه المؤرخ فى جامعة جينا كاسبر ساجيتاريوس Caspar Sagittarius والذى كان فى سنة ١٦٧٩ يعمل فى المكتبة ويدرس على يد كونرنج و بوس.[١٧٤]

وقد ذكرنا من قبل أدلة الإنتاج الفكرى التى أعدها ستروف فى مجال القانون والفلسفة والتاريخ وهى

- Bibliotheca Juris selecta - Bibliotheca philosophica - Selecta bibliotheca historica.[١٧٥]

وقد كانت هذه الأدلة ثمرة عمله فى :

- Introductio ad notitiam rei Litterariae et usum Bibliothecarum (Jena 1704).

والذى نشره مباشرة بعد ببليوجرافية القانون

وعنوان هذا الكتاب قريب من العنوان الذى استخدمه فوجلر فى مقدمته رغم أن جزءاً كبيراً من هذا الكتاب يتصل أساساً بأدوات معرفة الكتب، والببليوجرافيات والتراجم والببليوجرافيات الحيوية. ومع ذلك فقد كان مورهوف بين كل من ستروف وفوجلر، وقد اتبع ستروف ومورهوف أكثر مما اتبع فوجلر ومع ذلك فقد تناول باختصار ماتناوله مورهوف بالتفصيل فى كتابه الأول من ال Polyhistor.[١٧٦]

ولأن ستروف اتبع مورهوف فقد وضع نفس المعلومات كمؤلف ومحاضر أعنى مقدمة عن المكتبات والإنتاج الفكرى.[١٧٧] ففى الفصلين الأول والثانى ناقش

المكتبات الألمانية وفهارسها وقضية استخدام المكتبات وطرق البحث. والفصلان الثالث والرابع اللذان يمثلان صلب المادة العلمية يتعلقان بأدوات معرفة الكتب العامة وهو يناقش الدوريات أولاً وقد جاءت معالجته لها وصفاً وتقييماً فى معظم الفصل الثالث (فقرات ـ ١-٣٦). وهى تسبق حتى مقدمة الفصل (الفقرات ٣٧-٣٨)، وتنفصل عن عروض الكتب outigues التى لم تجر مناقشتها قبل الفصل الرابع (الفقرات ١٣-١٦). أما مورهوف فقد سجل الدوريات بعد النقاد critiques . أما ستروف بوضعه لها فى البداية فقد اعترف بخصوصيتها وأهميتها فى هذا الصدد. وفى زمن ستروف يجئ وضع مسح الدوريات فى البداية أهم جزء من العمل فى نفس أهمية إصدار دوريات متخصصة فى عرض الكتب فى زماننا هذا. وعلى عكس أسلافه فإنه لم يعتبر فهرس المعرض الألمانى وغيره من قوائم المطبوعات الجديدة أمراً يستحق الذكر.

وعند مناقشة ستروف لأدوات معرفة الكتب استبعد فى مقدمته ـ ربما بسبب الأدلة الدراسية المتخصصة التى أعدها ـ كل الأدوات المتخصصة فى موضوع واحد معين. وعالج فقط الببليوجرافيات الدولية والوطنية وكتب التراجم والببليوجرافيات الحيوية وأدلة معرفة الكتب الحديثة جداً والقواميس الشاملة والتاريخية. وعلى الرغم من وجود مفردات كثيرة بعنوان Bibliotheca بين المفردات التى أدرجها ستروف فى عمله فإنه لم يعنون عمله كما ذهب مورهوف باسم Historia (Notitia) Bibliothecaria (أى معرفة المكتبات/ والببليوجرافيات بالمعنى المزدوج) وبدلاً من ذلك فضل المصطلح التقليدى (Notitia Librorum) Notitia rei Litterariae معرفة الكتب أو معرفة الإنتاج الفكرى فى علاقتها بالمكتبات. ولذلك نقد رايمان ـ الذى كان يقدر عمل ستروف ـ العنوان من أن عمل ستروف لم يكن مقدمة فى معرفة الكتب بل مقدمة فى معرفة المؤلفين الذين من خلالهم نحصل على معرفة الكتب (يقصد الببليوجرافيين).[١٧٨] ولقد كان هذا النقد صحيحاً ولكنه لم يكن موجهاً لستروف وحده ذلك أن معظم الباحثين كانوا يستخدمون المصطلح (معرفة الكتب Notitia Librorum) دون

التفريق بين معرفة الكتب من الدرجة الأولى والدرجة الثانية. معرفة الكتب من الدرجة الثانية أى معرفة القوائم التى تسجل الكتب وغيرها من الأدوات المماثلة لأن هذه المعرفة الأخيرة افتقرت فى الواقع إلى مصطلح يدل عليها حتى رايمان نفسه الذى كان يفرق تماماً بين أدوات معرفة المطبوعات، ومعرفة الإنتاج الفكرى مباشرة لم يجد مصطلحاً يدل به على معرفة الكتب من الدرجة الثانية.

لقد أوجد ستروف فرقاً آخر وجد تأييداً واسعاً عن طريق كل الباحثين الذين اتبعوه: معرفة الكتب البحثية ومعرفة الكتب التجارية، وقد شرح أن أحدهما يتعلق بالكتب نفسها (ككيان فكرى) والآخر يتعلق بنشرها (ككيان مادى). وقد جاء هذا التفريق من جانب ستروف نتيجة دخول تجارة الكتب القديمة إلى المجال تلك التجارة التى فرضت على المجال تجاراً ملمين بنوع معين من معرفة الكتب ولو أراد ستروف أن يحذر الدارسين الشباب الذين أرادوا أن تكون معرفة فارغة (مجوفة) بالكتب والعناوين والتى تؤدى إلى الافتقار إلى معرفة المضمون المبنى على (التاريخ الفكرى) ولذلك سعى ستروف إلى التفريق بينهما رغم صعوبته من الناحية العملية.. ورغم الصعوبة البالغة فى التفريق فقد حاول ستروف وخلفاؤه من الناحية النظرية إبراز ذلك الفرق بين النوعين من معرفة الكتب. بل إن ستروف ذهب إلى أن الباحث لا ينبغى له أن يدرس معرفة الكتب من المدخل التجارى الذى يسعى إلى معرفة الفروق بين خصائص الطبعات وتزمينها.[١٧٩] ولذلك عالج فى الفصل الخامس والأخير تاريخ الطباعة وتجارة الكتب ورغم أن أسلافه قد قدروا فهارس الطابعين وتجار الكتب كمصدر من مصادر الحصول على معرفة الكتب فقد استبعدها ستروف من حسابه ولم يأت عليها أحياناً إلا عرضاً. وعلى الرغم من أن تاريخ ومعرفة الطباعة وتجارة الكتب كانت تدخل ضمن (التاريخ الفكرى) Historia Litteraria فقد أقدم ستروف على ربطها أكثر بمعرفة الكتب[١٨٠] Notitia Librorum كما فعل مورهوف من قبل مع معرفة المكتبات وتاريخ المكتبات وقد وجد ذلك أيضاً تأييداً واسعاً ومنذ ذلك الحين فصاعداً أصبحت دراسة الكتب والمكتبات مربوطة إلى الببليوجرافيا.

وفى سنة ١٧٠٦ ظهرت طبعة جديدة وموسعة ثانية من عمل ستروف. وهذه الطبعة بحق هى التى تتمشى مع مفهوم المؤلف عن معرفة الإنتاج الفكرى (Notitia rei Litterariae) . فقد بدأت هذه الطبعة بفصل هام بعنوان (التاريخ الفكرى العام): الفصل الأول. وقد سجل هنا الأدوات العامة فى معرفة الكتب ماعدا الدوريات، كتب التراجم، وعروض الكتب، وفى الطبعة الأولى سجلت هذه الأدوات فى الفصلين الثالث والرابع. وفى فصلين جديدين (الثانى والثالث) عالج المكتبات بصفة عامة وفى فصل عن المجموعات الأجنبية والمفقودة عالج المكتبات الألمانية باستفاضة أكثر مما فعل فى الطبعة الأولى (١٧٠٤) وذلك فى الفصل الرابع. وناقش استخدام المكتبات فى الفصل الخامس. هذا الفصل اتبع بفصل عن الدوريات (السادس)، كتب التراجم (السابع)، وعروض الكتب (الثامن) وجاء الفصل (التاسع) عن الكتب المحظورة Forbidden books والفصل (العاشر) عن الجمعيات العلمية. وكما حدث فى الطبعة الأولى جاء الفصل الأخير (الحادى عشر) عن تاريخ الطباعة وتجارة الكتب. هذا الترتيب حوفظ عليه فى الطبعات التى وتلت التى كانت تتوسع باستمرار. والطبعة السادسة والأخيرة حررها فردريش جوجلر Friedrich Jugler وراجعها مراجعة كاملة وأصدرها بعنوانBibliotheca historiae litterariae selecta. Jena 1754 - 1763.

والفصل الأول الجديد له أهمية خاصة لأن ستروف فى هذا الفصل عرف تعريفاً قاطعاً أكثر من غيره مجال (التاريخ الفكرى) Historia Litteraria بمعناه الواسع ومعناه الضيق. حيث هو أساساً تاريخ ومعرفة الفنون والعلوم وبالذات فى المطبوعات ذات الصبغة الأكاديمية والبحثية. وعندما ناقش فكرة (التاريخ الفكرى) فى العصر الباروكى كان قمة ودائماً يرجع إليه فى هذا الصدد.(١٨١)

ولقد ناقش ستروف فى هذا الفصل قيمة الإنتاج الفكرى للتقدم ونص عبارته (Proceeding for beyond). ذلك أن ترقية العلوم والفنون إنما تتأتى من معرفة ما كتب وتسجيل ما توصلنا إليه.(١٨٢)

دعنا بعد ذلك ننظر فى كتابين آخرين من الكتب الدراسية فى معرفة الكتب ليس كعمل مستقل وإنما كجزء من (التاريخ الفكرى). أحدهما جمعه جاكوب فردريش ريمان Jakob Friedrich Reimmann صديق ليبنز Leibniz وأحد الباحثين وقد مات قسيساً أول senior minister على مذهب البروتستانت فى هيليشايم(١٨٣) وهذا الكتاب بعنوان: محاولة فى مقدمة إلى التاريخ الفكرى بعامة وإلى التاريخ الفكرى للألمان بخاصة:

- Versuch einer Einleitung in die Historiam Literiam sa wohl insgemein als auch in die Historiam Literariam derer Teutschen in sonderheit. Magdeburg. 1705-13.

واستخدام اللغة الألمانية ـ ولو أنها جاء مشوبه بكلمات لاتينية بل وفرنسية كثيرة ـ واختيار فكرة الموضوع ـ التاريخ الفكرى للألمان تؤكد جميعا أن عصراً جديداً قد بدأ يزحف على دراسة (التاريخ الفكرى). ولسوء الحظ أن رايمان قد رتب كتابه الذى هو أكثر من مجرد كتاب دراسى على شكل أسئلة وأجوبة. ولذلك جاءت الأفكار مفككة وغير مترابطة وواضحة. وقد عالج التاريخ الفكرى العام فى الأقسام السبعة الأولى.(١٨٤) وإذا نظرنا إلى ترتيب مكان التاريخ الفكرى فى تنظيم المعرفة نجد أن رايمان يقف إلى جانب جارنيير وليس إلى جانب مورهوف فهو يضع هذا الموضوع فى القسم الخامس (III-3) أقرب إلى (التاريخ العام) والذى يقسمه إلى: التاريخ العلمانى ـ تاريخ الكنيسة ـ التاريخ الفكرى ـ التاريخ الطبيعى. وهو يقسم التاريخ الفكرى إلى ثلاثة أجزاء هى: موضوع التاريخ الفكرى، الغرض من التاريخ الفكرى، وسائل الوصول إلى التاريخ الفكرى. ويهمنا منها الجزء الثالث: وسائل الوصول إلى التاريخ الفكرى.(١٨٥)

اعتقد رايمان أن ثمة وسيلة وحيدة لتحصيل التاريخ الفكرى هذه الوسيلة هى معرفة الكتب Notitia Librorum (وكان يستخدم الحروف الإغريقية للتعبير عن المصطلح)(١٨٦) ولم تكن معرفة الكتب هى التاريخ الفكرى كله ولكن على حد

تعبيره كانت «البوابة التى عن طريقها ندخل إلى هذا القصر الجميل». ومن جهة ثانية وبطريقة حادة لا يشتمل التاريخ الفكرى على كل «معرفة الكتب» ولكن فقط المعرفة التاريخية بالكتب. التى هى على عكس «المعرفة النقدية بالكتب» تسجل ولا تقيم: تسجل بدون تقييم. فالناقد يتخذ موقفاً بينما المؤرخ محايد(١٨٧) ورغم ذلك فقد اعترف رايمان بأهمية المعرفة النقدية بالكتب بل أعلن أكثر من مرة أنه لا ينبغى للباحث أن يعرف كل الكتب. «ويكفى أن يتذكر الكتب الضرورية والتى تخدم أهدافه بطريقة أفضل». وفرق بين معرفة الكتب العادية والكتب النادرة. ولكنه لم يسجل اسم أى باحث فى المجال الثانى أعنى مجال الكتب النادرة.

ويتساءل رايمان عن كيف يحصل المرء معرفة الكتب الأجنبية؟ ويجيب عن طريق مقابلة الباحثين وتجار الكتب وعلى الأخص قراءة الكتب التى تقدم المعلومات عن الكتب. وهذه هى نفس الطريقة التى أصر عليها فوجلر وكان له نفس الهدف الذى عالجه مباشرة بعد المقدمة: أدوات معرفة الكتب وهى البيليوجرافيات ـ الببليوجرافيات الحيوية ـ كتب التراجم. وهو لم يستخدم نفس مصطلح مورهوف Subsidia (aids) . وقد وضع هذه الأدوات بين الوسائل التى تكون التاريخ الفكرى ولكنه كان واعياً تماماً أن تلك الأدوات تقدم معرفة من الدرجة الثانية. ولذلك فإن كتابه يضم خليطاً من الببليوجرافيات والببليوجرافيا كنظرية ومعرفة بقوائم الكتب وغيرها من أدوات معرفة الكتب. ولو أن هذا القسم الثالث من الكتاب صدر منفصلاً ومستقلاً لكان أقدم كتاب دراسى باللغة الألمانية عن الببليوجرافيا. وللأسف يصعب لم شمل هذا القسم بسبب أنه جاء على شكل أسئلة وأجوبة ولو وضعنا مخططاً تنظيمياً لأدركنا أنه يضم مبادئ حديثة عن الموضوع ويسير على النحو التالى :

A - فهارس المعارض

الدوريات

B - ١- فهارس المكتبات، الانتاج الفكرى المتعلق بالمكتبات.

٢- الكتب المتعلقة بالكتب ومؤلفيها

٢/ ١ العامة

٢/ ١/ ١ كتابات الباحثين

٢/ ١/ ٢ الكتاب الباحثون

٢/ ٢ الخاصة (كل مدخل له شطران كتابات الباحثين، الكتاب الباحثون)

٢/ ٢/ ١ فى موضوع معين

٢/ ٢/ ٢ فى مكان معين

٢/ ٢/ ٣ فى فترة معينة

٢/ ٢/ ٤ فى شكل معين

٢/ ٣ الخاصة جداً (وكل مدخل أيضاً له شطران كتابات. الباحثين والكتاب الباحثون)

٢/ ٣/ ١ لمذهب معين Sect

٢/ ٣/ ٢ لنظام معين order

٢/ ٣/ ٣ لطبقة معينة

٢/ ٣/ ٤ لسن معين

٢/ ٣/ ٥ لجنس معين

وقد عالج رايمان بداية الببليوجرافيات الجارية (A) وبعدها عالج الببليوجرافيات الراجعة (B) وبداخلها عالج :

١- قوائم المؤلفين والمطبوعات.

٢- فهارس المعارض وقد وضعت هنا لأول مرة مع الدوريات والتى عالجها ستروف من قبل ووصفها كذلك فى البداية.

وفهارس المكتبات تعتبر قوائم مقتنيات وتسبق فى كتاب فوجلر قوائم الإنتاج الفكرى بينما مورهوف وضعها فى نهاية الببليوجرافيات.

أما رايمان فعلى العكس من فوجلر ومثل مورهوف وضع الأعمال المتعلقة بالمكتبات مع الكتب المتعلقة بالكتاب ومؤلفاتهم العامة B IIIa . ولم يدرج المؤلفات المتعلقة بالطباعة وتجارة الكتب والتى أدرجها ستروف كما لم يدرج كتالوجات الطابعين وتجار الكتب والتى استبعدها ستروف أيضاً وعلى الرغم من أن المؤلفين الذى جاءوا بعد رايمان استخدموا كتابه واستفادوا منه فإن فكر الببليوجرافى لم يستمر ولم يسد.

وعلى العكس من كتاب رايمان متعدد المجلدات جاء الكتاب الثانى كتاب كريستوف أوجست هيومان: نظرة على جمهورية الإنتاج الفكرى أو أفسح الطريق إلى التاريخ الفكرى للطلاب الشبان: [١٨٨]

- Christoph August Heumann : Conspectus rei publicae Literariae sive via ad Historiam Literariam iuventuti studiosae operta. Hannover 1718.

هذا الكتاب عبارة عن موجز للتاريخ الفكرى العام كتبه أستاذ ألعاب رياضية فى جوتنجن. وكان هذا الكتاب أشهر كتاب دراسى فى الموضوع حاول فيه هيومان ـ مثلما جاء فى مقدمة ستروف ـ عرض الموضوع فى عدة طبعات كل واحدة منها أوسع وأكبر من سابقتها وقد ظهرت السابعة والأخيرة سنة ١٧٦٣ . وبينما قال رايمان بأن معرفة الكتب هى البوابة إلى التاريخ الفكرى قال هيومان (وستروف) وأتباعهما[١٨٩] بأن معرفة الكتب هى المصدر الذى يذهب إليه المرء ليتعلم عن الكتب» ١ ـ «ومنه يحصل المرء على المعلومات عن الكتب الجيدة والكتب الرديئة». ويقترن بذلك فوائد أخرى نحصل عليها من دراسة هذا الفرع:

٢- نأخذ فى تعلم طريقة للوصول إلى المعرفة بطريقة أقصر وأكثر فعالية.

٣- نتعرف على مايجب تتبعه وما ينبغى تجنبه فى دراستنا.

٤- نفحص بعيوننا وعقولنا حياة الرجال الذين اشتهروا بعلمهم ومواهبهم ونتعلم بالتدريج الحكم على الأصالة والجدّة.

٥- نتعرف كيف ارتقى الرجال العظماء بواسطة الإنتاج الفكرى الذى نسعى إلى تقليده.

هذا الموجز فى استخدامات التاريخ الفكرى ومعرفة الكتب قصد به أن يستخدم فى قاعات الدرس ومثل هذا الموجز قام أساتذة آخرون من قبل باعداده. لقد أعلن هيومان فى الطبعة الثالثة (١٧٣٢) عند حديثه عن نقطة القمة فى عصر التنوير «ولذلك فإن التاريخ الفكرى هو نور الحقيقة وهو أم التاريخ فى نظر الشخص الموهوب».

لقد قسم أستاذ جوتنجن التاريخ الفكرى إلى تاريخ عام وتاريخ خاص ويحدد ما لا يقل عن ست أنواع من التاريخ الفكرى الخاص طبقاً للمناطق الجغرافية (الدول)، الأماكن (المدن)، الأزمنة (الفترات) والموضوعات، وتلك المتعلقة بالأعمال العلمية وحياة مؤلفيها. وهو يضيف إلى مسحه للتاريخ الفكرى العام الذى يضم المجالات الأربعة الأولى من التاريخ الخاص فصلين خصص أحدهما للببليوجرافيا المتعلقة بالتاريخ الفكرى والآخر خصص للتراجم. (السادس وعنوانه معرفة الكتب) و(السابع وعنوانه معرفة المؤلفين). وفى الفصل السادس يتساءل كيف يمكن للمرء أن يتعلم عن الكتب ويجيب على السؤال بالإشارة إلى ثلاثة طرق: الطريق الجيد good والطريق الجيد جدا better والطريق الأجود best وأساساً هى دراسة فهارس المكتبات والببليوجرافيات والدوريات. ويجب أن نتذكر أن هيومان مثل رايمان استخدم مصطلح ببليوجرافيا التاريخ الفكرى فى سياق خاص (Historia Litteraria bibliographica) وقد أطلق على جميع قوائم الكتب بكل أشكالها وأنواعها مصطلح Bibliographiae .

ولقد شارك المفكرون المعاصرون هؤلاء المؤلفين فى رفع قيمة التاريخ الفكرى فقد كتب ليبنز مراراً فى خطاباته ومذكراته أن التاريخ الفكرى هو أهم شئ للباحث حيث أنه يمده بطرق ونتائج الأبحاث السابقة.[١٩٠] كما ذهب كريستيان وولف - Christian wolff - نفس المذهب وكان الرجل أعظم فلاسفة عصر التنوير

فى ألمانيا وقد شرح فى كتابه (أفكار معقولة عن قوى الفهم الإنسانى) هدف البيليوجرافيا والتاريخ الفكرى كما فعل هيومان.[١٩١] ويقول الرجل ما نصه : «فى تاريخ البحث يمكن للمرء أن يتبين درجات الكمال التى حققتها العلوم والفنون. يجب أن نشير إلى المكان الذى نجد فيه ما توصلت إليه البشرية وبالتالى لانخطئ معرفة الأشياء المفيدة إلا إذا لم نستطع أن نصل إلى نتائج توصلوا إليها بأبحاثنا نحن وحتى إذا استطعنا فإننا نعرف أنه لا ينبغى أن نضيع الوقت فى أشياء وصلوا هم إليها. وبدلاً من ذلك نمضى الوقت فى عمل أشياء لم تتم من قبل. وأهم من ذلك لابد من معرفة كيف نبنى على الأشياء التى أنجزت بالفعل ومن هنا فإن عملية الاختراع والابداع تنمو وتتقدم».

* * *

الفصل السابع

التحام كلمة ببليوجرافيا مع مفهوم الببليوجرافيا

التحام كلمة ببليوجرافيا مع مفهوم الببليوجرافيا

نظرية ومصطلح الببليوجرافيا فى بداية القرن الثامن عشر (ملخص) :

مع نهاية القرن السابع عشر كان العمل الببليوجرافى بصفة عامة هو ذلك العمل الذى يتصدى لتاريخ الفكر (فى موضوع ما أو على العموم باستعراض مفرداته وعلاماته البارزة).

كما ارتبطت قوائم الإنتاج الفكرى بهذا التاريخ سواء جاءت القوائم مستقلة بذاتها أو جزءاً من المعالجة التاريخية للفكر. وبسبب الطبيعة المزدوجة لموضوع تاريخ الفكر Historia Literaria (حيث هو مرآة لدنيا الإنتاج الفكرى سواء فى الماضى أو الحاضر كما يقول هيومان) فقد اعتبرت قوائم الكتب Bibliothecae إضافة إلى تاريخ الفكر وأدوات مساعدة فى تحصيل العلم عن الكتبNotitia Librorum . وعلم الكتب هذا كان يتضمن معرفة قوائم الكتب وغيرها من الأدوات المساعدة فى هذا العلم ومن جهة ثانية فإن دراسة هذا النوع من الإنتاج الفكرى بدا فى حد ذاته ضرباً من ضروب علم الكتاب دون أن يتميز بطريقة أو بأخرى فى حد ذاته. ومن هنا فقد حلا للبعض أن يطلق كلمة ببليوجرافيا على هذا الجانب من معرفة الكتب كدرجة ثانية من علم الكتاب.

وفى ألمانيا كانت هذه الدرجة الثانية من «علم الكتاب تدرس فى عدة جامعات

منذ القرن السابع عشر كجزء من التاريخ الفكرى» وجاء تدريسها عموماً مرتبطاً بالمكتبات وعلم الكتاب. وهذه المحاضرات أيضاً كانت تشير عادة إلى طريقة الحصول على المعلومات عن المطبوعات الجديدة وقاد هذا الأمر إلى اعتبار الدوريات مصدراً هاماً من مصادر الحصول على معلومات عن الكتب. وفى فرنسا قبيل نهاية القرن السابع عشر كان ضرب آخر من ضروب العمل الببليوجرافى قد تشكل ألا وهو «المسح النقدى للإنتاج الفكرى القديم» ولقد كان الاسم أو العنوان الشائع لقوائم المؤلفين والكتب حتى بداية القرن الثامن عشر هو «Bibliotheca» ومع ذلك فقد كانت هناك فرصة لقبول التعبير ببليوجرافيا Bibliographiae الذى قدمه نوديه على الأقل بالنسبة لنوع خاص من القوائم هو (أدلة الإنتاج الفكرى أو قوائم المطبوعات الجديدة). وعلى الجانب الآخر فقد استخدمت الكلمات Bibliographiae و Bibliographi هنا وهناك كاسم فئة على التبادل مع Bibliotecae و Bibliothecari للتعبير عن كل أنواع قوائم الكتب وجامعى تلك القوائم.

ببليوجرافية مارشاند: معرفة الكتب:

ولكن الآن ظهر استخدام جديد لمصطلح «ببليوجرافيا» ففى نهاية القرن السابع عشر بدأ اتجاه متأجج نحو جمع الكتب كأثر من آثار عصر التنوير مما أدى إلى إنشاء الكثير من المكتبات الشخصية، والتى غالباً ما كانت تباع بواسطة الورثة بعد موت مورثهم. وقد أدى ذلك الاتجاه بطبيعة الحال إلى رواج تجارة الكتب القديمة فى المدن الكبيرة مثل باريس. وفى نحو سنة ١٧٠٠ بدأ بعض الشبان المثقفين الباريسيين يهبون أنفسهم لهذه التجارة الجديدة التى كانت حتى ذلك الحين فى أيدى بعض التجار غير المدربين، وبدأوا يبيعون الكتب عن طريق الكتالوجات وهو اتجاه جديد لم يكن قائماً من قبل. وقد لاقت كتالوجاتهم التى جمعت ونظمت وكشفت بعناية احتراماً شديداً فى كل مكان. وكان التاجران الباريسيان اللذان جلبا الاحترام لتجارة الكتب القديمة فى باريس هما بروسبر مارشاند (١٦٧٥-١٧٥٦)[١٩٢] Prosper Marchand - وجابرييل مارتان (١٦٧٩-١٧٦١) Gabriel Martin.

وقد رحل مارشاند سنة ١٧١١ إلى هولندا لأسباب دينية وسياسية وأصبح بروتستانت وبعد رحيله أصبح مارتان ولخمسين سنة أهم تاجر كتب قديمة فى باريس.

لقد اعتاد تجار الكتب الباريسيون على تصنيف الكتب التى يطرحونها للبيع فى كتالوجاتهم طبقاً للنظام الذى سماه جاك شارلز برونيه: Jackques Charles Brunet Systéme des Libraires de Paris وحيث أن أسس هذا النظام كانت قد وضعت من قبل والنموذج من واحدة من أحسن كتالوجات إحدى المجموعات الخاصة فى القرن السابع عشر مكتبة ثو Thou Library والتى نظمها Bouilliau[١٩٣] حيث قسمت إلى خمسة أقسام تغيرت تسمياتها قليلاً مع مرور الوقت ولكن محتوياتها بقيت نفسها وهى : اللاهوت ـ الشريعة ـ العلوم والفنون ـ الآداب ـ التاريخ. وقد كان الظن بأن مارتان هو مخترع النظام إلى أن أشار برونيه إلى أن هذا النظام موجود فى قائمة مارشاند التى صدرت باسم Bibliotheca Bigotiana (Paris 1706)[١٩٤] ولكن نظام مارشاند كان على النحو الآتى:

Theologi, Juridiu, philosophi, Humanae Litterae, Historici

ولسوف نناقش هنا كيف عولج موضوع «التاريخ الفكرى» حيث جعله مارشاند آخر فصل فى القسم الخامس من تصنيفه وهو «التاريخ» تحت عنوان Literary and Academic History, where in are lives of the Learned and Bibliographers وقد اختلف هنا عن Bouilliau الذى أضاف كتب التاريخ الفكرى إلى كتب الأدب دون أن يعطيها رأساً خاصاً بها. ومارشاند فى هذا الصدد يتبع جارنيير الذى يعتبر «التاريخ الفكرى» ملحقاً للتاريخ وهى الفكرة التى لاقت رواجاً فى باريس وقد أطلق مارشاند اسماً جديداً على قائمته هو Bibliographi أى جامعو البيليوجرافيات.[١٩٥]

وفى كتالوج آخر صدر بعد ثلاث سنوات (١٧٠٩) كتالوج مكتبة يواقيم فولتريبه Joachim Faultrier استخدم مارشاند نظاماً ببليوجرافياً أكثر تفصيلاً كما

استخدم مارتان بدوره تصنيفاً مفصلاً فى كتالوج Bibliotheca Bultelliana (Paris 1711) . وفى المقدمة يعترف بأن هذا النظام ليس إلا تنقيحاً وتوسيعاً للأنظمة السابقة عليه وخاصة نظام مارشاند. وفى كلا النظامين وضع التاريخ الفكرى كملحق مع التاريخ وفرع تفريعاً بسيطاً على النحو الآتى:

نظام مارشاند (١٧٠٩)

الملحق التاريخى :

- تاريخ الأنساب والأعراق
- التاريخ العام
- التاريخ الفكرى أو تاريخ الآداب والعلوم والفنون والأكاديميات
  - تاريخ الآداب
  - تاريخ العلوم والفنون
  - التاريخ الأكاديمى أو تاريخ الكليات، الأكاديميات. .
  - الببليوجرافيا أو علم الكتاب كموضوع
  - مقدمة فى الببليوجرافيا
  - كتب فى الببليوجرافيا : الإنتاج العام والدورى
  - الببليوجرافيا الكنسية
  - الببليوجرافيا العلمانية
  - الببليوجرافيا العامة أو ببليوجرافيا المؤلفين الوطنيين، الأسرة، الإسم، المهنة، الاتحاد، الطبقة. . . الأعمال المجهولة المؤلف، الأعمال المحظورة . .
  - الببليوجرافيا الخاصة أو كتالوجات المخطوطات، قوائم تجار الكتب، والمكتبات.

- تراجم الرجال المشاهير من كل طبقة

- مستخرجات.

نظام مارتان (١٧١١)

الملحق التاريخى:

* تاريخ الأنساب والأعراق
* الآثار
* تاريخ الاحتفالات والمهرجانات
* التاريخ الفكرى، والأكاديمى والببليوجرافى

أ - تاريخ الفكر واللغة والعلوم والفنون

ب - تاريخ الأكاديميات: المدارس، الجامعات، الكليات واتحادات المؤلفين.

ج - الببليوجرافيا أو تاريخ ووصف الكتب.

* الأعمال الفردية عن الكتب بعامة، تأليفها، حب الكتب، فوائدها واستخداماتها، إنتاجها وتنظيمها..
* الأعمال العامة عن الببليوجرافيا
* ببليوجرافيا الدوريات والمجلات الأدبية.
* الببليوجرافيا الكنسية.
* الببليوجرافيا الوطنية.
* ببليوجرافيا المهن أى اللاهوتيون، المحامون، الفلاسفة، ..
* الببليوجرافيا الخاصة أى فهارس المكتبات، وأولاً فهارس المخطوطات ثم فهارس المكتبات فى إيطاليا، فرنسا، ألمانيا.. وفهارس تجار الكتب.
* تراجم مشاهير الرجال
* المستخرجات والمقتطفات التاريخية.

والإتفاق بين النظامين واضح. ولقد قرر مارشاند فى مقدمة فهرس مكتبة فولتربيه أنه لم يكن راضياً عن تنظيمه لفهرس مكتبة Bigot (١٧٠٦) وتنظيمه لمكتبة جيرود Geraud (١٧٠٧) ولأنه فى بعض التفاصيل كان عليه أن يرضى رغبات أصحاب هذه المكتبات. ولذلك وضع نظاماً جديداً مختلفاً عن تلك الأنظمة السابقة كلها تضمن ثلاثة أقسام فقط هى الفلسفة والدين والتاريخ يسبقه مقدمة عن موضوع الكتب (الببليوجرافيا، أو علم الكتب كموضوع) ويلحق به ملحق. ووضع اللاهوت بين الفلسفة والتاريخ ووضع علم الكتاب فى البداية كان تجديداً لم يسمع به من قبل. وكان الجزء الأول من الفلسفة ـ كالعادة ـ هو الأجرومية. (١٩٦)

لقد فضل مارشاند أن ترتب الكتب فى كل مجال بهذه الطريقة حتى تكون فى مقدمة كل مجال فتعطى فكرة أوضح عن التاريخ الفكرى للمجال. وهذا يفسر لنا لماذا جاء موضوع الببليوجرافيا أو علم الكتاب فى مقدمة النظام ككل. فالكتب التى تقدم المادة العلمية فى أى موضوع يجب أن تسبق بأدلتها.

ومقدمة مارشاند المعنونة «مقدمة إلى موضوع الكتب (الببليوجرافيا أو معرفة الكتب كموضوع)، ينقسم إلى قسمين:

أ ـ تصدير عن الببليوجرفيا ومارشاند نفسه لم يشرح لنا مفهوم أو محتوى المصطلح ولكن مارتان فسر ذلك بأنها «الأبحاث الخاصة بالكتب عامة، تأليفها، حب الكتب، فوائدها واستخداماتها. . وكذلك المكتبات مبانيها وتنظيمها. . وهو بالضبط ما أراده مارشاند كما نستشف ذلك من الكتب التى أدرجها فى هذا القسم.

ب ـ الببليوجرافيات وقد رتب المفردات فى هذا القسم بالطريقة التقليدية التى كانت عليها الـ Bibliothecae ـ قوائم الكتب ـ فهارس المكتبات وفهارس تجار الكتب. (١٩٧)

وكان مارشاند يعنى بالـ Bibliographi periodici المجلات المدرجة مباشرة بعد الببليوجرافيات العامة - Bibliographi generales - (١٩٨) ومن الأشياء التى

تستلفت النظر المصطلح الذى جمع تحته: جامعى كتالوجات المكتبات وتجارة الكتب فى نهاية القسم[١٩٩]. وقد أطلق عليهم البيليوجرافيون المتخصصون لأنهم على عكس الآخرين يسجلون الكتب الخاصة بمكان معين فقط. وهو لم يجمع ببليوجرافيى قوائم الإنتاج الفكرى تحت رأس واحد كما فعل مع الببليوجرافيين المتخصصين (أى جامعى قوائم المقتنيات).

وعندما شرح مارشاند نظامه فى المقدمة قال ما نصه : بأن الببليوجرافيا تنقسم إلى قسمين: ببليوجرافيا توجيهية Instructive Bibliography وببليوجرافيا خاصة Special Bibliography وكل منهما يتفرع إلى فروع. وكان يسمى جامعى الببليوجرافيا التوجيهية Instructive Bibliographers .[٢٠٠] وقد راج مصطلح الببليوجرافيا التوجيهية فى صيغته الفرنسية حين استخدم كعنوان لكتاب نشره فى سنة ١٧٦٣ جيوم فرانسوا ديبور Guillaume François Debure وسيأتى ذكره.

قام مارشاند فى تنظيمه لمكتبة Bigot بإدراج الببليوجرافيين فى قسم «التاريخ الفكرى» وكان هذا هو المكان الطبيعى بالنسبة للمكتبات ومجموعات الكتب والقوائم الأخرى حيث يدرج جامعوها ،محرروها تحت رأس «الببليوجرافيون». وعندما وضع نظامه الجديد شد هذا الرأس من سياقه لكى يضعه فى مقدمته التى أسماها «تصدير عن الببليوجرافيا» حتى يكونوا مع المطبوعات الخاصة بالكتب والمكتبات. وحيث أن الأعمال المتعلقة بالكتب والمكتبات كانت تعتبر ضمن «التاريخ الفكرى» أو كما عبر عنه مارشاند بدقة «تاريخ الفكر»: الآداب والعلوم والفنون والأكاديميات. فإن المطبوعات الخاصة بالكتابة والطباعة وجدت مكانها فى قسم «تاريخ الفنون» بينما الأعمال الخاصة بالمكتبات أدرجت مع الأكاديميات أو العكس. وبسبب المعنى المزدوج لكلمة Historia (التاريخ والمعرفة) فقد جمعت المفردات الخاصة بالتاريخ مع تلك الخاصة بالمعرفة أو المنهج. ولكن مارشاند عزل هذه عن تلك وعلى خلاف تاريخ الفنون ترك المطبوعات المتعلقة بإنتاج الكتاب وتاريخه فى مكانها التقليدى ولكنه جمع الكتابات الأخرى المتعلقة بالكتب مثل إدارة المكتبات، تاريخ المكتبات تحت رأس «تصدير عن الببليوجرافيا»

ومن هنا فقد بلور مجموعة من الموضوعات حول مقدمته وقدم لنا علم «البيليوجرافيا». ولقد كانت خطوة إلى الأمام أن يجمع بين المطبوعات عن الكتب والمكتبات معاً ولكن كانت هذه الخطوة ناقصة إذ ترك الكتابات عن إنتاج الكتاب مع تاريخ الفنون. كذلك فإن مما يؤسف له أن مارشاند قد مزق «تاريخ الفكر» منذ البداية لأن المعلومات عن إنتاج الكتاب وتاريخ المكتبات ليست الكتابات الوحيدة أو الأهم كمتطلب سابق أو مدخل لمعرفة الكتب (علم الكتاب) والتى تعتمد أكثر على تاريخ التعليم والنشر. وقد استمر مارشاند فى قصر مفهوم التاريخ الفكرى على المفهوم الضيق للمعرفة على الرغم من أنه جمع مطبوعات خاصة بالكتب عموما (ماعدا الأعمال التاريخية) ، وكل الأعمال المتصلة بالمكتبات إضافة إلى قوائم الإنتاج الفكرى فى قسم خاص وتحت اسم خاص.

ووضع «البيليوجرافيا» فى نظام مارشاند تتفق مع تنظيم بيليه-Baillet Juge mens لأن بيليه يبدأ بالطابعين ونقاد الأعمال التاريخية ومن بينهم جامعو البيليوجرافيات والأعمال المماثلة. وإن المرء لا يتيقن إن كان تاجر كتب قديمة مثل مارشاند قد عرف الـ Jugemens . ولكن مقدمته المعنونة «مقدمة فى موضوع الكتب» تشير إلى نماذج أخرى فهى تتوافق مع كتاب فوجلر Vogler مقدمة عامة فى معرفة كل أنواع الكتب الجيدة: (Introductio Universalis in notitiam cuiuscunque generis bonorum Librorum)

وقد طبع لأول مرة سنة ١٦٧٠ وصدرت منه طبعات أخرى متأخرة وكتاب ستروف Struve مقدمة فى معرفة موضوع الكتب واستخدام المكتبة

- Introductio ad notitiam rei literariae et usubibliam bibliothecarum (1704)

وطبعات أخرى متأخرة

فالعناوين متشابهة والأفكار متقاربة. وعلى سبيل المثال فقد أراد فوجلر أن يدرس العلم الذى يعالج الكتب كموضوع (علم الكتاب) ويساعد فى دراسة التاريخ الفكرى ومن هنا فلابد لهذا العلم أن يسبق العلوم الأخرى فى الترتيب وفى التعلم ومن هنا نلحظ الاتفاق بينه وبين مارشاند وقد كانت هناك نسخة من

كتاب فوجلر فى مكتبة فولتربيه التى توفر مارشاند على تنظيمها (طبعة سنة ١٧٠٠) ومن الممكن أن يكون قد درسها وتأثر بها. ومن المحتمل كذلك أن يكون على علم بكتاب مورهوف Morhof : Polyhistor الذى صدرت منه طبعة كاملة سنة ١٧٠٧ وكان جزؤه الأول قد صدر سنة ١٦٨٨. وكان مورهوف قد عالج مجموعات الكتب وقوائم الإنتاج الفكرى قبل أن يعالج كل مجال فكرى على حدة والمطبوعات الداخلة فيه وقد أطلق على هذا العلم أو المعرفة معرفة «المكتبات» بالمعنى المزدوج لهذه الكلمة. وفى سنة ١٧٠٤ ذهب ستروف خطوة أبعد من مورهوف فقد أدمج مقدمة القوائم وغيرها من أدوات المعرفة مع شروح وتفسيرات عن المكتبات فى الماضى والحاضر مع حديث عن الكتب (وخاصة إنتاج الكتاب). وقد تضمن كتابه المعلومات التى وردت فى مقدمة مارشاند وأكثر. أما ستروف فقد تحدث كذلك عن الطباعة وتجارة الكتب التي لم يعالجها مارشاند فى مقدمته. ومن الواضح أن مارشاند تاجر الكتب القديمة الباريسى استقى فكرته عن وضع معلوماته عن الكتب كمقدمة فى بداية تصنيفه البيليوجرافى من هؤلاء الأساتذة الألمان.

ولو أن مارشاند ـ على عكس مورهوف وستروف ـ لم يضع التاريخ الفكرى كله Historia Literaria فى بداية نظامه فإن يكون قد اتفق معهما ومع فوجلر[٢٠١] فى فكرة أن الأعمال البيليوجرافية تعتبر رافداً للتاريخ. ويمكننا أن نستشف هذا الاتفاق رغم ذلك لو جمعنا مقترحاته الخاصة بتنظيم أعمال كل فرع من فروع المعرفة على حدة.[٢٠٢] لقد أدت الفكرة الجديدة عن البيليوجرافيات التى قادها كل من مارشاند وبيكون والتى اعترف بها معظم الدارسين فى ذلك الوقت، إلى كسر فى المفهوم التقليدى للبيليوجرافيا على النحو الذى لاحظه ارشر تيلور Archer Taylor[٢٠٣] وكان ذلك حول سنة ١٧٠٠ ولقد رصد تيلور عدة ظواهر لهذا الكسر من بينها أن مؤلفى الماضى وخاصة الماضى البعيد لم يكونوا حجة فى الموضوع وإنما كانوا مجرد مصادر. وبمعنى آخر لم يكونوا حجر الزاوية للحقيقة المطلقة بل كانوا مجرد شهود للعقيدة الماضية. وهذا الحكم الذى

أصدره تيلور إنما نبع بالضرورة من النظام الأساسى «للتاريخ الفكرى» ولم تكن البشرية كما يعتقد البعض آخذة فى الانهيار الفكرى على الرغم من التخلف فى كثير من مجال العلم الذى كان ملحوظاً آنذاك.(٢٠٤)

لقد أعطى مارشاند المقدمة التى صدر بها نظامه اسماً جديداً هو «ببليوجرافيا Bibliographia» كما أشرنا من قبل(٢٠٥) وهو الاسم الذى كان يعطى من قبل لوصف الكتب على شكل مقال أو قائمة. ولكن قياساً على الجغرافيا (وصف أو معرفة الأرض) أصبحت الببليوجرافيا تعنى : معرفة الكتب (علم الكتاب) وأصبح هذا الأخير فرعاً من النظام الببليوجرافى خاصة وأن وصف الكتب يتطلب قدراً ما من المعرفة بالكتب (علم الكتاب)، ولقد سهل من استخدام هذا المعنى الجديد أن قوائم المطبوعات الجديدة المستقلة فى أوروبا الغربية لم يعد يطلق عليها اسم «ببليوجرافيا» ..(٢٠٦) كما ندر إطلاق ذلك عليها فى أوروبا الوسطى، ومع ذلك فإن مارشاند لم يقصر كلمة ببليوجرافيا على معرفة الكتب Notitia Librorum ولكن سحبها أيضاً على معرفة المكتبات Notitia Librariae . ومن هنا فقد كان مجال استخدام كلمة ببليوجرافيا عنده أوسع بكثير من طاقة المصطلح آنذاك. وتضمنت مقدمته عن الببليوجرافيا مفردات خارج نطاق «وصف الكتب».

وفى كل قسم من أقسام نظامه الببليوجرافى لم يستخدم مارشاند أسماءً مكونة من جزءين أو ثلاثة تعبر عن الفكرة التى أرادها ولكنه استخدم اسماً من جزء واحد اشتقه من الاسم اليونانى ويمكن معه اضافة الصفة اللازمة مثل :

- Scientia huemana - Scientia Divina - Theologia - Scientia eventuum Historia - Philosophia

ولما كان يريد مصطلحاً مماثلاً لتلك المصطلحات ليعبر به عن موضوع معرفة الكتب Notitia rei Librariae الذى صدر به نظامه فقد اختار مصطلح Bibliographia لهذا الغرض وقد بدا لمارشاند أن ذلك مناسب تماماً لأنه يضم فى وقت واحد معنى وصف الكتب ومعرفة الكتب (علم الكتاب). وكانت هذه هى الإضافة التى قدمها مارشاند فى مقدمته.(٢٠٧)

لقد كتب مارشاند فى مقدمته Praefatio مانصه «الببليوجرافيا هى فن تقديم المعلومات عن الكتب. وهى لا تقدم فقط تاريخا ولكنها تقدم أيضاً معلومات عن الطريقة المناسبة لترتيبها سواء على الرفوف بالمكتبات أو وصفها بدقة ومهارة على صفحات الفهرس». وهنا شرح مارشاند مفهوم الببليوجرافيا لديه وحدد الوظيفتين المناطتين بها وقد حددت الوظيفة الأولى بتركيز أما الثانية التى اخترعها فقد وصفها بتفصيل أكثر والببليوجرافيا فى نظرة فن يضم بين ما يضم (علم الكتاب) وهو ما عناه «بتقديم تاريخ الكتاب» أى وصفها وصفاً منهجياً مبنياً على التاريخ الأدبى[٢٠٨] كما تضم كذلك معلومات عن كيفية تنظيم الكتب على الرفوف ووصفها فى الفهارس.

ولما كان مارشاند يحرص على الترتيب المصنف للكتب على الرفوف طبقاً لمجالات المعرفة البشرية وكان يعتقد أن الكتب يجب أن ترتب على الرفوف بنفس ترتيب مداخلها فى الفهرس. وكان الترفيف والتصنيف يعنيان بالنسبة له شيئاً واحداً. وهذا الأخير (التصنيف) لا يمكن فصله عن فهرسة الكتب لأنهما معاً جزء من عملية وصف الكتب بمعناها الواسع ولما كانت الببليوجرافيا هى وصف الكتب فلاعجب إذن أن يعتبر مارشاند التصنيف والفهرسة من هذا المنطلق من ضمن محتويات مجال «الببليوجرافيا» فمن أراد أن يعلم الآخرين «علم الكتاب». عن طريق الوصف أو عن طريق القوائم الحاصرة أو أراد أن يتعلم علم الكتاب عن طريق القوائم فلابد له من أن يعرف طرق الفهرسة والتصنيف.

لقد كان تصنيف الكتب هو أقدم موضوعات دراسة المكتبات منذ أدمج مورهوف الدراستين معاً (التاريخ والمعرفة) معرفة مجموعات الكتب وقوائم الكتب، الكتب التى كانت أساساً مقدمة لمعرفة الكتب يجب أن تخضع هى الأخرى للتصنيف المنهجى على الرفوف.

ومن الطريف كذلك أن يقوم ستروف ـ الذى تعالج مقدمته قضية المكتبات كذلك ـ بمعالجة مشاكل التنظيم المنهجى (التصنيف) ليس فى الفصل الخاص

بالمكتبات وإنما في الفصل الخاص بمعرفة الكتب Notitia Librorum على وجه العموم.

لقد كان النظام الذى وضعه مارشاند ثورياً حين سماه «النظام الببليوجرافى» Systema Bibliographicum وحين قال عنه ـ ونحن الآن نسميه نظام التصنيف ـ إنه نظام ليس لتصنيف المعرفة ولكن لتنظيم الكتب.

لم تكن الفهرسة (الترتيب الهجائى) حتى ذلك الحين من المجالات التى طرقها المكتبيون فى كتاباتهم النظرية.[٢١٠] وبدلاً من ذلك قام تاجر كتب قديمة بهذا العمل وكان أول من طرق الموضوع ووضع فيه «قواعد» لفهرسة الكتب. وقد طبق مارشاند نفسه تلك القواعد عند تنظيمه لمكتبة فولترييه، إذ أراد أن يقدم للناس معلومات كاملة وموثقة للنسخ الموجودة فى المكتبة. وقواعده معروفة وليس هذا مجال مناقشتها لأننا معنيون هنا فقط بالفهرسة كأحد المجالات المؤلفة للببليوجرافيا.

لم يعتبر مارشاند الببليوجرافيا مجرد فن ـ نظرية وصف الكتب وتطبيقاتها ـ ولكنه أيضاً فرع من فروع المعرفة البشرية هو علم الكتاب (معرفة الكتب) بصفة عامة. ولذلك فإن مجال الببليوجرافيا كما حدده كان يضم أولاً «كتب عن الكتب» عامة كما يضم كل الإنتاج الفكرى عن المكتبات وخاصة ما يتعلق منه بالتصنيف والفهرسة.[٢١١] وثانياً القوائم التى تصف الكتب وغيرها من الأدوات المعينة فى معرفة الكتب. هكذا استخدم مارشاند مصطلح ببليوجرافيا الذى كان من قبل مجرد عنوان لقوائم وصفية بالكتب. وذلك ليجمع فى كلمة واحدة كل عناصر الببليوجرافيا بمعناها الحديث «وصف الكتب ومعرفة الكتب» وكان لكل منهما منفصلين مكانه فى التاريخ الفكرى Historia Litteraria . وكان هو مارشاند الذى فصلهما من مكانهما وجمعهما معاً فى فكرة واحدة باستخدام كلمة واحدة لوصف ومعرفة الكتب معاً.

ولما كان أن أصبحت «الببليوجرافيا» اسماً لمجال فقد تجنب مارشاند إطلاق اسم الببليوجرافيا على القوائم الفردية التى تصف الكتب. وفضل استخدام

المصطلح Bibliographi مع الصفة للدلالة على القوائم. وقد حذا خلفاؤه حذوه في هذا .. وهكذا اكتسب مصطلح الببليوجرافيا معناه بعد أن كان قاصراً على عملية وصف الكتاب ومنتجاتها أى القوائم الحاصره الوصفية، وأصبح علماً على «علم الكتاب» على وجه العموم(٢١٢) وهو العلم الذى مايزال يظل أى اسم يشتق من كلمة ببليوجرافيا.(٢١٣)

ببليوجرافية مارتان : تاريخ معرفة ووصف الكتاب

Martin's Bibliographia : Librorum historia et descriptio

لم يكن زملاء مارشاند المحافظون ليرضون عن التجديدات التى أدخلها ولذلك أبقوا على التقسيمات الخمس التقليدية وفى مقدمتها علم اللاهوت. وقام مارتان بوضع نظام تصنيف سنة ١٧١١ فى فهرس مكتبة بولتيل Bibliotheca Bultelliana وقد اتبع مارشاند فى كثير من التفاصيل ولكن ليس فى البنية العامة للنظام. وقد أبقى على موضوع مارشاند «معرفة الكتب كموضوع» كوحدة ولكنه وضعه فى المكان الذى استله مارشاند منه أى جعله جزءاً من «التاريخ الفكرى» وأبقى كذلك على مصطلح الببليوجرافيا الذى استخدمه مارشاند. وسمى القسم كله «التاريخ الفكرى، الأكاديمى، الببليوجرافى». وفى الفرع الثالث منه سماه : «الببليوجرافيا أو تاريخ ووصف الكتب»: Bibliographia seu Librorum historia et descriptio(٢١٤) وقد أشير فيما بعد إلى عبارة Librorum historia بعبارة فرنسية هى - Connaissance de livres - حيث أن كلمة historia هنا مرادفة للمعرفة. وقام مارتان ـ مثل مارشاند ـ باعتبار التاريخ الفعلى للكتاب (مثل تايخ الطباعة...) فى تاريخ الفنون. وكان تفسير مارتان لمصطلح ببليوجرافيا (معرفة الكتب ووصفها) أو (تاريخ ووصف الكتب) كان أضيق من مفهوم مارشاند Notitia rei Librariae (معرفة الكتب كموضوع). ولكنه لم يضيق مجال الببليوجرافيا. لقد كان تنظيم مارتان أكثر تركيزاً من نظام مارشاند ولكنه مثل مارشاند أدرج فى الببليوجرافيا مفردات تخرج عن نطاق معرفة الكتب عن طريق الوصف وقد سماها هو كذلك (Bibliographi) . وأدرج أيضاً (ووضع قبلها)

الكتابات المتعلقة بالكتب والمكتبات بصفة عامة ومن البداية اعتذر عن عدم جمعها تحت الرأس (تصدير فى الببليوجرافيا). وفى القرن التاسع عشر قام أحد الببليوجرافيين الألمان وهو: جوهان أوجست فردريش Johann August Friedrich (سنة ١٨٤٠) باطلاق مصطلح Bibliology (بالألمانية Allgemeine Bücherkunde) على نظريات علم الكتاب وعلى عملية وصف القوائم Besondere Bürcherkunde[٢١٥] ويبدو أن مارتان هو الآخر قد اعتبر علم الكتاب هو نفسه معرفة الكتب وعلي العكس من مارشاند فإنه قد ضم إلى مصطلح ببليوجرافيا فكرة أن وصف الكتب هى محتوى العديد من الأعمال فى المجال.

* * *

الفصل الثامن

الببليوجرافيا والببليوجرافيات
فى القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر

الببليوجرافيا والببليوجرافيات
فى القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر

المفهوم والمصطلح:

الاستخدام الفرنسى حتى سنة ١٧٨٩

فى كل الفهارس التى أعدها مارتان Martin حتى منتصف القرن الثامن عشر استخدم خطة التصنيف التى وضعها سنة ١٧١١. وقد حذا حذوره تجار الكتب القديمة الآخرون فى باريس. ولذلك أصبح هذا النظام النموذج الذى اتخذ أساساً لنظام مكتبات باريس (٢١٦) - Systeme des Libraires des Paris.

وهو النظام الذى أصبح قياسياً واعتمد عليه غليوم فرانسوا ديبور فى الببليوجرافيا المشروحة (التوجيهية).

Guillaume François Debure: Bibliographie instructive. Paris, 1763.

فضلاً عن أنه أول نظام تصنيف باللغة الفرنسية. فى هذا النظام أطلق على قسم «التاريخ الفكرى والأكاديمى» فى هذا العمل اسم «الببليوجرافيا أو تاريخ ووصف الكتب». (٢١٧) ويضم هذا القسم :

أ ـ مقدمات ببليوجرافية prolégomenes Bibliographiques وهو المصطلح الذى استخدمه مارشاند واعترض عليه مارتان فى فهرس الأول.

ب ـ جامعو قوائم الكتب.

ج ـ الدوريات

فى خطة مكتبات باريس SLP جمعت معرفة الكتب ووصف الكتب تحت المصطلح الذى استخدمه مارشاند وبنفس النطاق الذى حدده. وكان ذلك ذا تأثير كبير فى تاريخ المصطلح ومفهوم الببليوجرافيا لأن خطة مكتبات باريس كان لها تقدير عظيم وقلدت داخل فرنسا وخارجها عن طريق أمناء المكتبات.[٢١٨] وعلى الرغم من أن موضوع (الببليوجرافيا) لم يتصدر النظام كما أراد مارشاند فإن مصطلح الببليوجرافيا ومفهومه الحالى قد اقتربا أكثر وأكثر لأن الحدود التى وضعها للموضوع والتسمية التى أطلقها عليه أصبحا القسم الأول فى معظم التصانيف الشائعة فى القرن الثامن عشر.

وقد ضم هذا القسم إلى جانب المقدمات الببليوجرافية معلومات أكثر بكثير مما يدل عليه القسم. ولكن المتخصصين بنوا فكرتهم عن الببليوجرافيا على أساس الأدوات المساعدة فى معرفة الكتب أى القوائم الوصفية للكتب التى كانت أساس محتويات هذا القسم. فقد أعلن ابيه جيرارد (توفى ١٧٤٨) Abbé Gerard[٢١٩] الذى خلف لنا تصنيفاً ببليوجرافيا مفصلاً أن «الببليوجرافيا تقدم معلومات عن الكتب من خلال المستخلصات، التقييمات، والقوائم والدوريات الجارية أو من خلال الببليوجرافيات العادية أو الفهارس».[٢٢٠] ويتمشى هذا الاعلان مع فكرة مارتان التى أعلنها قبله بعقود والتى بنيت على مفهوم مارشاند للببليوجرافيا على الرغم من أن كلاً منهما اعتبرا المقدمات الببليوجرافية جزءاً من الببليوجرافيا أى أن النظرية والتطبيق كانا فى نظرهما جناحين للببليوجرافيا.

ومن العادى فى ذلك الوقت تسمية القسم الببليوجرافى طبقاً لموضوع الدراسة التى تقدمها المطبوعات التى تكون المحتوى الرئيسى فيه. وعلى سبيل المثال كانت

الكتب التى تدرس الجغرافيا تحت (الأرض) أو النبات تحت (وصف النبات) وكذلك الكتب التى تدرس وصف الكتب أو معرفة ووصف الكتب تحت الرأس (ببليوجرافيا). وكان من الطبيعى أن معرفة القوائم الوصفية بالكتب وغيرها من الأدوات المعينة على معرفة الكتب يمكن أن تصبح هى نفسها موضوعاً للتدريس والتعليم. وقد حدث هذا بالفعل فى منتصف القرن السابع عشر فى الجامعات والكليات الألمانية. نعم لقد كان الأساتذة الذين يدرسون تلك المعرفة لا يملكون مصطلحاً محدداً للتعبير عن ذلك الموضوع (موضوع معرفة الكتب من الدرجة الثانية) ولكن هذا الموضوع كان يدرس قائماً بذاته وكمجال مستقل. ويجب أن نعترف أن الباحثين الفرنسيين لم يجعلوا معرفة أدوات معرفة الكتب موضوعاً قائماً بذاته يدرس ويعلم. ولكنهم من جهة ثانية اعتبروا كل الأعمال التى تصف الكتب وحدة واحدة دون تمييز بين الأدوات التى تعلم معرفة الكتب من الدرجة الثانية وبين معرفة الكتب من الدرجة الأولى (أى المباشرة).

لقد تقرر معنى مصطلح ببليوجرافيا قبيل منتصف القرن الثامن عشر بسبب استخدامه المتواصل والمتسق فى Systeme des libraires de Paris. ولذلك لم يشع ولم يسد تعريف آخر للمصطلح حتى ولو استخدمه جماعة من الباحثين الثقاة؛[٢٢١] وهذا ما حاوله (آباء تريفو The Fathers of Trévoux).

وعلى سبيل المثال عندما قام الأثرى الشهير جاك سبون بشرح عناصر علم الآثار فى كتابه «مجموع الآثار القديمة» فى المقدمة:

Jaques Spon: Miscillanea eruditae antiquitatis. Lyon, 1685.

عدَّ من بين تلك العناصر (الببليوجرافيا) ووضعها على قدم المساواة مع موضوعات مثل علم المسكوكات. وقد عرف الببليوجرافيا على النحو التالى: ببليوجرافيا عن المخطوطات الشهيرة والشائعة القراءة التى قدمها النقاد من أمثال سكاليجر، سيرموند، سالماسيوس كاسويون. هذه الببليوجرافيا تتعلق كما نرى بالكتب فى العصور القديمة، والمخطوطات اليونانية الرومانية. ومفهوم سبون للببليوجرافيا يتمشى مع مفهومنا الحالى لعلم الكتابة ونقد النصوص.

أما الجزويت الذين نشروا قاموس تريفو - Dictionnaire de Trévoux (Trévoux, 1704) فقد شرحوا مصطلح ببليوجرافيا على النحو التالى: «معرفة وفك مغاليق المخطوطات القديمة المكتوبة على لحاء الشجر والورق والرق».

ومع هذا فقد شق مصطلح سبون الأثرى طريقه إلى الوجود لفترة ووجد مرافقة بين الخبراء الفرنسيين لمدة قصيرة. وقد نقله البرت فابريكيوس دون تعليق فى دليله الخاص بالآثار: رغم أن أحدا من المؤلفين الذين ذكرهم لم يستخدم هذا المعنى: Albert Fabricius: Bibliographia antiquaria - Hamburg 1713 -.

ولقد عاش المفهوم الذى ذكره آباء تريفو فى القواميس الفرنسية ذلك أن كاتب مقالة (ببليوجرافى) Bibliographe فى دائرة المعارف Encyclopédie. Paris, 1751 التى نشرها كل من دالمبرت و ديديروت استخدم ذلك المفهوم حين قال «الببليوجرافى هو الشخص الذى يعرف المخطوطات القديمة ويمكنه أن يفك مغاليقها. ولقد كان سكاليجر، سوميز، كاسويون، سيرموند، بيتاو، مابيون مهرة فى هذا العلم: الببليوجرافيا». هذا التعريف للأسف استقى من قاموس قديم استشهد به فى استخدام مصطلح ببليوجرافيا فى منتصف القرن الثامن عشر.[٢٢٣] وإن كان قد استخدم أنذاك فإنه لم يكن دقيقا فى ذلك الوقت. وإن دل ذلك على شئ فإنه يدل على أن مفاهيم القواميس القديمة كانت موضع استشهاد ويجب أن تؤخذ بحذر شديد وخاصة فى مجال المصطلحات المتخصصة.[٢٢٤] وفى الحقيقة أن تجار الكتب القديمة فى باريس فى منتصف القرن الثامن عشر وكذلك مستخدمى فهارسهم لم يفهموا الببليوجرافيا على أنها (علم الكتابة) ولكن على أنها معرفة الكتب ووصفها وكان يطلق على المتخصصين فى هذا المجال اصطلاح (الببليوجرافيون). ولقد استدرك آباء تريفو فى الطبعة الخامسة من قاموسهم (١٧٥٢) فى مقالة الببليوجرافى Bibliographe حيث ذكرت إلى جانب المفهوم القديم المفهوم الحديث «إنه ذلك الاسم الذى يطلق على علماء المخطوطات القديمة والعلماء الذين يعرفون كل الكتب المطبوعة والمخطوطة على السواء واليوم يطلق هذا الاسم على جامعى الفهارس فى المكتبات المختلفة.».

وقد نقلت الأكاديمية الفرنسية فى قاموسها تعريف الببليوجرافى الذى قدمه آباء تريفو فى قاموسهم كلمة بكلمة وذلك فى طبعة قاموس الأكاديمية الرابعة سنة ١٧٦٢ . وفى نفس الوقت عرف قاموس الأكاديمية الببليوجرافيا على أنها «العلم الذى يشتغل به الببليوجرافى» La Science du Bibliographe. بينما الطبعة الثالثة لم تتضمن أيا من المصطلحين. والمقالة الجديدة اقتربت بالمصطلح من استخدام تجار الكتب القديمة وأمناء المكتبات له. وحتى ذكر المخطوطات عدل بناء على المفهوم الجديد حيث تضمنت الببليوجرافيا أساساً ـ وليس على الإطلاق ـ الكتب المطبوعة ذلك أن التاريخ الفكرى Historia Litteraria الذى خرج من بطن معرفة الكتب Notitia Librorum تضمن تاريخ الكتاب المخطوط والمطبوع على السواء. ومن ثم نجد منظراً مثل جان فرانسوا نيى دى لاروشيلJean François Neé de La Rochelle (١٧٨٢) يجعل المخطوطات ضمن اهتمامات الببليوجرافى. (٢٢٥)

ومن قبيل الاستطراد فقط اعتقد فريدريش ادولف ايبرت أن علم الكتابة الخاصة بالمخطوطات يجب أن يسمى ببليوجرافيا ومن حسن الحظ أنه لم يستمر فى هذا الاعتقاد ولم يطالب به وتراجع عنه. (٢٢٦)

وبعد ظهور فهرس مارشاند الخاص بمكتبة فولتيريهMarchand's Catalogue of the Faultrier Library بأكثر من نصف قرن لا نجد أية ملاحظات أو استخدامات لمصطلح ببليوجرافيا بواسطة ببليوجرافيين فرنسيين. لقد برز بعد مارشاند معاصره غليوم فرانسوا ديبور (الأصغر) بسبب نظام التصنيف الذى وصفه فى ببليوجرافية: Guillaume François Debure: Bibliographie Instructive - Paris, 1763 - 1768. (٢٢٧)

وطبيعة هذا العمل يكشف عنه العنوان الفرعى الذى ترجمته عن الفرنسية:

«بحث عن معرفة الكتب النادرة والفريدة ويتضمن فهرساً مصنفاً لمعظم الكتب الثمينة التى ظهرت على مدار الإنتاج الفكرى منذ اختراع الطباعة حتى اليوم مع ملاحظات عن الفوارق ووجوه الندرة فى طبعاتها المختلفة، وأسباب تلك الندرة

ومدى أهمية كل منها وكيف نميز طبعة أصلية من أخرى زائفة. مع وصف طباعى لتلك الكتب النادرة. مما يساعد على التعرف بسهولة على الكتب التى شوهت جزئيا أو دمرت كليا والتى تتداول يوميا فى سوق الكتب من تلك الكاملة فى جميع المجالات»[٢٢٨].

وليس هناك شك فى معنى الببليوجرافيا بالنسبة لديبور: معرفة الكتب وأوصافها وفى نظام التصنيف الذى وضعه حدد المصطلح بالطريقة القديمة التى اتبعها تقليد سوق الكتب القديمة «تاريخ ووصف الكتب» histoitre et description de livres. بينما فى المقدمة وحدها يقول عنها « معرفة الكتب» Connaissance de livers»[٢٢٩]. وكان الأمر بالنسبة للعديد من جامعى القوائم أن الببليوجرافيا هى معرفة الكتب من خلال وصفها. فقط معرفة الكتب من خلال وصفها. ومن هنا أطلق على عمله رسالة فى معرفة الكتب النادرة مع قائمة مشروحة بالطبعات القيمة. ولم تتضمن هذه الرسالة شيئا أكثر من هذا لقد جاءت مجرد قائمة مرتبة ترتيباً مصنفاً.[٢٣٠] فالعنوان **Bibliographie instructive** تعنى بالضبط (معرفة ووصف الكتب التى تعلم) فالصفة (تعليمية) قد تشير إلى حقيقة أنها مصنفة مشروحة. وكما ذهب اندريه تشارلز كايو - وهو معاصر لديبور وزميل له - فإن الببليوجرافيا التعليمية هذه هى عكس الببليوجرافيا البسيطة التى اعتاد ديبور وكايو إعداد فهارس المكتبات والفهارس التجارية على أساسها.[٢٣١]

لقد أدخل مارشاند المصطلحات: Bibliographia instructiva **and** Simplex وقد أطلق على الأولى (التعليمية) تسجيل الإنتاج الفكرى فى موضوع معين بينما أطلق على الثانية تسجيل الكتب فى مجموعة معينة (مكتبة)[٢٣٢] وكان من الواضح بالنسبة له ما إذا كانت القائمة مشروحة أم لا. بينما الجيل التالى له قصر مصطلح Bibliographia instructiva على القوائم المشروحة فقط.

حتى قبل ديبور قام بعض الباحثين الألمان بنشر قوائم بالكتب النادرة لأغراض البحث لتخدم كأدوات عمل فى تاريخ العلم (التعليم).[٢٣٣] ولقد كان عمل

ديبور عبارة عن ببليوجرافية مختارة مشروحة ومصنفة تهدف إلى حصر الطبعات القيمة التى يسعى إليها جامعو الكتب لأغراض التزويد. ومن أمثلة تلك الأعمال الدليل الذى أعده جاك تشارلز برونيه:

- Jacques Charles Brunet: Manuel du libraire et de l'amateur des livres. Paris, 1810.

وقد وصف الببلوجرافية التعليمية «التوجيهية» instructive بأنها «إنجاز جديد كلية وعلامة بارزة فى الفترة التى وجدت فيها». (٢٣٤)

ولقد حدد ديبور فكرته فى المقدمة ففرق بين معرفة الكتب من وجهة نظر الباحث وتاجر الكتب. بل إنه تحدث عن علم تاجر الكتب (تجارة الكتب). وذكر أن الباحث يهتم أكثر بمحتويات الكتاب وقيمته العلمية وأهميته البحثية. أما اهتمام تاجر الكتب ففى الطبعات المختلفة وحالتها وقيمتها للسوق. وذهب ديبور إلى ما هو أبعد من ذلك ففرق بين الكتب المفيدة ولكنها ليست نادرة وبين الكتب النادرة لأنها نادرة ـ وتستمد قيمتها فقط من هذا المنطلق ـ وكان يعتقد أن مهمة الباحث أن يخير العامة عن الأعمال النافعة كما كان الكثيرون يفعلون ذلك فى الماضى. ورأى من واجبه لتاجر كتب أن يقوم بجمع قائمة بالكتب المطبوعة القيمة مع وصف لها لخدمة محبى الكتب. وطالما أنه لم يجد كتبا نادرة تحت كل الأقسام فى التصنيف القياسى الذى وضعه فقد أدرج كتبا قيمة وليست نادرة كى يكون هناك توازن فى العناوين تحت الأقسام.

لقد قام ستروف وأتباعه مثل ديبور بالتفريق بين معرفة الكتب من وجهة نظر الباحث من جهة وتاجر الكتب من جهة ثانية. (٢٣٥) وبين الكتب النادرة من جهة وتلك الغير نادرة من جهة أخرى. ولقد قام المفكرون الألمان وتجار الكتب القديمة الباريسيون باعتبار معرفة **الكتب** البحتة غير ضرورية لتاجر الكتب بينما اعتبرها البعض ضرورية للفئتين على السواء. ولعقود طويلة كانت المعرفة البحتة للكتب على قدر كبير من الاحترام فى فرنسا بين الطبقة الأرستقراطية والوسطى

المتعلمة لانتشار حب الكتب بين أفرادهما؛[٢٣٦] ذلك أن جامعى الكتب النادرة كان عليهم أن يتعرفوا على قيم الطبعات المختلفة أو يستشيرون الخبراء فى ذلك. وكان فن اصطياد الكتب النادرة يتطلب دراسة مستفيضة لفنون الطباعة ومنتجاتها. على الرغم من أن تاريخ الطباعة والكتابة كان دائما يعتبر جزءا من التاريخ الفكرى. وفى خلال القرن الثامن عشر فقط تطور علم جديد هو (علم الكتاب) وخاصة الكتاب القديم وكان جمع الكتب هو العامل الحاسم فى نشأة هذا العلم الجديد. وهذا العلم الجديد تم غرسه ليس فقط عن طريق تجار الكتب المثقفون ولكن أيضاً عن طريق الباحثين وخاصة رجال الدين منهم. وعلى سبيل المثال فإن ديبور وابن عمه غليوم ديبور Guillaume Debure ـ وكان تاجر كتب أيضا معاصرا ـ كان عليهما أن يثبتا وجودهما أمام اثنين من الناقدين العتاة القساوسة هما الأب مرسييه Father Mercier وآبى ريف Abbé Rive. وكان ريف أمين مكتبة دوق لافاليير LaValiére أكبر جامع للكتب فى فرنسا فى ذلك القرن (١٨).[٢٣٧] وقد أطلق ريف على نفسه مصطلح (bibliognoste) أى خبير الكتب بل إنه استخدم فى بعض الأحيان المصطلح **bibliognosie** أى صاحب الخبرة الطويلة فى الكتب Expertise. وقصد هذا المصطلح على الخبرة والمعرفة بالكتب النادرة والطبعات القيمة التى تبنى على إلمام واسع بتاريخ الكتاب.[٢٣٨] ورغم ذلك فقد اسهم ريف فى تطوير العلم الجديد[٢٣٩] لأنه ذهب خطوة إلى أبعد من مجرد الاهتمام بقيمة طبعات السوق إلى دراسة الكتب القديمة من وجهة نظر تاريخ الطباعة.[٢٤٠]

إن النتائج التى تم الحصول عليها من «علم الكتاب» الجديد الذى لم يكن له اسم بعد حتى بداية الستينات من القرن الثامن عشر (١٧٦٠) تم رصدها وتسجيلها فى كتاب ديبور (البيليوجرافيا التعليمية «التوجيهية» Bibliographie Instructive). ولم يدرك ديبور أن معرفة الكتب التى قدمها كانت مختلفة عن تلك التى قدمها (الباحثون). ومع ذلك فإنه لم يتردد فى تسمية كتابه (ببليوجرافيا) لأنه كان مألوفا. وفى الطبعة الخامسة من الـ Dictionnaire de Tré-voux سمى الشخص المشتغل بمعرفة الكتب بالببليوجرافى ومعرفة الكتب

بالببليوجرافيا بصرف النظر عن كونها معرفة الكتب النافعة أو الطبعات القيمة. ولم تكن معرفة الكتب عند ديبور لتخرج عن قوائم بالكتب ولقد بدأ عمله بسلسلة من الببليوجرافيات الجديدة.(٢٤١) ومن ذلك الوقت فصاعداً بدأ هناك نوعان من الببليوجرافيات يتواليان مع نوعين جديدين من معرفة الكتب(٢٤٢): فإلى جانب القوائم بالأعمال الدراسية (المفيدة) ظهرت قوائم الطبعات النادرة والقيمة. وهذا النوع الثانى من القوائم بلغ درجة عالية من الأهمية فى السنوات الستين التى تلت وخاصة فى فرنسا.(٢٤٣)

هذا التقسيم للقوائم إلى هاتين الفئتين لم يلق قبولاً إذ انصب الأول على ببليوجرافيا علمية والثانى على ببليوجرافيا تجارية (من وجهة نظر تاجر الكتب). لقد بدأت فى ذلك الوقت الببليوجرافيات الخاصة بجامعى الكتب ومحبيها ـ لقد بدأها تجار الكتب ـ فى مقابلة تلك التى بنيت على أساس (التاريخ الفكرى). ورغم أنها كانت تدرج السعر فإنها لم يقصد بها فقط أن تكون أداة بيع. فالجامعون كانوا عبارة عن باحثين قدموا معرفتهم عن الطبعات وغيرها على شكل قوائم. إن الببليوجرافية المشروحة التى أعدها ديبور بكل المطبوعات الهامة كان لها صدى خطير ليس فقط لدى تجار الكتب وجماعيها ولكن أيضاً لدى الباحثين والدراسين الذين كرسوا جهودهم لهذا العلم الجديد دون أى هدف تجارى أو اقتنائى فى عقلهم(٢٤٤) لأن تلك الببليوجرافية التى أعدها تاجر الكتب الباريسى جاءت توثيقاً لتاريخ الطباعة وتضمنت أهم ثمارها. كما قام بروسبر مارشاند وهو تاجر كتب من نفس مستوى ديبور بحصر بدايات الطباعة فى كتابه: **تاريخ الطباعة: اختراعها وتطوراتها المبكرة:**

Prosper Marchand:Histoire de l'origine et des premiers progrés de l'imprimerie. The Hague, 1740.

وهو من أحسن الكتب فى هذا الموضوع.

ولكى نحدد فرعى الببليوجرافيا بطريقة أكثر دقة مما فعل ديبور فلابد من القول بأن أحد الفرعين كان يهتم اهتماما مطلقاً بمعرفة الكتابات (البحثية) بينما الآخر

كان يهتم (وليس اهتماما مطلقا) بمعرفة الطبعات ذات القيمة (من الناحية المادية). وفى البداية كانت البيليوجرافيات العلمية - بإستثناء ببليوجرافية جزنر[٢٤٥]- لا تهتم بإبراز القيمة المادية للطبعات وبيانات النشر للأعمال التى تدرجها. ولم تحذ حذو البيليوجرافيات التجارية فى هذا الصدد إلا فى القرن السابع عشر، وذلك حين أدرك البيليوجرافيون أن من واجبهم إدراج طبعات معينة من الكتب، رغم أن اهتمامهم الأول كان المعلومات الفكرية التى تتضمنها تلك الأعمال وجاء الشكل المادى فى تلك الأعمال فى المقام الثانى. وكان من الصعب الفصل بين الإثنين على أرض الواقع لأن طبعات الأعمال الهامة وغير الهامة كانت تدرج معاً فى القائمة الواحدة مما عرف بالتمثيل المتوازن للعناوين) على حد تعبير ديبور. وعلى الرغم من هذا الاتحاد بين الفرعين إلا أنه لم يكن هناك مصطلح لكل منهما أو حتى لهما معاً. ولكن طبقا لما درج عليه جان فرانسوا نيى دى لاروشيل - الذى سنناقشه فيما بعد - سوف نستخدم من الآن فصاعداً المصطلحين: **البيليوجرافيا الفكرية** literary bibliography **والبيليوجرافيا الطباعية** typographic bibliography.[٢٤٦] وقد خرجت الأولى من بطن التاريخ الفكرى (تاريخ التعليم). بينما خرجت الثانية من بطن تاريخ الكتاب. وكانت قوائم الكتاب التى تحمل البيليوجرافيا الفكرية هى أدوات البحث والدرس، بينما البيليوجرافيا الطباعية تخدم ليس فقط تجار وجماعى الكتب بل أيضاً الباحثين فى علم الكتاب.

وفى سنة ١٧٥٨م بدأ تاجر الكتب الباريسى اندريه تشارلز كاييو Cailleau وزميل ديبور فى إعداد عمل شبيه - كما زعم ديبور - لعمل ديبور المعنون البيليوجرافيا التعليمية Bibliographie instructive وعندما نشر عمل ديبور توقف كاييو عن الاستمرار ولم يستأنفه إلا فى سنة ١٧٧٥ بالاشتراك مع الأب ر. د (دوكلوس Duclos). ولم ينشر العمل إلا بعد ١٥ سنة أخرى فى سنة ١٧٩٠ فى باريس فى ثلاثة مجلدات تحت عنوان:

- Dictionnaire bibliographique historique et critique des livres rares, précieux, singuliers, curieux, estimés et recherchés.[٢٤٧]

ورغم أن الثورة الببليوجرافية كانت فى أوجها إلا أن هذا القاموس كان ثمرة النظام الببليوجرافى القديم[٢٤٨] إذا أنه مثل معظم الأعمال التى ظهرت بعد ببليوجرافية ديبور المرتبة بالتصنيف رتب هذا العمل هجائيا بالمؤلف والعنوان للأعمال المجهولة ومن هنا كانت التسمية بالقاموس وكان يعطى الثمن. وقد لخص عمل كاييو نتائج تجارة الكتب الفرنسية ووجهات نظر الببليوجرافيا الطباعية حتى سنة ١٧٨٩ وكان أهم انجاز فى مجال الببليوجرافيا الطباعية منذ ديبور.[٢٤٩]

وينتهى المجلد الثالث من هذا العمل بـ «مقالة عن الببليوجرافيا أو رسالة عن معرفة وحب الكتب، ودرجات ندرتها المختلفة وطرق تصنيفها وترتيب الموضوعات طبقا لأكثر الأنظمة شيوعا». وقد شرح كاييو مصطلح ببليوجرافيا على أنه معرفة وحب الكتب وهو فى هذا يتفق مع ديبور. والمقالة لا تغطى التفاصيل التى يدل عليها عنوانها فهى تعالج أولاً أنواع الكتب النادرة والطبعات الفريدة وأسباب ندرتها وتفردها. يتبع ذلك صفحة واحدة عن اختراع الطباعة. أما سائر المقالة فعبارة عن نظام تصنيف معدل تعديلا طفيفا من نظام مكتبات باريس Systéme des libraires de Paris.

وأهم من كل هذا كانت تعلقيات نيى دى لاروشيل على الببليوجرافيا. لقد كان دى لاروشيل أصغر سنا من ديبور وكاييو وكان يعتبر واحداً من تجار الكتب المثقفين فى العاصمة الفرنسية وإلى جانب إعداد بعض فهارس الكتب القديمة ألف عدة كتب فى تاريخ الطباعة فى القرن الخامس عشر والسادس عشر[٢٥٠] وبسبب أفكاره العظيمة عن الببليوجرافيا يمكن اعتباره سلفا للمنظرين الذين جاءوا فى نهاية القرن الثامن عشر. وجاء فهرسه الذى أعده لمكتبة بيروت Perrot Library (باريس ١٧٧٦) جاذبا للأنظار بتصنيفه ذى الأقسام الخمسة وبعض الشعب فيه تختلف عن نظام مكتبات باريس. (اللاهوت ـ العلوم ـ الآداب ـ التاريخ ـ الشريعة). فالقسم الثانى الخاص بالعلوم يبدأ بمقدمة تسير على النحو الآتى:

١ ـ الرسائل العامة فى العلوم واختراعها وأصولها وفوائدها. . .

٢ ـ الرسائل المتعلقة بدراسة العلوم.

أ ـ الببليوجرافيا

الببليوجرافيات العامة والرسائل الخاصة بتنظيم المكتبات، ودراسة الكتب...

الببليوجرافيات الوطنية.

الببليوجرافيات المهنية.

الدوريات الفكرية أو الببليوجرافيات الدورية.

الببليوجرافيات العادية أو فهارس المكتبات العامة والخاصة.

ب ـ علم الخطوط.

وكما فعل مارشاند من قبله قام نيبى دى لاروشيل بفصل الببليوجرافيا من ارتباطها التقليدى بالتاريخ الفكرى Histoire Litteraire (الذى ظل فى مكانه فى القسم الرابع (التاريخ) فى الشعبة السادسة) وقد جعل الببليوجرافيا قبل كل الموضوعات ما عدا اللاهوت وقد برر ذلك كله بقوله إن الببليوجرافيا تمدنا بمفاتيح العلم عن طريق إخطارنا بالمصادر.[٢٥١] والمصادر التى وضعها فى ذهنه لم تكن قوائم الكتب التى جعلها هدف شعبة (الببليوجرافيا) فى تصنيفه ولكنها الكتب نفسها. وكان الفرنسيون آنذاك لا يفرقون بين معرفة الكتب من الدرجة الأولى ومعرفتها من الدرجة الثانية[٢٥٢] ومن هنا فإن فكرة نيبى دى لاروشيل عن الببليوجرافيا كانت تتمشى مع تعريف المصطلح على أنه المعرفة ووصف الكتب. وكان تأكيد نيبى دى لاروشيل على **وظيفة** معرفة الكتب مسألة جديدة كما كان استنتاجه أن مكان الببليوجرافيا فى نظام المعرفة لابد وأن يأتى مباشرة بعد اللاهوت. وهو مثل نوديه[٢٥٣] جعل اللاهوت فى بداية النظام. بينما كان منظرو التسعينات من القرن الثامن عشر يفكرون بطريقة مختلفة.

وبعد عدة سنوات نشر نيبى رسالة من ٢٢ صفحة بعنوان: رسالة فى علم البيليوجرافيا وواجبات الببليوجرافى:

Discours sur la science bibliographique et sur les devoirs du biblio-qraphe. Paris, 1782.[٢٥٤] .

وقد حققت هذه الرسالة شهرة خاصة باعتبارها أول عمل فى علم الببليوجرافيا لمؤلف فرنسى وتعريف الببليوجرافيا والذى ورد فى القسم الأول من الرسالة كثيرا ما يرجع إليه ويشار إليه. وقد تنبأ فى نهاية التعريف بخطورة هذا العلم وأهميته وهذا التعريف يستحق اقتباسه لصحته:

الببليوجرافيا كما يقول نيبى هى معرفة دنيا الإنتاج الفكرى ووصف عناصره كما أن الجغرافيا هى وصف الكرة الأرضية. وسوف يأتى اليوم الذى تتوقف فيه الكشوف الجغرافية للأرض ولكن لن تتوقف الكشوف فى الإنتاج الفكرى ولذلك فإن دراسة الببليوجرافيا سوف تزداد بنفس القدر الذى يزداد فيه نمو العلوم والآداب.

لقد وجد جورج شنيدر فى هذا التعريف نوعاً من المبالغة والتزيد[٢٥٥] ولكننا لاينبغى أن نأخذ المعايير الحالية لنطبقها على المفاهيم الماضية ولكن لابد من أن نلحظ أن نيبى قد ذهب فى مفهومه للببليوجرافيا إلى أبعد من مجرد «معرفة ووصف الكتب كما حددها فى سنة ١٧٦٦. إذ نص على أنها «معرفة عالم الفكر» Connaissance du monde littéraire[٢٥٦] كما فسر التاريخ الفكرى على أنه معرفة الموضوعات التى تتألف منها مملكة المعرفة البشرية[٢٥٧] مما يلقى الضوء على تعريف نيبى المبالغ فيه للببليوجرافيا فقد جعلها فى نفس مرتبة (التاريخ الفكرى) ويتضح ذلك أيضا من وصفه للببليوجرافى المثالى. ومن هنا فإن نيبى لابد وأن يوضع فى مصاف الرجال الموهوبين من أمثال ماجليابتشى، مافييى، ليبنز، ، موراتورى، زينو، هايد، باليز، لاكروس، بروسبر مارشاند، ميرمان،[٢٥٨]

هؤلاء الرجال الذين لم يحيطوا فقط بالكتب وقوائم الكتب ولكنهم كانوا سادة فى مجال (التاريخ الفكرى Historia Litteraria).

وطالما أن الببليوجرافيا أصبحت قسماً بذاته فى تصنيف مكتبات باريس فإن المقدمات الببليوجرافية وضعت معها (كما فعل نيبى) رغم أن ذلك لم ينصب إلا على قسم واحد من التاريخ الفكرى. وتطوير الفكرة إلى أبعد من ذلك على النحو الذى قام به نيبى كان يعنى الصدام مع أمناء المكتبات الفرنسيين الذين استمروا فى تدريس (**التاريخ الفكرى**) على النمط القديم فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر[٢٥٩] ولكن تحت اسم جديد هو (الببليوجرافيا) والفرنسيون فى هذا الاتجاه كانوا يتلمسون خطى مايكل دنيس Michael Denis الذى كان يدرس التاريخ الفكرى فى فيينا والذى كان فى نفس الوقت مديراً لمكتبة Imperial Gareli Library وقد اعتبر دنيس أجزاء التاريخ الفكرى فروعا لمعرفة الكتب (الببليوجرافيا الفرنسية). ولقد كان كتابه: **مقدمة فى معرفة الكتب**:

Michael Denis: Einleitung in die Bücherkunde. Vienna, 1777 - 1887

نتيجة محاضراته التى ألقاها والذى كان له صدى عميق. والذى تعرف عليه الفرنسيون سنة ١٧٧٩ ـ ١٧٨٠ من خلال عرض مستفيض له فى مجلة L'Ésprit des Journaux[٢٤١]. ويبدو أن نيبى الذى نشر كتابه Discours بعد سنتين من كتاب دنيس كان متأثرا به في توسيع مفهوم الببليوجرافيا بحيث غدا مرادفا لمفهوم التاريخ الفكرى. ففى الجزء الأول من كتابه قام دنيس بدراسة تاريخ الكتاب مع التركيز على الطباعة وتاريخ المكتبات وإدارتها. والجزء الثانى يتعلق بتاريخ التعليم والفكر والمطبوعات الهامة فى كل موضوع ـ وكان نيبى ـ على عكس ديبور ـ الذى كان يعالج الببليوجرافيا من وجهة نظر الباحث وتاجر الكتب ـ يعتبر علم الببليوجرافيا وحدة واحدة ذات فرعين: ببليوجرافيا فكرية وببليوجرافيا طباعية والأولى فى نظره تتعلق بالمحتوى بينما الثانية تتعلق بالشكل المادى للكتاب.[٢٦١] وهذا يتمشى بالضبط مع مفهوم وفكرة دنيس عن (معرفة الكتب).

لقد كان نيبى يقدر الببليوجرافيا تقديرا عظيماً كما كان يرفع كثيرا من قدر الببليوجرافيين ولكن ذلك لم يمنعه من تقدير الجهد الببليوجرافى الفعلى على أنه (وصف الكتب) المبنى على معرفة حقيقية بدنيا الفكر. وطبقا لما ذهب إليه نيبى فإن على الببليوجرافى أن يحدد وأن يبحث إذا استدعى الأمر ذلك أين طبع الكتاب ومن طبعه ومتى طبع وما حجمه ومن مؤلفه وبعد أن يحدد الطبعة عليه أن يصفه بدقة ويسجل العنوان وبيانات الطبع بدقة ويضيف اسم المؤلف إذا لم يكن موجوداً ويحصر الصفحات أو الأعمدة ويحدد نمط الطباعة... إلخ هذه الأمور كانت فى رأى نيبى (الجزء الفنى فى علم الببليوجرافيا). ويستطرد نيبى قائلا بأنه على الرغم من أن هذا الجانب من الببليوجرافيا قد لا يكون علمياً إلا أنه لا ينبغى أن يهمل لأن هذا الجانب هو الذى يميز الببليوجرافى ويسمه عمن سواه من دارسى الكتب.

وفى القسم الآخر (التاريخى) من علم الببليوجرافيا كان الاهتمام الأكبر منصباً على تصنيف الكتب وتقييم المؤلفين وأعمالهم وطبعاتها. ومن هذا الملخص لعمل نيبى يمكن لنا أن نستخلص بسهولة ما اعتبره نيبى من واجبات الببليوجرافى وهى: التحقيق **Identification** الوصف **description**، التصنيف **classification**، التقييم **evaluation**. وهذه الواجبات ما زالت قائمة حتى اليوم وإن اختلفت المصطلحات إلى حد ما فإن تلك الواجبات لم تختلف أبداً. وبإستثناء جزنر، بيليه، مارشاند فإن أحدا لم يذكر تلك الواجبات[٢٦٢] ولقد ركز نيبى كثيرا على أن الببليوجرافى ليس مجرد رجل يعرف الكتب إنه باحث يعرف كيف يفهرس وكيف يصنف الكتب، فمنذ بداية القرن الثامن عشر أصبح من العادى وصف الكتب بدقة أكبر وبتفاصيل أعمق من ذى قبل[٢٦٣] وكان ذلك مقصوراً فى بداية الأمر على الكتب الثمينة ولكنه فيما بعد أصبح إجراء مقبولاً بالنسبة للكتب العادية فى القوائم الببليوجرافية.

وكثيرا ما كرر نيبى أن على الببليوجرافى أن يعرف بعض الشئ عن الطباعة. إن المرء ليندهش عندما يقرأ القسم الأخير فى رسالته أن على الببليوجرافى أيضا

أن يحيط بالمخطوطات. ومع ذلك فإذا كانت الببليوجرافيا تعنى معرفة ووصف كل عالم الفكر فإنها لابد وأن تتعامل مع الكتب المخطوطة والمطبوعة على السواء.

وفى نهاية الرسالة أسف نيبى لعدم وجود دراسة أساسية عن موضوع (معرفة الكتب) رغم وجود دراسات ببليوجرافية عامة أو خاصة فى العلوم والآداب كما أن بعض الببليوجرافيين رصدوا وأعدوا قوائم بالكتابات المنشورة فى بعض الموضوعات الفردية ولبعض الدول. وبعضهم أعد قوائم بالكتب النادرة حتى ولو لم تكن لها قيمة موضوعية ذات بال. وحتى تلك الجهود لم تسفر عن تغطيات متوازنة. وكان هناك افتقار واضح إلى الببليوجرافيات العالمية المختارة. وقد قدم نيبى خطة لإصلاح الوضع فى الشيئين الناقصين وهما: الرسالة الأساسية فى معرفة الكتب والببليوجرافيا العالمية المختارة. وهذه الأخيرة فى رأيه كانت عبارة عن ببليوجرافية مشروحة ومختارة بالأعمال المنشورة فى جميع مجالات المعرفة فى كل دول العالم وتكون ملحقاً لدائرة المعارف التى أصدرها ديديرون و دالمبرت Encyclopédie of Diderot & D' Alembert وهذا الاقتراح لم يكن جديداً بل كان قد طرح من قبل. ومن الجدير بالذكر أن رسالة نيبى هذه وجدوله قد شهدا طبعة جديدة فى سنة ١٧٩٣. ولكن خطته لم تر النور ولم تنفذ أبداً. ولم يهيأ المناخ لمثل هذه الأعمال والمشروعات الببليوجرافية إلا فى ظل الثورة الفرنسية التى أتاحت إصدار الببليوجرافية الفرنسية Bibliographie Française.

وحتى قبيل الثورة كان معظم المتخصصين الفرنسيين ـ ما عدا نيبى ـ يعتبرون الببليوجرافيا مرادفة لمعرفة الكتب ووصفها طبقا للتعريف التقليدى الذى أشارت إليه مقالة كاييو وكان تركيزهم أساساً على جانب التاريخ الفكرى أو على جانب الطباعة. بينما فى **نظام مكتبات باريس** لم تضم الببليوجرافيا الكتب لا عن التاريخ الفكرى ولا عن تاريخ الطباعة. لقد كانت الببليوجرافيا فيه جزءا من التاريخ الفكرى والأكاديمى ومن هنا فقد ضمت (أ) الأعمال المتعلقة بالكتاب عموما (ماعدا الأعمال الخاصة بالكتابة والطباعة (ب) الببليوجرافيات والفهارس، وكل الأدوات الأخرى المعينة على معرفة الكتب. أما الجزء الثانى (ب) فقد فرع عدة

مرات وجاء أكبر حجما من الأول وحمل صبغة القسم كله. ورغم ذلك فإن معرفة الكتب من الدرجة الثانية (القوائم) لم تعتبر فى ألمانيا الجزء الرئيسى من علم الببليوجرافيا. بينما الببليوجرافيا بالنسبة لفرنسا القرن الثامن عشر كانت تعنى ببساطة (معرفة الكتب).

الاستخدام الفرنسى ١٧٨٩ ـ ١٨١٥

إن الأحداث التى بدأت فى باريس سنة ١٧٨٩، أحدثت تغييرات كبيرة ليس فقط فى الجوانب السياسية ولكن أيضا فى مجال الكتب والمكتبات.[٢٦٤] فالمكتبات العديدة وبعضها فى غاية الأهمية وتخص الأرستقراطيين والكنائس صودرت ووهبت للأمة وأصبحت ملكية عامة وجمعت فى مكان محدد فى كل ولاية.[٢٦٥] وكان الهدف من هذا التجميع هو إنشاء مكتبات عامة قوية وغنية وقد تجمع كثير من الكتب النادرة والمخطوطات من المكتبات الخاصة. ولم يؤد انهيار النظام القديم إلى توقف جمع الطبعات النادرة والقيمة ولكن فقط أدى إلى تغيير نوعية الناس الذين يجمعون تلك الطبعات وذلك طبقا لإعادة صياغة الطبقات الاجتماعية فى فرنسا. ومع انتصار الطبقة الثالثة زادت الرغبة فى جمع الكتب. وقد استقر الوضع السياسى والاقتصادى الجديد بصعوبة بينما كان هناك طلب على المعلومات الببليوجرافية عن الأعمال الهامة والطبعات القيمة. وقام عدد من المؤلفين بنشر معاجم ببليوجرافية من خلال دور النشر فى باريس. وقد بدأت تلك المعاجم بمعجم نيقولاس تويسانت لوموين ديسيسارت: المعجم الببليوجرافى الجديد المتنقل:

- Nicolas Toussaint Le Mohyne Dessessart: Nouveau Dictionnaire bibliographique portatif. 2 éme ed. 1804.

وفى سنة ١٨٠٢ قام جاك تشارلز برونيه بإصدار ملحق لمعجم كاييو الببليوجرافى الذى كان قد أصدره سنة ١٧٩٠.[٢٦٦] وسجل جابرييل بيجنوت فى سنة ١٨٠٤ الكتب التى بيعت فى المزادات بأكثر من ١٠٠٠ فرنك كما سجل

فى سنة ١٨٠٨ تلك الكتب التى نشرت فى طبعات محدودة لا تزيد عن مائة نسخة.(٦٧) وفى سنة ١٨٠٥ ظهر هناك **المعجم الببليوجرافى المتنقل** الذى أعده فرانسوا اجناسى فورنييه وقد أعيد نشره سنة ١٨٠٩ فى طبعة موسعة منقحة بعنوان المعجم الببليوجرافى الجديد المتنقل:

- François Ignace Fournier = Dictionnaire portatif de bibliographie (1805).

- Nouveau dictionnaire portatif de bibliographie (1809).

وقد بدأ انطوان الكسندر باربيير و ديسيسارت فى سنة ١٨٠٨ فى إصدار ببليوجرافية جديدة من ستة مجلدات بعنوان: **المكتبة الجديدة للرجل ذى الذوق الرفيع**:

- Nouvelle Bibliothèque d' un homme de goût.

وفى سنة ١٨١٠ نشر برونيه ببليوجرافيته ثلاثية المجلدات: دليل المكتبى وهواة الكتب.

- Manuel du libraire et de l'amateur de livres.

الذى تفوق فيه على كل من سبقوه وأصبح عملاً مشهورا للغاية. وفى العام التالى ظهر المجلد الأول من **المعجم الببليوجرافى الفرنسى** Dictionnaire de Bibliographie Française وهو عبارة عن ببليوجرافية وطنية راجعة ولكنها للأسف لم تكتمل أبداً: وكان جامع هذه الببليوجرافية هو فيلهلم فليتشر Wilhelm Fleischer وهو مساعد تاجر كتب انتقل من ليبزج إلى باريس.

وفى ختام القرن بدأ نشر الكتب الدراسية عن الببليوجرافيا فى فرنسا أى كتب عن معرفة الكتب. وكان أول من قام بذلك هو جابرييل بيجنوت الذى بدأ عمله قبل ختام القرن. كما قام بعمل مماثل كلود فرانسوا اكارد Claude François Achard ومارتان سلفستر بولارد Martin Selvestre Boulard وبيير كلود فرانسوا دونو Piérre Claude François Daunou والذى سنناقش كتبهم فيما بعد.(٢٦٨)

ولابد من التنويه إلى أن هؤلاء الكتاب لم يوجهوا كتاباتهم لتجار الكتب وهواتها فقط وإنما لأمناء المكتبات أيضاً. والعدد الضخم من الكتب التى جمعت وأصبحت ملكا للأمة (١٢ مليون مجلد) خلال الثورة قد جلبت معها مشكلات ببليوجرافية عديدة لمديرى المستودعات التى جمعت فيها وكانت قلة منهم هى التى لديها خبرة ودراية بعلاج تلك المشكلات. وقد تمت الإشارة إلى تلك المشكلات سنة ١٧٩١ عندما طلبت **لجنة التعليم العام** إلى مديرى المستودعات تسجيل العناوين المخزونة لديهم على بطاقات (الكوتشينة) وإرسال تلك البطاقات إلى باريس وكان الهدف إعداد فهرس موحد بتلك المقتنيات التى آلت إلى الأمة الفرنسية. وعلى الرغم من التعليمات المفصلة الصادرة من باريس إلا أن مشروع الفهرسة كان بطيئا ثم لم يلبث أن توقف. وكان المستوى المهنى للمسئولين عن المكتبات العامة سواء التى كانت قائمة قبل الثورة أو أقيمت بعدها متواضعا للغاية وكانوا فى حاجة ماسة إلى تعليم فى كيفية تنظيم وفهرسة مجموعاتهم وإلا بقيت الكميات الهائلة من الكتب المتجمعة دون استخدام كمكتبات نافعة.

وقد رأى وزير الداخلية النشيط نيقولاس لويس فرانسوا أنه من الضرورى تعريف شباب الأمة الفرنسية بالكنوز العظيمة التى تنطوى عليها تلك المجموعات من الكتب ولذلك طلب فى منشور دورى له بتاريخ ١١ نوفمبر سنة ١٧٩٨ من المكتبات المدرسية المركزية فى المديريات ضرورة تنظيم دروس فى الببليوجرافيا[٢٦٩] وأعلن أن الهدف هو تقديم الشباب الفرنسى إلى معرفة الكتب وإمدادهم بدليل يرشدهم فى متاهات تلك المكتبات.

وقد اتضحت فكرته عن تنفيذ ذلك عندما وسع التعبير السابق «درس (مقرر) فى الببليوجرافيا والتاريخ الفكرى». فقد رأى فرانسوا أن يقوم أمناء المكتبات بتقديم تاريخ العلوم إلى الطلاب وخاصة تطور هذه العلوم منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر مع عرض لأهم الأعمال فى كل موضوع وذلك لمساندة الأساتذة الذين يدرسون تلك الموضوعات عن طريق المسح التاريخى. واقترح الانتقال من موضوع إلى آخر طبقا لخطة تصنيف شبيهة بخطة بيكون أو إحدى

دوائر المعارف وضرب نموذجا على تدريس الببليوجرافيا والتاريخ الفكرى بمقررات الببليوجرافيا الطبية والتاريخ الفكرى التى كان يقدمها أمناء المكتبات فى ثلاث مدارس للطب هناك. وكان من رأى الوزير أن الطلبة فى المدارس المركزية يجب أن يتعرفوا ـ من خلال دروس الببليوجرافيا ـ الكتب التى يجب أن يقرأوها وأن يحصلوا على «معرفة الكتب». (٢٧٠) وقد أضاف فرانسوا أن أمناء المكتبات عندما يتبعون تلك التعلميات سوف يساهمون فى تقدم المعرفة الإنسانية.

والمقررات التى كان يريدها الوزير ومستشاروه المثقفون كانت شبيهة بتلك المحاضرات التى كانت موجودة منذ **كونرنج** فى الببليوجرافيا والتاريخ الفكرى بالجامعات والكليات الألمانية وكان يلقيها أمناء المكتبات. (٢٧١) وكان من رأى الأساتذة الألمان أن القيمة الأساسية لتلك المحاضرات هى نقل معرفة الكتب إلى التلاميذ والطلاب. (٢٧٢) ولم يعنون الوزير الفرنسى مقرره باسم (التاريخ الفكرى) ولكنه عمد إلى الهدف الذى يريده مباشرة وهو معرفة الكتب (ببليوجرافيا). وكل ما فعله هو أنه أضاف مصطلح التاريخ الفكرى إلى الببليوجرافيا وفيما عدا تلك المرة كان يستخدم المصطلح ببليوجرافيا وحده ولكن بمعناها الواسع الذى يقصد به معرفة الإنتاج الفكرى الأكاديمى بما فى ذلك تاريخ التعليم وإنتاج الكتب. وهذا المفهوم من جانب الوزير للببليوجرافيا شبيه بما ورد فى رسالة نيبى Discours. (٢٧٣)

وفى نفس الوقت تعرّفنا على نظم التصنيف الفرنسية التى تبدأ لقسم سماه نظام مكتبات باريس «تاريخ الإنتاج الفكرى، والتعليم والببليوجرافيا» والذى أسماه النظام الجديد (الببليوجرافيا).

وأحد أمناء المكتبات الفرنسيين القلائل الذين استجابوا لاقتراح الوزير (الذى لم يكن أمرا) هو ف. فرانسوا زافيير لير F. Francois Xavier Laire الذى كان أمين مكتبة إحدى المدارس المركزية فى إحدى الولايات على بعد ١٥٠ كم من باريس ونشر عدة كتب عن تاريخ الطباعة فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر وقد اعتبر أفضل شخص للمقرر المقترح وقد وضع مخططا لهذا المقرر تحت

عنوان Cours de Bibliographie بتاريخ ١٥ مارس ١٧٩٩.[٢٧٤] وقد بدأ البرنامج فى ٢٠ أبريل من نفس السنة. وتحتفظ بعض المكتبات بنسخة من نص المحاضرات التى كان يلقيها على طلبته.[٢٧٥]

وقد قال لير فى مخططه أن المقرر يتألف من أربع أقسام:

الجزء الأول: يعطى ملخصاً لبدايات الكتابة وتاريخ الكتب من أول دليل مكتوب حتى القرن الخامس عشر ويشتمل هذا الجزء أيضا على أساسيات علم الدبلوماتيقا (الوثائق) وعلم الكتابة.

الجزء الثانى: يتعلق بتاريخ الطباعة وتطورها حتى منتصف القرن السادس عشر.

الجزء الثالث: طرق تحقيق وفحص الكتب النادرة والجيدة وترتيبها.

الجزء الرابع: نصائح لاستخدام وتحقيق أقصى استفادة من تلك الكتب.

ولقد نفذ لير هذا البرنامج فيما عدا الجزء الرابع الذى خطط له أن يأتى تلخيصاً لدنيا الثقافة وتاريخ الإنتاج الفكرى[٢٧٦] ولم يبدأ تنفيذ هذا الجزء حتى وافته المنية فى مارس ١٨٠١.

ومثل فرانسوا فسر لير مصطلح ببليوجرافيا بمعناه الواسع حيث فهمه على أنه جزء من (التاريخ الفكرى) القديم: أى تاريخ الكتابة والطباعة من جهة وتاريخ التعليم والثقافة والإنتاج الفكرى من جهة ثانية وفى نفس الوقت طرق الحصول على معرفة الكتب. كما فرق لير بين معرفة الكتب «التاريخية» معرفة الكتب «النقدية» حيث يقول ما نصه «تاريخ الكتاب يتضمن معرفة اسم المؤلف، تاريخ ومكان الطبع، الحجم، نوع الطبعة، بينما المعرفة النقدية للكتاب تتضمن معرفة درجة الامتياز، الأسلوب، الفائدة والندرة النسبية أو المطلقة له».

وفى المعرفة التاريخية للكتاب أشار إلى قوائم المؤلفات الخاصة والعامة وغيرها من الأدوات المعينة (وضرب أمثلة لها). وتحت المعرفة النقدية عدد خواص

الكتب الجيدة. وبعد ذلك شرح كيفية تصنيف الكتب طبقا لخطة تصنيف المعرفة.

وعلى الرغم من ذلك فإن مقرره لم يتمش مع أفكار فرانسوا. فقد ذكر الوزير اختراع الكتابة والطباعة فى منشوره وأوصى بتعليم الطلاب تاريخ الكتاب ولكن فى نهاية المقرر، بينما ركز لير على تاريخ الكتابة وأعطى نصف المقرر له. وكان لير يفخر بأنه ليس له سلف فى فرنسا.[٢٧٧]

«من المدهش فى عصر تنوير مثل عصرنا وتذوقه الواسع للكتب والقراءة لم يحاول أى باحث من قبل تتبع تاريخ الكتاب وتدريسه من بدايته، فوائده، مادته وأشكاله، . وفى كلمة ما هى مصادر العقل الإنسانى وقلبه والتى تخدم كمقدمة مركزة للتاريخ الفكرى».

لم يكن مهتما بالمعرفة فى حد ذاتها وبداياتها وتطورها وإنما بوسائل نقلها وبثها أعنى تاريخ الكتب والمكتبات؛ حيث كان تاريخ مجالات المعرفة المختلفة والمطبوعات كمقدمة لمعرفة الكتب تأتى فى المرتبة الثانية من الاهتمام، بعد تاريخ الكتب وفنون الكتاب. وهى فى حد ذاتها فى رأى لير يمكن أن تخدم كمقدمة عامة لتاريخ المعرفة الإنسانية. ولا نندهش إذا عرفنا أن تاريخ الكتب عند لير (كما كان عند نوديه) كان هو (معرفة الكتب) مقرونة بتاريخ العلم Historia Librorum = Notitia Librorum[٢٧٨]، مضافا إليها معرفة إنتاج الكتاب وتاريخه. ويمكن للمرء أن يلحظ التناقض بين الوزير وأمين المكتبة (لير) بالنظر إلى فرعى البيليوجرافيا اللذين تميزا واختلفا منذ ديبور. فقد أراد فرانسوا أولاً وقبل كل شئ تعليما دقيقاً فى البيليوجرافيا **الفكرية** ومتطلباتها التاريخية الفكرية بينما قام لير بتدريس تاريخ الكتاب كمتطلب أو مدخل إلى البيليوجرافيا الطباعية.

ولم يكن لير الفرنسى الأول ولا الفرنسى الوحيد الذى يعالج علم الكتاب فى شكل مقرر دراسى فى تاريخ الكتاب ولكنه لم يعرف أن زميله بيجنوت Peignot فى فيسول Vesoul كان يقوم بنفس العمل فى ذات الوقت بل سبقه بفترة قصيرة.

وقد سبقهما فى هذا المضمار مايكل دنيس Michael Denis (المصلح الجزويتى) الذى كان أول من ألف فى تاريخ الكتاب فى كتابه الذى أشرنا إليه من قبل (مقدمة فى معرفة الكتب): .Einleitung in die Bücherkunde - هذا الكتاب كان المصدرالأساسى الذى استقى منه لير مادته العلمية.

ولم يكن لير وحيدا فى تصوره حول ما يدرس فى موضوع (الببليوجرافيا). فثمة آخرون استخدموا مصطلح ببليوجرافيا بمعناه الواسع وحولوا التركيز من تاريخ التعليم إلى تاريخ الكتاب، وأبدوا رغبة قوية فى (تصنيف الكتب) نجد ذلك الاتجاه عند **بيجنوت** الذى ذكرناه من قبل، وعند اثنين آخرين من أمناء المكتبات وهما كوست من بيزانسون Coste of Besançon وأكارد من مرسيليا Achard of Marseille. فاستجابة لنصيحة الوزير قام أمين المكتبةClaude Louis Coste فى ولاية دوبس Doubs سنة ١٨٠٠ بتنظيم مقرر دراسى فى موضوع الببليوجرافيا فى المدرسة المركزية فى بيزانسون. وقد سجل بيجنوت وصفاً لهذا المقرر فى كتابه: القاموس المشروح للببليوجرافيا:

- Dictionnaire Raisonné de Bibliologie - Paris, 1802.

وكان بيجنوت يستخدم مصطلح (علم الكتاب Bibliologie) بينما كوست كان يفضل مصطلح ببليوجرافيا. كتب بيجنوت عن كوست: [٢٧٩]

«قسم كوست الببليوجرافيا إلى ثلاثة فروع كبرى تمثل المظاهر المختلفة التى يدرس الكتاب من خلالها: الشكل المادى ـ التصنيف ـ الموضوع أو المادة العلمية التى يعالجها الكتاب ـ والفرع **الأول** يضم الببليوجرافيا البحتة أعنى كل ما يتعلق بوصف الكتاب ومظاهره المادية. سواء كان الكتاب صدر قبل أو بعد اختراع الطباعة. أما الفرع الثانى وهو المتعلق بالتصنيف فيمكن توزيعه مبدئيا إلى ثلاثة مباحث رئيسية. أما الفرع الثالث من علم **الكتاب** فيتعلق بالمادة العلمية التى يعالجها الكتاب».

لقد أراد كوست هو الآخر أن يدرس الببليوجرافيا «الطباعية» و «الببليوجرافيا الفكرية» ولكنه فى النهاية لم يجد الوقت الكافى لتنظيم ذلك المقرر حيث كان عليه أن يقوم بجرد مكتبة المدرسة المركزية.

أما جابرييل بيجنوت وهو أحد مؤلفى الببليوجرافيا المكثرين فى مطلع القرن التاسع عشر[٢٨٠] فقد كان مديرا لمكتبة المدرسة المركزية فى ولاية هوت سائون فى فيسول (٥٠ كم غرب بلفورت) فى ذلك الوقت وكان راغبا فى تنفيذ وصية الوزير فرانسوا قبل لير وكان متشوقا لتنظيم مقرر فى الببليوجرافيا خلال العام الدراسى ١٧٩٨ / ١٨٩٩. وكان عل ألفة بالمادة العلمية لأنه كان يستعد لتأليف كتاب فى الموضوع ففى خطبة الافتتاح عن الموضوع ـ بعد تسع خطب عن الموضوعات التى تدرس بالمدرسة يوم أول نوفمبر ١٧٩٨ ـ ناقش موضوع تعليم الببليوجرافيا كما طلبه وزير الداخلية حيث قال:[٢٨١]

لقد اقترح وزير الداخلية مقررا عاشراً يضاف إلى المقررات التسعة الموجودة فى لائحة كل مدرسة، مقررا يسبق كل المقررات يتعلق بالببليوجرافيا والتاريخ الفكرى. لقد استشرفنا رغبة الوزير وجربناها. وفى هذا المقرر سوف نعالج تاريخ اللغات القديمة والحديثة، وتاريخ الفلسفة،[٢٨٢] تاريخ الآداب والفنون والعلوم وتاريخ الكتب والطبعات، وتاريخ معظم المكتبات فى العصور القديمة والحديثة على السواء. سوف نتحدث أيضا عن المعرفة الإنسانية بصفة عامة، والتداخلات بين العلوم، تصنيف الكتب، وأخيرا سوف نختم بتاريخ الطباعة هذا الاختراع الثمين الذى يخلد أفكار العباقرة ومخترعاتهم والذى يحمى الآن حريات الشعوب.

ويلاحظ أن تاريخ اللغات والآداب والعلوم قد جاء فى البداية ويلاحظ كذلك أن اهتماما خاصاً قد أعطى للآداب. ولكن تركيز بيجنوت كان على **تاريخ الطباعة**. وكان الكتاب الذى يعده بيجنوت فى الموضوع قد انتهى فى صيف ١٧٩٩ وكان مخططا له أن يعنون: دليل المكتبى Manuel du bibliothecaire.

وقد أرسل بيجنوت إعلانا عن الكتاب ولكن زملاءه لم يظهروا الرغبة الكافية فى الكتاب ولذلك لم تكن هناك اشتراكات كافية. ولذلك لم يتمكن بيجنوت من طبع كتابه. ولذلك اضطر إلى إعادة النظر فى الكتاب المخطوط وأعاد صياغة مادته على شكل معجم. وهو الشكل الذى ظهرعليه كتابه بعنوان: المعجم المصنف فى الببليوجرافيا (علم الكتاب)Dictionnaire Raisonné de Bibliologie Paris 1802 - 1804. وقبل هذا الكتاب نشر الدليل الببليوجرافى-Manuel Bibliographique وكان العنوان البديل هو «أو مقالة عن المكتبات القديمة والحديثة، معرفة الكتب؛ الأشكال والطبعات، طرق جمع مجموعات مختارة جيداً من الكتب وتنظيمها تنظيما مصنفاً والكتب المرجعية الرئيسية فى كل مقرر من المقررات التى تدرس فى المدارس المركزية، وهى جميعا مصحوبة بتعليقات ببليوجرافية مشوقة وتعليمية قليلة» (باريس ١٨٠٠).

لقد كان هذا الدليل مجرد عمل متواضع جدا سبق أعماله العظيمة الببليوجرافية التى تلت. ولقد قدم من المعلومات أقل بكثير مما حمله عنوانه وإلى جانب ترجمته لكتاب جستس ليبسيوس المعنون عن المكتبات: :Justus Lipsius - De bibliothecis

وبعض نقول من كتابه غير المنشور (دليل المكتبى) فإن الجانب الرئيسى من هذا العمل عبارة عن قوائم كتب(٢٨٣) ومع هذا فإن مقدمة الكتاب المعنونة **De la Bibliographie** لها شأن خاص وقد كتب فيها بيجنوت:

«إن كلمة ببليوجرافيا فى معناها الواسع تعنى معرفة الكتب أو وصف الكتب، هذه المعرفة مع ذلك تتطلب فهما والماما بأمور أخرى مبدئية لازمة للبليوجرافى. أما معرفة الكتب المجردة فهى المظهر الفنى للببليوجرافيا وهو المظهر الذى يربط المرء نفسه به غالبا ومن هنا فإن الدراسة الفلسفية أو التاريخية أو الفكرية للموضوع هى التى يمكن أن نطلق عليها اسم (علم الكتاب) Bibliology ومن هذه الدراسة أو من علم نتاج العقول نتقدم نحو وصف الكتب وهذا الجزء

الأخير من العلم هو فى الواقع ما نسميه ببليوجرافيا. وسوف أكرر هنا ما قلته فى المنشور منذ السنة السابعة (للثورة) فليس يكفى أن يكون لدى أمين المكتبة فهرس منهجى ومنظم أو يعرف ثمن مجلد يرغب فيه أحد الهواة أو أحد أمناء المكتبات من زملائه، أو يعرف إلى أى قرن يعود مخطوط معين. لأن هذه المعرفة مفيدة من وجهة نظر أخرى، لأنها ترتبط بمجال تجارة الكتب أكثر من ارتباطها بمجال الببليوجرافيا فى المكتبات. إن أمين المكتبة يجب أن يكون لديه المام على الأقل بتاريخ وخطوط اللغات القديمة والحديثة على السواء. وعليه أن يدرس التاريخ والفلسفة والأدب حتى يكون لديه خلفية عن (التاريخ الفكرى) يجب أن يعرف المكتبات الرئيسية فى الماضى والحاضر وخاصة في أوربا. وعليه أن يحيط إحاطة تامة بتاريخ الطباعة، ويجب أن يدرس كل الأنظمة الببليوجرافية ويجب أن يعرِّف نفسه بالنظريات المكتبية منذ العصور القديمة حتى الآن.

وهكذا فرق بيجنوت بين الببليوجرافيا فى معناها الضيق ـ أى معرفة الكتب ووصفها (بما فى ذلك تصنيف الكتب بطبيعة الحال)[٢٨٤] ـ والخلفية الضرورية فى تاريخ الفكر والكتب وقد أسمى هذا الأخير (علم الكتاب). كما فرق بين علم الكتاب والببليوجرافيا فى معناه الضيق وبين الببليوجرافيا فى معناها الواسع.

وهذا المفهوم الجديد لم يعرفه الببليوجرافيون الفرنسيون من قبل فقد كان مفهومهم للببليوجرافيا بمعناها الواسع هو ذلك الذى ذكره مايكل دنيس فى كتابه Einleitung in Bücherkunde والذى نشره فى فينيا ١٧٧٧ ـ ١٧٧٨ وقد ضم الأجزاء الرئيسية فى التاريخ الفكرى، تاريخ الكتب والمكتبات، وتاريخ الفكر والإنتاج الفكرى. وكما ذكرنا من قبل[٢٨٥] قام **نيبى** بتوسيع مفهوم الببليوجرافيا بتأثير من **دنيس** وكتابه. ولقد ظهرت طبعة جديدة من هذا الكتاب الذى لاقى تقديرا عظيما (الذى طبع طبعة غير شرعية ١٧٨٢) سنة ١٧٩٥ / ١٧٩٦. وربما قاد هذا الكتاب الأخصائيين الفرنسيين إلى استخدام مصطلح ببليوجرافيا بمعناه الواسع أكثر من ذى قبل. وقد أكد ذلك **قسم الببليوجرافيا** فى

نظام مكتبات باريس الذى أعد بعد مارشاند والذى ضم الأعمال العامة عن: الكتب ـ إدارة المكتبات ـ تاريخ المكتبات.

وكان دنيس قد اقترح تسمية دراسة الكتب والمكتبات ـ بما فى ذلك تاريخ الكتب والمكتبات ـ باسم (علم الكتاب ـ Bibliologie). [٢٧٦] وكان بيجنوت هو الذى أدخل هذا المصطلح الخاص فى اللغة الفرنسية ومن ثم انطلق إلى اللغات الأخرى[٢٨٧] وعلى العكس من **دنيس** قام **بيجنوت** ولعدة سنوات بتضمين تاريخ الفكر والإنتاج الفكرى كجزء من مصطلح (علم الكتاب Bibliology).

وعندما أخذ بيجنوت فى إعادة النظر فى مخطوطة كتابه الذى لم ينشر (دليل المكتبى) وحوله إلى معجم استعمل فكرة (علم الكتاب) كأساس فى معجمه بل ضمن هذه الكلمة فى عنوان معجمه. والكتاب الذى فشل فى أن يكون كتابا مقررا على أمناء المكتبات بشكله القديم نجح فى شكله الجديد وبعنوانه الجديد (المعجم المصنف فى علم الكتاب) وقد استقبل استقبالا حافلاً ليس فقط من جانب أمناء المكتبات ولكن أيضا من جانب تجار الكتب وجماًعى المطبوعات حيث استخدموه من حين إلى آخر واستشاروه لعدة عقود.

وفى المقدمة حدد بيجنوت مرة ثانية تعريفه لعلم الكتاب الذى يختلف عن الببليوجرافيا بمعناها الضيق أى الببليوجرافيا البحتة "bibliography "proper، يقول بيجنوت فى هذا الصدد:

«علم الكتاب الذى يضم كل المعرفة البشرية يتعامل فقط مع مبادئها الأساسية، أصولها، تاريخها، أجزائها، تصنيفها وكل ما يتعلق بفنون وصفها، وسائل اختزانها (تسجيلها) عن طريق العلامات: الصور، الحروف، سواء مخطوطة بخط اليد أو مطبوعة بالمطابع. وهذا التعريف بشكلة الراهن يعنى أن علم الكتاب هو خطة لدائرة معارف (فكرية)... وهو يختلف عن الببليوجرافيا فى أن هذه الأخيرة تضم فقط الوصف الفنى للكتب وتصنيفها، بينما علم

الكتاب (الذى هو الجانب النظرى من الببليوجرافيا أو الخلفية الفلسفية) يقدم تحليلا كاملاً للمعرفة الإنسانية. وعلاقاتها وتسلسلاتها وعناصرها. وعلم الكتاب يقوى التفاصيل النسبية من خلال فن الكلمة، الكتابة والطباعة، إنه يكشف عن حوليات عالم الفكر ويجعل فى الإمكان متابعة تقدم العقل البشرى خطوة خطوة.

إن المتطلبات التى حددها بيجنوت فى مقاله (الببليوجرافى Bibliographe) كانت رائعة فقد قال:

هذا الإسم «ببليوجرافى» يقصد به ذلك الشخص الذى يتخصص فى : معرفة الكتب والتاريخ الفكرى وكل ما يتعلق بفنون الطباعة. وليس هناك شئ أعظم من لقب «ببليوجرافى» وليس هناك أشق وأصعب من الحصول على هذا اللقب. لأن الببليوجرافيا هى العلم الموسوعى الشامل الذى لا نظير له فى كل فروع المعرفة البشرية. وكل شئ يندرج تقريباً تحت لوائها: اللغات، المنطق، النقد والتحليل..

إن هذا الوصف للببليوجرافى المثالى بنى على جوهر المخطط الذى وضعه نييى[٢٩٠]. لقد كان بيجنوت مهتماً بتنظيم المعرفة ـ رغم أن هذا الموضوع لم يكن نقطة قوته ـ وقد أضاف إلى معجمه (معجم علم الكتاب) تصنيفاً مفصلاً للببليوجرافيا فى معناها الواسع.[٢٩١] وقد أطلق على كل المجال بما فى ذلك الببليوجرافيا بمعناها الضيق: الببليوجرافيا أو علم الكتاب. والأقسام التى تندرج تحت هذا العلم تسير على النحو التالى:

١- علم المعاجم أو اللغويات.

٢- الدبلوماتيقا أو علم الوثائق.

٣- تأليف الكتب.[٢٩٢]

٤- الطباعة.

٥- تجارة الكتب.

٦- الببليوجرافيا أو معرفة الكتب.

٧- التاريخ الشامل للتعليم (للفكر) Learning.[٢٩٣]

وبعد فترة هجر بيجنوت هذا التفسير الواسع لعلم الكتاب ووضع بدلاً منه تعريفاً أضيق من ذلك الذى وضعه فى مطلع القرن.[٢٩٤] ففى كتابه: **التقرير الببليوجرافى الشامل**. Répertoire bibliographique Universel. Paris, 1812 -

أطلق على المجال بمعناه الواسع المصطلح (ببليوجرافيا Bibliographie). وحدد عناصره على الوجه الآتى:

١- تاريخ الفكر (التعليم Learning)

٢- علم الكتاب أو الببليوجرافيا الأساسية

٣- الببليوجرافيا العامة.

٤- الببليوجرافيا الخاصة.

وقد قسم القسمين الأولين على التفاصيل التالية:

١ ـ تاريخ الفكر (التعليم Lcarning)

مقدمة تحليلية

التاريخ العام للفكر القديم

التاريخ الخاص للفكر القديم؛ اليهود...

التاريخ العام للفكر الحديث

التاريخ الخاص للفكر الحديث: فرنسا وغيرها

التاريخ الخاص للفكر: اللاهوت...

تاريخ الكتابات عن الأكاديميات والجامعات...

تاريخ الكتابة عن الكتب وتجارة الكتب فى العصور القديمة والحديثة

تاريخ الكتابة عن الطباعة: نشأتها وتطورها. . .

المذكرات الفكرية والكتابات المتنوعة.

تراجم الباحثين.

المعاجم الفكرية التاريخية

٢ ـ علم الكتاب أو الببليوجرافيا الأساسية

ـ الدراسات الأساسية عن الببليوجرافيا بما فى ذلك كل ما يتعلق بالخصائص المادية للكتب واحجامها وطبعاتها وأنظمتها الببليوجرافية، وإدارة المكتبات وفن إعداد الفهارس وبيع الكتب للجمهور. . .

ـ الدراسات الخاصة عن الببليوجرافيا مثل المناقشات المتعلقة بالكتب النادرة، المكتبات، مشاهير الطابعين، تجار الكتب. . .

ـ الدراسات الخاصة بفن الطباعة.

ـ الدراسات الخاصة بصناعة الورق.

ـ الدراسات الخاصة بتجارة الكتب. . .

هذه الببليوجرافيات تتعلق أساساً بالكتب والمكتبات (إنتاج الكتاب وتسويقه، إدارة المكتبات، تاريخ المكتبات. . . وكل جزء من هذه الأجزاء كما أعلن بيجنوت يتضمن تفاصيل كثيرة: تاريخية، نظرية وفلسفية، تطبيقية وهذه التفاصيل هى التى تكون الببليوجرافيا الأساسية. وعلى الرغم من أنه هنا ذكر وجهة النظر التاريخية إلا أن تاريخ الكتاب مكانه الفعلى كما رأينا هو فى القسم الأول (التاريخ الفكرى) ونحن نعرف ذلك من المقدمة الببليوجرافية التى قدم بها لقسم (الببليوجرافيا أو تاريخ ووصف الكتب) فى **نظام مكتبات باريس**. وجاء (علم الكتاب أو الببليوجرافيا الأساسية) عند بيجنوت سنة ١٨١٢ بنفس محتويات نفس تلك المقدمات الببليوجرافية وهى مثلها قد عانت من أن المطبوعات التاريخية

والتصنيفية عن الكتب والمكتبات لا تحمل أية فروق تميزها عن بعضها[٢٩٥] وعلى الرغم من أن **التاريخ الفكرى** تضمن تاريخ الطباعة فإن بيجنوت قد وضع الدراسات الخاصة بمشاهير الطابعين تحت (علم الكتاب) ووضع هناك كذلك كل الإنتاج الفكرى عن المكتبات بما فى ذلك تاريخ المكتبات.

ويجب أن نلاحظ أن بيجنوت قد حاول ـ كما حاول فى جداول التصنيف التى ألحقها بقاموسه ـ أن يضم فى قسم واحد الإنتاج التاريخى والتصنيفى والفنى المتعلق بالكتب والمكتبات بما فى ذلك الأعمال الخاصة بتجارة الكتب. هذا التركيز لكل المطبوعات المتعلقة بالمظاهر المختلفة للكتاب جاء مخالفاً للتنظيم المنطقى المحدد، ولكنه على أية حال كان مفيداً. وفى محاولته لمعالجة الإنتاج ذى الصيغة التاريخية كان هناك سلف لبجنوت وهو كريستيان جوتفريد شوتز Christian Gottfried Schütz الذى أعد تصنيف قسم (التاريخ الفكرى) فى السجل الألمانى العام للإنتاج الفكرى للسنوات ١٧٨٥ ـ ١٧٩٣ :

- Allegmeine Repertorium der Literatur für die Jahre 1785 - Jena, 793.

وهو النظام الذى قدره الإخصائيون الفرنسيون كثيرا. ولقد قلد شوتز فى النظام جورج ماتياى Georg Matthiae الذى قام بتنظيم الفهرس المصنف مكتبة جامعة جوتنجن.[٢٩٦] لقد ذهب بيجنوت إلى أبعد مما ذهب شوتز عند وضع تحت كل المطبوعات الفنية المتعلقة بالكتاب ـ وفى نظام مكتبات باريس على سبيل المثال ـ وضع الطباعة فى قسم (العلوم والفنون) الذى اندرج بدوره تحت (التاريخ الفكرى).

لقد كان استخدام بيجنوت لمصطلح (علم الكتاب ـ Bibliology) بهذا الجز من الببليوجرافيا هو الجديد. ولقد كان للمصطلح مجال مختلف فى أعماله التى نشرت فى ١٨٠٢، ١٨١٠ ـ ١٨١٢. ويستطيع المرء أن يتلمس أفكار بيجنوت فى تطوير هذا المصطلح فقد وسع أولا مجال علم الكتاب حتى أصبح مرادفا لعلم

البيليوجرافيا فى معناه الواسع ثم ضيق هذا المصطلح حتى اقتصر فقط على مفهوم (علم المكتبات) وبعد فترة من التردد استقر على مصطلح واحد لهذا الجانب من البيليوجرافيا والذى كان هاما بالنسبة له، أهم من (التاريخ الفكرى) الذى كان بلا حدود والذى لم يستطع أنه يقدمه للقارئ إلا على شكل مخطط عام.

وبعد هذا الجانب النظرى قدم بيجنوت الجانب الآخر من البيليوجرافيا ـ أى قوائم الكتب[٢٩٧] والذى وصف فى نظام مكتبات باريس تحت عنوان «**البيليوجرافيا أو تاريخ ووصف الكتب**» وعلى الرغم من ذلك فإن البيليوجرافيا فى فرنسا لم تعن معرفة قوائم الكتب التى تقود إلى معرفة الكتب نفسها ولكنها كانت تعنى معرفة الكتب نفسها مباشرة. وكلما كان المرء مهتما بالخلفية العلمية فى تاريخ الفكر وتاريخ الكتاب كلما كان اهتمامه أقل بمعرفة الكتب نفسها. لقد لعب بيجنوت دور البيليوجرافى بطريقة مزدوجة فهو لم يكتب فقط كتبا فى تاريخ الكتاب (البيليوجرافيا التاريخية، علم الكتاب) ولكنه من جهة ثانية قام بتجمع وإعداد قوائم ببليوجرافية ومن أحسن الأمثلة على ذلك القائمة الشهيرة التى أعدها بعنوان: الدليل البيليوجرافى الشامل الذى يتضمن حصرا مصنفا للبيليوجرافيات المتخصصة وعددا كبيراً آخر من الأعمال البيليوجرافية المتعلقة بالتاريخ الفكرى وكل أجزاء علم الكتاب.

- Repértiore bibliographique universel, contenant la notice raisonnée de bibliographies spéciales... et un grande nombre d' autres ouvrages de bibliographie, relatifs 'a l'histoire litteraire et à toutes les parties de la bibliologie. Paris, 1812.

لقد نظم هذا الدليل بالكلمات الدالة هجائيا. وكان أول ببليوجرافيا بالبيليوجرافيات فى فرنسا منذ القرن السابع عشر. وكانت معرفة الكتب فى هذا العمل قد جاءت من خلال معرفة قوائم الكتب ذاتها. ولقد حاول بيجنوت أن

يتخلص من الاستخدام الذى شاع فى القرن الثامن عشر والذى يسمى قوائم الكتب Bibliographes ويفضل عليها Bibliographies .(٢٩٨)

وفى نفس الوقت الذى نشر فيه بيجنوت أول كتاب له سنة ١٨٠٠ ـ ١٨٠١ بعنوان «مقالة عن الببليوجرافيا ومواهب أمين المكتبة» فى خمس وأربعين صفحة: ـ

Essai sur la bibliographie et sur les talents du bibliothécaire - Paris, 1800 - 1801.

فى ذلك الوقت ظهر مؤلف آخر مغمور يسمى نفسه بيرانت العينى Parent l'Ainé(٢٩٩) عاش فترة فى باريس وكان استاذا للتاريخ والجغرافيا فى المدرسة المركزية فى مقاطعة (ولاية) نييف. وقد ألف كتابا أهداه لزملائه وقد تضمن هذا الكتاب مخططاً (للتاريخ الفكرى) من وجهة نظر عصر التنوير كما تضمن تعليقات عن كيفية تنظيم مكتبة وواجبات أمين المكتبة فى المدرسة المركزية. والمعلومات التى ساقها تعكس رغبة حقيقية فى الببليوجرافيا بمعناها الواسع التى سادت فى المدارس المركزية آنذاك. وهو نفس المفهوم الذى استخدمه دنيس و نيبى دى لاروشيل والذى يحتضن (التاريخ الفكرى) والذى كان أحيانا يثير البلبلة. فقد أعلن بارانت فى المقدمة أن الببليوجرافيا هى فن تنظيم المطبوعات وأن المصطلح لا يعنى فقط معرفة بل أحيانا حب ثمار العقول».(٣٠٠)

وفى المخطط الذى وضعه فى (التاريخ الفكرى) لا يسمى الببليوجرافيا **معرفة ثمار القرائح، الأعمال العلمية** بل بدلا من ذلك يطلق عليها «الكتابة العلمية والبحث نفسه» ومن هنا فإنه نسب كل الإنجازات البشرية إلى الببليوجرافيا واستثمرها لما أمّله من تقدم وتطور والكتاب الذى خطط لإعداده بعنوان «التاريخ المتيمز للببليوجرافيا فى جميع الدول»:(٣٠١)

- Histoire caractéristique de la bibliographie chez toutes les nations

ليس إلا نوعا من (التاريخ الفكرى) العام».(٣٠٢)

نعم لقد قام بعض المتخصصين الفرنسيين بوضع التاريخ مع الببليوجرافيا ولكن فى حدود معلوماتى لم يقل أحد من الفرنسيين بأنها ببليوجرافيا موضوعية. والسببَ الذى دعا بارانت إلى هذا الاستخدام الغريب لمصطلح ببليوجرافيا هو أنه وضع فى قلب الببليوجرافيا على عكس لير وبيجنوت تاريخ التعليم وليس تاريخ الكتاب. ومن الطريف أنه بعد أن عالج الببليوجرافيا كما فهمها عالج واجبات أمين المكتبة وهو نفس ما قام به كل من لير وبيجنوت.

وفى بقية مخطط (التاريخ الفكرى) توقف بارانت عن تسمية الببليوجرافيا (معرفة قرائح العقول) والأعمال العلمية. ولقد تردد خلال القرن الثامن عشر ولعدة مرات تسمية الببليوجرافيا (معرفة الكتب) باسم علم أمين المكتبةScience du libraire ولكن الحدود كانت تختلف من مرة إلى أخرى.[٣٠٣] وكانت أحيانا تفسرعلى أنها ذاكرة تجار الكتب إزاء الكتب أو معرفة القيمة الفعلية للطبعات المختلفة. هذه المعرفة تبنى أساساً على تاريخ الكتاب وهى المعرفة التى اهتم بها تجار الكتب القديمة من أمثال ديبور. إن مفهوم مصطلح ببليوجرافيا فى نهاية القرن الثامن عشر كان أوسع وأكبر من مجرد المعرفة التجارية بالكتب، كما نشرها تجار الكتب. كذلك فإن الوزير الحكومى فرانسوا فهم الببليوجرافيا بمعناها الواسع على أنها مخطط عام للتربية. وقد اقترح قيام أمناء المكتبات فى المدارس المركزية بتنظيم مقرر فى الببليوجرافيا والسماح للأشخاص الراغبين من غير الطلاب بالانخراط فى هذا المقرر. وكان لير ممن استجاب لاقتراح الوزير ونظم مقرراً فى مدرسته ولكنه لم يحقق أهداف الوزير، وقد ختم الجزء الثالث من مقرره بمحاضرة عن «واجبات، معرفة، وظائف أمين المكتبة». وقد تحولت الببليوجرافيا التى بدأ بتدريسها للشباب على أنها «قربان أبوللو» فى النهاية إلى **علم أمين المكتبة**.

ولقد عبر بيجنوت عن نفس الفكرة فى الببليوجرافيا حين قال عنها إنها علم المكتبات وذلك فى معجمه عن علم الكتاب الذى تطور عن كتاب (دليل المكتبى). كما أن اكارد Achard قد اقترب من نفس وجهة النظر.

لقد كان كلود فرانسوا أكارد أمين مكتبة مدينة مارسيليا ونشر فى سنة ١٨٠٦ - ١٨٠٧:

المقرر المبدئى فى الببليوجرافيا Claude François Achard : Cours élémentaire de bibliographie . وقد تألف هذا المقرر من ثلاثة مجلدات صغيرة كل منها من ٣٠٠ صفحة وكان له عنوان فرعى (علم أمين المكتبة). La Sciene du bibliothécaire . وكان يفخر بأنه أول كتاب فرنسى يعالج معالجة مباشرة موضوع الببليوجرافيا. ولأن بيجنوت أعاد صياغة كتابه إلى قاموس[٣٠٤] فإن كتاب أكارد فى الواقع يعتبر أول نص يعالج موضوع الببليوجرافيا بمعناه الواسع ويجب الاعتراف بأنه قد بنى جزئيا على أعمال بيجنوت والآخرين.

ولقد انتقد فى مقدمة كتابه هؤلاء الذين لم يروا فى الببليوجرافيا سوى علم (تجارة الكتب) إنها كما قال «علم مفيد عموما ولازم لكل هؤلاء الذين يعملون فى المكتبات» ثم تحدث عن تعليم الببليوجرافيا كما صوره الوزير **فرانسوا**، طالما أن معظم أمناء المكتبات فى المدارس المركزية لم تكن لديهم المعرفة الكافية لتنظيم مقرر الببليوجرافيا كما حددها الوزير. ولقد اقترح أكارد على الوزير التوقف عن تلك المقررات وإنشاء مدرسة لأمناء المكتبات تحت اشراف أحد الببليوجرافيين الثقاة فى باريس وثلاث أو أربع مدن أخرى. وهذا الاقتراح لم يلق ترحيبا، حيث أمَّل أكارد فى أن كتابه عن الببليوجرافيا سوف يرشحه ليكون مديرا لمدرسة أمناء المكتبات.

لقد ابتدأ أكارد كتابه بتعديد المتطلبات الأساسية اللازمة لدراسة الببليوجرافيا لقد كان بين تلك المتطلبات معرفة التاريخ الفكرى حيث اعتبرها الركيزة أو القاعدة الأساسية للببليوجرافيا حيث كانت دائما هناك رابطة أو علاقة حميمة بين الاثنين.[٣٠٥] واستمر أكارد فى القول بأن الببليوجرافيا اشتقت من اليونانية وتعنى وصف الكتب. ولو قال فى المقدمة بأن الببليوجرافيا هى فن وصف ومعرفة الكتب لكان من السهل علينا الاتفاق مع الفقرة التالية التى وردت عنه:[٣٠٦]

«وهكذا فإن الببليوجرافى هو الشخص المحيط بمعرفة الكتب، شكلها الخارجى والموضوعات التى تشتمل عليها. ويمكن تقسيم الببليوجرافيا مبدئيا إلى قسمين

أساسيين أحدهما يتعلق بصفة الكتب والآخر يتعلق بموضوعاتها التى هى ثمرة عقول المؤلفين.. هذه الكتب يمكن أن تكون مخطوطة أو مطبوعة.»

وطبقا لهذا النص فإن الببليوجرافيا تتعلق بالشكل المادى والكيان الفكرى فى المخطوطات والمطبوعات.(٣٠٧) ولذلك فقد ناقش الكتاب المخطوط فى العصور القديمة والوسطى ثم ناقش الكتاب المطبوع فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر وأخيرا طرق الطباعة الحديثة. وإن قسما كبيرا من المناقشة خصص للتصنيف الببليوجرافى وقد ناقش قائمة كبيرة من التصانيف إضافة إلى نظامه الخاص والذى عرضه باستفاضة على صفحة ١٧٥ من المجلد الثانى. أما بقية المجلد الثانى ومعظم المجلد الثالث فقد حشيا بمقتطفات من كتابات الدراسين الأخرين ودليل عن صيانة الكتب وملخص محتويات المجلد الأول والمجلد الثانى. لقد كانت فكرة أكارد الأصلية هو أن يقدم مسحاً بالكتب الناقصة والنادرة فى جميع مجالات المعرفة مع أسعارها ومقدمة عن الفهرسة وثبت بالمؤلفات مجهولة المؤلف والمؤلفات ذات الأسماء المستعارة.(٣٠٨) ولكنه لم ينفذ ذلك وإنما قام شخص آخر بهذا الجهد بعنوان: **دراسة ميدانية فى الببليوجرافيا** والتى قام بها مارتين سلفستر بولارد.

- Martin Silvestre Boulard: Traité élémentaire de bibiliographie. Paris, 1804.

والتى قدم فيها معظم الأعمال الهامة فى جميع فروع المعرفة.(٣٠٩)

وبصفة عامة فإن كتاب أكارد يقدم نفس المادة العلمية التى يقدمها كل من لير، كوست، بيجنوت. ففى الخلفية يقدم **صناعة الكتاب** (الخطاطة والطباعة وتاريخهما) **والتصنيف** (الأنظمة الببليوجرافية). أما معرفة الانتاج الفكرى فإنه يحتل المرتبة الثالثة. ولم يذكر أكارد فى مقرره قوائم الكتب والأدوات المساعدة الأخرى على الرغم من ذكرها فى مقرر لير. (كذلك لم يذكرها بيجنوت فى أعماله قبل ١٨١٢). أما تاريخ التعليم الذى أجله لير إلى نهاية مقرره والذى قدمه بيجنوت ملخصاً فلم يذكر فى كتاب أكارد كمتطلب سابق للببليوجرافيا.

ولا نستطيع من فحص أعمال لير وكوست تحديد مكان الببليوجرافيا فى نظام المعرفة الانسانية عندهما،[٣١٠] على الرغم من أننا نعرف رأى كل من أكارد وبيجنوت فى هذا الصدد وهما متفقان فى هذا ولكى نعرف ذلك فإننا يجب أن نرجع إلى الخلف قليلاً.

ولعلنا نتذكر أنه فى سنة ١٧٠٩ جرؤ مارشاند على أن يبدأ نظامه الببليوجرافى بالببليوجرافيا بدلاً من أن يبدأه باللاهوت. أما مارتاف الذى احتل مكانة معاصره مارشاند بنى تجار الكتب القديمة الباريسيين بعد رحيله فقد ترك الببليوجرافيا فى مكانها التقليدى فى قسم التاريخ الذى أطلق عليه منذ ذلك الحين اسم (التاريخ الفكرى والاكاديمى والببليوجرافى) histoire littéraire, academique et bibliographique بل إنه أبقى كذلك على التتابع التقليدى للأقسام الخمس الأساسية فى النظام وهى: اللاهوت ـ التشريع ـ الفنون والعلوم ـ الآداب ـ التاريخ. (١٧١١) وقد وافقه على ذلك تجار الكتب القديمة الفرنسيون الآخرون وكذلك كثير من أمناء المكتبات. وهكذا أصبح نظام مارتان مقلوب نظام مكتبات باريس أشهر نظام تصنيف فرنسى.[٣١١] وعبثا حاول ديديروت و دالمبرت إنشاء نظام آخر منافس له. وهو النظام الذى وضعاه بعد نظام بيكون ويتألف من ثلاثة أقسام رئيسية هى: التاريخ ـ الفلسفة ـ الشعر. ولقد كان اللاهوت فى هذا التصنيف الأخير ذا مكانة عظيمة ولكنه جاء فيه جزءا من الفلسفة. ولم تذكر الببليوجرافيا فى هذا النظام لأن الموسوعيين وقد ضللهم قاموس تريفو Dictionnaire de Trévoux قد اعتقدوا أن مصطلح ببليوجرافيا يعنى علم الكتابة (الباليوجرافيا). وبينما كانت أفكار عصرالتنوير منتصرة فى مجالات أخرى فإن النظام الببلوجرافى لدائرة المعارف Encyclopedie لم يحقق أى نجاح. ولقد استمر النظام الراسخ لتجار الكتب القديمة الباريسيين سائداً لأنه كان يعتمد على أسس عملية أكثر من الأسس النظرية. ولقد توجه نظام ديبور الببليوجرافى التعليمى هذا التوجه Debure - Bibliographie Instructive (1763).

كذلك فإن النظام المعدل الذى وضعه نيى دى لاروشيل لفهرس مكتبة بيرّوت Perrot Library (باريس ١٧٧٦): اللاهوت ـ العلوم ـ الفنون ـ التاريخ ـ

التشريع؛ لم يكن هو الآخر ناجحا. وفيه وضع نيى الببليوجرافيا مع البوليجرافيا polygraphy تحت رأس (مقدمات) Prolégomenes فى بداية القسم الثانى (**العلوم**)[٣١٢] ومن ثم فقد أتت مباشرة بعد اللاهوت طالما أنها كما قال تكشف عن مصادر التعليم والبحث فى المجالات المختلفة.

حتى أمين المكتبة ـ الذى كان رجل دين ـ جان بابيتست كوتون دى هوساى Jean Baptiste Cotton des Houssayes أعتقد أن الببليوجرافيا (معرفة الكتب) يجب أن تكون أساس كل مجال من المجالات ولذلك تسبقها فى أى نظام للمعرفة وقد أكد ـ كى يتجنب الصدام مع اللاهوت ـ على أن الببليوجرافيا يجب أن تحتل أعلى مكان وقارنها بالإبن المضطر إلى أن يمشى أمام والده فى طريق مظلم بالبطارية. وكانت عبارات دى هوساى فى خطابه الذى ألقاه سنة ١٧٨٠ عندما تقلد منصب أمين مكتبة جامعة السوربون على النحو الآتى:[٣١٣]

«على الرغم من أننى قلت بأن الببليوجرافيا هى المعلومات الدقيقة والواعية عن الكتب فإنها ليست مقدمة على كل العلوم. ومع هذا فإنها يجب أن تأتى أولاً باعتبارها الأساس كى تحمل المصباح أمام كل منها كما يحمل الابن المحب لوالده الضوء أمامه لينير له الطريق حتى تكون خطوته آمنة وسهلة كلما مشى فى طريق مظلم.»

وبعد ثورة ١٧٨٩، أخذ وضع اللاهوت فى نظام المعرفة يهتز ـ رغم أنه فى الـ Encyclopédie ـ كان فى المقدمة ـ وقد أعلن هيوبرت باسكال اميلهون Hubert Pascal Ameilhon أمين مكتبة مدينة باريس وعضو المعهد القومى للعلوم والفنون سنة ١٧٩٦ فى رسالة له:[٣١٤]

إن التجديدات التى نقترحها تسعى إلى جعل فهارسنا أكثر فائدة،[٣١٥] وبدون شك فإنه فى ظل حكومة لا ترفع طائفة دينية فوق أخرى وحيث لا تسود طائفة على الأخريات، فإننا يجب أن نضع الأعمال الدينية فى المكان الأول بالمكتبة كما يحتل رجال الدين المرتبة الأولى فى الدولة. وطبقا لهذا المبدأ فإن اللاهوت يجب أن يأتى أولا فى فهارسنا».

هذا الاتجاه كان هو السائد بين المثقفين والمتنورين فى تلك الفترة. ولقد كان أميهون راديكاليا وعندما اقترح وضع النحو فى بداية التصنيف إنما كان فى ذلك يحذو حذو القدماء.(٣١٦) وفى نفس الوقت كان يوصى بالتحول عن الأنظمة القديمة.

أما **أرماند جاستون كامى** Armand Gaston Camus فقد كان مفتش الأرشيف فى الجمهورية وفى نفس الوقت عضوا بالمعهد (القومى للعلوم والفنون) وعالجه نفس أفكار اميلهون فى محاضرة طويلة سنة ١٧٩٦ ذاتها بعنوان «ملاحظات على توزيع وتصنيف الكتب فى المكتبة». Observation sur la distribution et La - classement des livres d'une bibliothèque(٣١٧) . وفى هذه المحاضرة مال كامى مثل اميلهون إلى وضع اللاهوت فى المكان الأول فى أى نظام للمعرفة ولكن على عكسه لم يمل إلى وضع النحو فى البداية ولكن **البيليوجرافيا** حيث قال ما نصه «اتخيل أن أى شخص يريد استخدام المكتبة يرغب فى التعرف على الأدوات التى تساعده فى تحديد الكتب التى تعالج الموضوع الذى يدرسه وكيف يستفيد منها والفروق بين الطبعات المختلفة من تلك الكتب.

وكانت الببليوجرافيا بالنسبة لكامى تعنى معرفة الكتب بمعناها التقليدى وليس المجال الكامل على نحو ما ورد فى نظام مكتبات باريس والمعنون (التاريخ الفكرى والأكاديمى) ولكن فقط ذلك الجزء المسمى (تاريخ معرفة) ووصف الكتب). وتبعا لذلك فقد وضع (التاريخ الفكرى Histoire Litteraire) مكانا مختلفا تماماً فى نظامه وعلى التحديد فى آخر قسم. وتعليقا على ملاحظات اميلون التى تقترح وجود فرعين من معرفة الكتب: معرفة الكتب النادرة ومعرفة الكتب المفيدة، أبدى كامى أسفه أن الفرعين لا يلقيان عناية متساوية(٣١٨) حيث قال:

«إننا نملك معلومات أفضل لتحقيق الكتب النادرة والمتميزة، أفضل من معلوماتنا عن الكتب النافعة والمفيدة لدراسة العلوم، وأود لو صححنا هذا الخلل عن طريق ببليوجرافيا منظمة طبقا لخطة جديدة تبرز فيها الكتب البحثية المفيدة فى

كل مجالات المعرفة البشرية. وأعتقد أن إعداد ببليوجرافيات مماثلة لكل العلوم سيكون مفيدا للغاية»

وفى سنة ١٧٨٢ أبدى نيى دى لاروشيل نفس الملاحظات وقدم نفس الاقتراح حين هاجم الببليوجرافيين الذى يهتمون ويسجلون فقط الكتب بسبب ندرتها دون الاهتمام بمحتوياتها ومعلوماتها الداخلية. [٣١٩] وفى نفس الوقت بدأ كامى هجوما قاسياً على «ببليوجرافيا» جماعى الكتب والتى وصفها بأنها خادم الرغبات الطائشة للطبقة الغنية.

أما فيما يتعلق بوضع الببليوجرافيا فإن كامى كان يرى رأى مارشاند، ويبدو أنه لم يكن يعرف نظام مارشاند آنذاك[٣٢٠] وربما كان لخطاب كوتون دى هوساى سنة ١٧٨٠ والذى شخّص فيه معرفة الكتب، تأثير على فكرة كوتون عن استخدام الببليوجرافيا (معرفة الكتب) كمقدمة للعلم ووضعها فى مقدمة كل العلوم فى نظامه للتصنيف. ومع ذلك فإنه يميل إلى أن رجلا له كل هذه الخبرة الطويلة بمعرفة الكتب لا يحتاج إلى استقاء فكرته عن الببليوجرافيا من أحد غيره.

لقد كان هناك عضو ثالث موقر فى المعهد كان له اهتمامه العميق بمشكلات التصنيف الببليوجرافى وكان أول رئيس للمعهد ألا وهو بيير كلود فرانسوا دونو Pierre Claude François Dounou والذى كان إضافة نشاطه السياسى يشغل منصب أمين مكتبة البانثيون Pantheon ولقد سجل مذكراته المعنونة «مذكرات عن تصنيف الكتب فى مكتبة كبيرة Mémoire sur la classification des livresd' une grande bibliothèque » والتى حاضرها سنة ١٨٠٠ بيد أنها لم تطبع وإن جاءت بشعبتيه منها مقتطفات فى كتب الآخرين. [٣٢١] وفى هذه الدراسة أوصى بالأقسام الخمس التقليدية ولكن فى ترتيب مغاير على النحو الآتى: الآداب ـ النحو فى البداية واللاهوت كآخر قسم. وقد كشف فهرسه عن بعض التغييرات خاصة القسم التمهيدى: المقدمات Préliminaire بشعبيته (الببليوجرافيات والتاريخ الفكرى) فقد أراد دونو أن يبدأ بالببليوجرافيا مثل كامى ولكنه خلافا لكامى لم يشأ فصلها عن التاريخ الفكرى. [٣٢٢]

وفى خلال السنوات التى قدم فيها كل من اميلهون وكامى ودونو أفكارهم عن نظام التصنيف الببليوجرافى المتطور، أخذ بيجنوت فى الاشتغال بعمله الكبير. وقد درس المقترحات المنشورة لكل من اميهون وكامى وقرأ عن نظام مارشاند[٣٢٣] ومع ذلك فإنه فى مسودته التى نشرت كمقال بعنوان (النظام الببليوجرافى Syst-tème bibliographique) فإنه لم يركن إلى أيهم ولكنه إتبع الموسوعيين واتبع تقسيمهم الثلاثى للمعرفة وهى (التاريخ - الفلسفة - الشعر) مع الببليوجرافيا التى حذفها وكانت أسبابه فى ذلك[٣٢٤] «إن موضوعا هاما جدا يجب أن يوضع فى بداية أى نظام هو قسم الببليوجرافيا وقد أبدى عديد من الدارسين ضرورة ذلك ونحن راغبون فى تبنى هذا الاتجاه ففى الحقيقة تعتبر الببليوجرافيا الخيط الذى يهدى القارئ فى خضم الانتاج الفكرى الذى نسميه المكتبة».

لقد فكر فى كامى الذى كان بيجنوت يقدره تقديرا عاليا كلما تحدث عن الباحثين الذى أرادوا للببليوجرافيا أن تسبق كل شئ آخر. وعندما قصد كامى معرفة ووصف الكتب بمعناها التقليدى فإن بيجنوت كان يقصد الببليوجرافيا أو علم الكتاب بمعناه الواسع. وهذا المجال أو المعنى نجده فى التنظيم الذى وضعه لهذا العلم بعنوان «الببليولوجيا أو علم الكتاب - Bibiliologie ou Science des Livres - الموضح فيما بعد وحيث جاء التاريخ الفكرى كآخر قسم فيه.[٣٢٥]

وعلى العكس من بيجنوت فإن أكارد قد احتفظ بالأقسام الخمسة التقليدية وهو مثل دونو اعتبر اللاهوت قسما قائما بذاته والذى يمكن تفسيره كعلامة تغيير الزمن (ففى سنة ١٨٠٤ قام البابا بيوس السابع بمسح نابليون بالزيت) ولكنه أعاد ترتيب سياقها (التاريخ - الآداب - الفنون والعلوم - التشريع - اللاهوت) وكمقدمة وضع الببليوجرافيا فى بدايتها جميعا وجزءها على النحو الآتى:[٣٢٦]

مقدمة / الببليوجرافيا

١ - تاريخ الفكر واللغات

٢ - تاريخ الطباعة (وأيضا الكتابة)

٣ - تاريخ الجامعات والأكاديميات. . .

٤ - دراسات عن المكتبات

٥ - البيليوجرافيون العموميون

٦ - البيليوجرافيون الوطنيون

٧ - البيليوجرافيون المهنيون

٨ - دراسات عن الكتب مجهولة المؤلف والأسماء المستعارة. . .

٩ ـ ببليوجرافيات الدوريات.

١٠ - فهارس المخطوطات (فهارس المكتبات)

١١ - فهارس الكتب المطبوعة (فهارس المكتبات)

١٢ - فهارس تجار الكتب.

لقد قام بيجنوت ـ الذى كان مدينا لأكارد بالشئ الكثير ـ بوضع نظام جديد نشره فى عمله المسمى (النظام البيليوجرافى العالمى) - Répertoire bibliogra-phique universel (باريس ١٨١٢) وفيه اتبع الأقسام الخمسة الواردة فى نظام مكتبات باريس ولكنه اوصى باستخدام المعنى الواسع لمصطلح البيليوجرافيا لأهمية ذلك فى اعتبارها قسما قائما بذاته ووضعها فى بداية كل الأقسام الأخرى(٣٢٧) حيث قال «نعتقد مع ذلك أن البيليوجرافيا تستحق عناية كبيرة ولأهميتها تستحق أن تكون القسم السادس فى التصنيف البيليوجرافى الكبير، بل ربما تكون أول الاثنتى عشرة قسم فيه. . .» ولقد أدمج بيجنوت الشعب الاثنى عشر للبيليوجرافيا فى أربع فقط هى(٣٢٨): تاريخ الفكر ـ البيليولوجى أو البيليوجرافيا الأساسية ـ البيليوجرافيا العامة ـ البيليوجرافيا الخاصة.

لقد حذا بعض أمناء المكتبات الفرنسيين البارزين فى مطلع القرن التاسع عشر حذو بيجنوت فى اعتبار البيليوجرافيا ـ علم الكتاب ـ أهم هذه الأربعة جميعا وحددوها على الوجه الآتى:

١ - الببليوجرافيا تتعلق بـ:

أ ـ تاريخ الفكر والانتاج الفكرى (التاريخ الفكرى).

ب ـ تاريخ المخطوطات والمطبوعات، وتاريخ المكتبات وإدارتها (الببليولوجيا) مع إشارة خاصة للطباعة والتصنيف البيلوجرافى.

ج ـ معرفة الكتب ووصفها (الببليوجرافيا بمعناها الضيق).

٢ - مكانها هى بداية تصنيف المعرفة.

٣ - أنها علم أمين المكتبة.

لقد ضم هذا التعريف للببليوجرافيا كل عناصر (التاريخ الفكرى) القديم. بيد أن الممارسة كانت تختلف عن النظريات ذلك أن الببليوجرافيا بمعناها الواسع عندما كانت تدرس فإن تاريخ الفكر والانتاج الفكرى كان يختصر جدا وربما كان يترك. كذلك فإن معرفة الكتب والأدوات المعينة ـ أى القوائم التى تصنف الكتب ـ كانت تعالج باختصار أو تترك كلية. والسبب فى ذلك معروف لنا فقوائم الكتب ـ إذا قورنت بتاريخ الكتاب ـ موضوع صعب التدريس وحتى فى الوقت الحاضر فإن كثير من المعلمين يفقدون أن المرء لا يستطيع إلا أن يعدد فقط قوائم الكتب.

ولكن لماذا كان تاريخ التعليم ـ الذى يمثل الجزء الأكبر من التاريخ الفكرى ـ قد دفع به فى الخلفية وحل محله تاريخ الكتاب وخاصة تاريخ الطباعة والذى كان فى يوم من الأيام ملحقا بتاريخ التعليم؟ إن الببليوجرافيين فى العهد القديم لم يقلدهم الببليوجرافيون المحدثون قبل كامى إلا لفترة قصيرة جدا شغلوا أنفسهم فيها بالكتب النادرة أكثر من الكتب النافعة لصالح جماعى الكتب الأغنياء وبمعنى آخر اهملت الببليوجرافيا «الفكرية» لصالح «الببليوجرافيا الطباعية». وهو مثل نيى دى لاروشيل أوصى بجمع قائمة بأهم الكتابات فى جميع المجالات. ولكن الآن بدلاً من دراسة تاريخ التعليم ـ المتطلب السابق للببليوجرافيا الفكرية ـ شغل المكتبيون أنفسهم بدراسة تاريخ الكتاب المتطلب السابق للببليوجرافيا الطباعية. هذا الموقف يبدو محيراً ولكن يمكن تفسيره من خلال الوضع الذى

وجد أمناء المكتبات الفرنسيون أنفسهم فيه. وبسبب الثورة أصبح العديد من الكتب النادرة والقيمة إضافة إلى المخطوطات ملكاً للأمة. وكان على أمناء المكتبات العامة الذين أصبحوا مسؤولين عن هذه الكنوز أن يعرفوا ليس فقط تاريخ التعليم ولكن أيضاً تاريخ الكتاب.(٣٢٩)

في ذلك الوقت كان تاريخ التعليم (البحث) قد امتد لقرنين أو ثلاثة قرون بينما تاريخ الكتاب لم يمتد إلا لعقود قليلة وكان كل الباحثين تقريباً على ألفة بالأول بينما كثيرون منهم لا يعرفون إلا القليل عن هذا الأخير. وكان أمناء المكتبات المركزية يدركون تماماً افتقارهم إلى معرفة تاريخ الكتاب منذ زودت مكتباتهم بمجموعات الطبقات الأرسقراطية والدينية الواسعة خلال ١٧٩٥-١٧٩٦.(٣٣٠) وكان من المهم جداً لذلك التحول إلى تاريخ الكتاب من تاريخ الفكر (التعليم). وذلك لضرورته القصوى في المهمة الجديدة. وكان من المستحيل تحقيق التوازن في المعالجة بين المجالين. وكان تاريخ التعليم من السعة في المجال بحيث كان من الصعب الإحاطة به، كما أن هذا الميدان كان عبارة عن كسرات من العلوم المختلفة جمعت معاً وكان من السهل إعادتها إلى مكانها. وعندما حاول دنيس في كتابه Bücherkunde معالجة تاريخ الكتاب وتاريخ العلوم لم يقدم نتائج طيبة. وربما لتلك الأسباب عزف معلمو ومؤلفو البيليوجرافيا بمعناها الواسع عن تضمين تاريخ العلوم في مقرراتهم ومؤلفاتهم. ورغم أن تاريخ العلوم هام أهمية تاريخ الكتاب على الأقل في معرفة الكتب فقد استمر استبعاده من البيليوجرافيا كعلم أمناء المكتبات وهو حدث خطير وإن لم يكن قاتلاً. وغدت البيليوجرافيا الجديدة جذع (التاريخ الفكرى) القديم دون رأسه.

وبطبيعة الحال لم يوافق كل أمناء المكتبات الفرنسيون على أفكار بيجنوت وزملائه الآخرين في قطاعات البيليوجرافيا وعلى سبيل المثال فإن دونو Dounou في باريس لم يوافق على توسيع مفهوم المصطلح وأعلن:(٣٣١)

«إن معرفة الكتب التى تضم تحليل وفحص محتوياتها وتمتد كذلك لتشمل حياة وآراء مؤلفيها، تخرج عن نطاق البيليوجرافيا التى تعالج فقط العناصر الطباعية

والجوانب الفنية والتجارية فى الكتب والتى تتعلق بطبعاتها ونوعيتها وتوزيعها وبالفهارس التى تدرج فيها».

وعلى الجانب الآخر فإن تجار الكتب القديمة فى باريس استمروا على المفهوم القديم للببليوجرافيا كما ورد فى كتيب كتبه مارتين سلفستر بولارد بعنوان «رسالة فى الببليوجرافيا» يحتوى على خواطر التسجيل، والتقييم والبيع للجمهور، وكذلك تصنيف مداخل الفهرس، أسس المكتبة الجيدة، وكيفية تقدير الكتب النادرة والثمينة».

- Martin Selvestre Boulard : Traité elèmentaire : contenant la manière de faire les inventaires, les prisés, les ventes publique et de classer les catalogues, les bases d'une bonne bibliothèque et la manière d'apprecier les livres rares et précieux. Paris, 1804.[٣٣٢]

ولقد وصف بولارد الببليوجرافيين قائلاً «الببليوجرافى هو ذلك الشخص الخبير بالقيمة الفكرية والتجارية للكتب ويجمع كميات كبيرة كافية منها»؛ ذلك أن جمع الكتب فى ذلك الوقت كان من سمات الببليوجرافى. ولم يقل أحد غيره بذلك وإن فهم ذلك من السياق عند كثيرين غيره حيث عرف كايو Cailleau الببليوجرافيا بأنها معرفة وحب الكتب.[٣٣٣] وبناء على فهم بولارد للببليوجرافيا فإنه قد صنف الببليوجرافيين إلى ثلاث فئات : محبى الكتب ـ أمناء المكتبات ـ تجار الكتب. وإن نظرة واحدة إلى عناوين فصول بولارد تكشف عن أن هذه الدراسة كانت موجهة أساساً لتجار الكتب القديمة المبتدئين.[٣٣٤]

ولابد لنا هنا من التوقف لفترة أمام جاك تشارلز برونيه Jacques Charles Brunet وفكرته عن الببليوجرافيا ولسوف أعرضها لأختتم هذا الفصل لأن فكرته مبنية على ما شاع فى القرن الثامن عشر، وأثرت فى آراء القرن التاسع عشر. وحيث اعتبرت فكرته لفترة طويلة النموذج الذى يحتذى ليس فقط أمام تجار الكتب الفرنسيين ولكن أيضاً أمام أمناء المكتبات داخل وخارج فرنسا. ذلك أن مؤلف «دليل المكتبى وهاوى الكتب»: Manuel du libraire et de l'amateur des livres Paris, 1810. قد أعاد صياغة نظام مكتبات باريس فأكسبه نصراً جديداً ففى

جداول التصنيف Table mèthodique والتى تمثل المجلد الثالث من كتابه لم يبق فقط على الأقسام الخمس التقليدية ولكن أيضاً أبقى على سياقها التقليدى. إلا أنه لم يقنع نفسه بأن الببليوجرافيا قسم يجب أن يقوم بذاته كما ذهب بيجنوت واكارد واقترح فى نظامه أن تأتى بعد آخر شعبة فى القسم الخامس (التاريخ)الذى يتضمن أيضاً الشعب التالية والتى بلغت فى الطبعة الأولى ثمان شعب ثم اختصرت إلى خمس هى :IX تاريخ الفروسية والنبالة ـ X الآثار ـ XI تاريخ المكتبات ـ XII الببليوجرافيا ـ XIII التراجم. وتقسم الببليوجرافيا على الوجوه الآتية :

XII ـ الببليوجرافيا

المقدمـة

١- الدراسات العامة عن الكتب والمكتبات.

٢- تاريخ الطباعة

٣- الببليوجرافيون العموميون

٤- الببليوجرافيون الذين كتبوا عن الأعمال المجهولة والأعمال المدانة

٥- الببليوجرافيون الوطنيون

٦- ببليوجرافيو المذاهب الدينية

٧- الببليوجرافيون المهنوين

٨- ببليوجرافيو الدوريات والمجلات الأدبية

٩- فهارس المخطوطات فى المكتبات العامة والخاصة

١٠- فهارس الكتب فى المكتبات العامة والمتخصصة

وفى الطبعات التالية ضم برونيه ملاحق التاريخ الستة طبقاً لاستخدامات القرن الثامن عشر تحت عنوان (الوقائع التاريخية Paralipomenes historiques) وإضافة

إلى ذلك وضع الببليوجرافيا فى نهاية التراجم ومن هنا فإن الببليوجرافيا رغم أنها لم توضع فى البداية إلا أنها ماتزال فى موضع متميز.

لقد قصد برونيه إلى نوع من التسوية بين المفاهيم القديمة والحديثة للببليوجرافيا، فلم يعالجها فى معناها الضيق كما فعل زملاؤه فى القرن الثامن عشر الذين جعلوها مجرد شعبة فى التاريخ الفكرى والأكاديمى، ولا هو عالجها فى معناها الواسع الذى درج عليه أمناء المكتبات فى قرنه التاسع عشر الذين جعلوا التاريخ الفكرى جزءاً من الببليوجرافيا (بمعناها الواسع). فقد وضع الببليوجرافيا إلى جانب (على نفس المستوى) التاريخ الفكرى(٣٣٥) وأضاف إليها تاريخ الطباعة. بينما طبقاً لنظام تجار الكتب القديمة الباريسيين نجد أن تاريخ الطباعة يمثل فرعاً من فروع (تاريخ الفنون والعلوم) فى قسم (التاريخ الفكرى) أو توضع فى قسم (الفنون والعلوم) إذا وافقنا برونيه على تفتيت (التاريخ الفكرى) ووضعنا الأعمال العامة فقط هناك وعزلنا تواريخ العلوم الفردية والفنون مع التاريخ الفكرى وقد استمر برونيه فى تصنيفه على هذا الوضع الفعلى. لقد أصبحت الببليوجرافيا (بمفهومها الواسع) مجالاً خاصاً من مجالات المعرفة الإنسانية وأصبح لها كتب مؤلفة ومراجع ومقررات دراسية.

وفى كل هذه الأمور نال تاريخ الطباعة اهتماماً خاصاً وعولج بشئ من التفصيل بينما عولج تاريخ التعليم بإيجاز أو أهمل. وبينما وضع بيجنوت تاريخ الكتابةقبل تاريخ الطباعة فإن برونيه وضعه فى قسم (الفنون والعلوم) وحيث أبقى كذلك على فنيات الكتابة والطباعة. وهى الفنيات التى أدرجها بيجنوت تحت الببليوجرافيا.(٣٣٦) وبإضافة تاريخ الطباعة إلى الببليوجرافيا والتى تضم بالفعل الإنتاج الفكرى عن تاريخ المكتبات ومن هنا فإنه جمع فى مكان واحد أكبر وأهم جزء من المادة العلمية التاريخية التى تعالج الكتب والمكتبات وغيرها فى هذا الحقل فيما عدا الجوانب الفنية البحتة. ومن هنا فإنه قد تخلص من شرخ كان موجوداً فى نظام مكتبات باريس.(٣٣٧) ومن هنا فإن نظام برونيه قد ثبت ممارسة كانت سائدة فالموضوعات التى كانت تدرس فى الببليوجرافيا هى:

أ ـ تاريخ الطباعة وتاريخ وإدارة المكتبات

ب ـ معرفة الكتب ووصفها

الاستخدام الألمانى للمصطلح :

عندما أصبحت «معرفةالكتب» تسمى ببليوجرافيا فى فرنسا تم توسيع مفهوم المصطلح ليضم (الكتب والمكتبات على وجه العموم Prolegomena bibliographica). بينما فى ألمانيا لم يكن هناك أى تغيير. وحيث ظلت اللاتينية هى لغة الباحثين فإن معرفة الكتب استمرت تسمى (Notitia librorum) وفى الحقيقة كانت معرفة الكتب الجيدة (Notitia bonorum librorum). (٣٣٨) وفى مطلع القرن الثامن عشر كان هذا المصطلح يعبر عنه فى اللغة الألمانية Kundschaft guter Bücher أو Wissenschaft كما كان يتردد مصطلح آخر ألمانى هو (Historia = Notitia)(٣٣٩) Bücher - Historie . وفى منتصف القرن الثامن عشر قبلت اللغة الألمانية كلفة فى موضوع التاريخ الفكرى استخدم المصطلح - Bücherkenntnis -. (٣٤٠) ولقد استخدمت صيغة Bücherkunde لأول مرة على يد مايكل دنيس Michael Denis فى كتابه Grundriss der Bibliographie oder Bücherkunde (فيينا ١٧٧٥). (٣٤١) ولقد استخدمه فكرته عن الببليوجرافيا أى معرفة الكتب، محتذياً فى ذلك النمط الفرنسى. ولقد ظهر كل من مصطلحى Bücherkunde, Bücherkenntnis فى عناوين قوائم الكتب أيضاً. (٣٤٢)

ولم يحذ حذو النموذج الفرنسى بعد ذلك إلا عدد قليل من الباحثين الألمان فى استخدام مصطلح ببليوجرافيا بمعنى معرفة الكتب. وقبل منتصف القرن الثامن عشر مباشرة قام أحد أساتذة هلمشدت وهو نيقولاس فروبس بالتفريق التام بين (معرفة الكتب Notitia Librorum) والببليوجرافيا (bibliographia). رغم أن هذا الرجل لم يذكر أبداً فى تاريخ الببليوجرافيا، ففى أكاديمية جوليا Academia Julia حيث كانت معرفة الكتب تدرس فى أوجها كان هذا البروفيسور يدرس المنطق والميتافيزيقا واعتباراً من ١٧٤١ أخذ فى تدريس الطبيعة والرياضيات أيضاً. (٣٤٣) وفى سنة ١٧٤٦ نشر ملخصاً لمنطق وولف Wollf's logic باللاتينية وألحق به ببليوجرافيا بكتب المنطق عنونها : Bibliographia Logica وفى مقدمة هذا الحصر بالإنتاج الفكرى فى المنطق والذى قدم على شكل مقال

ببليوجرافى ركز على قيمة «معرفة الكتب» و«الببليوجرافيا» التى تخدمها (أى أن الببليوجرافيا تخدم معرفة الكتب) ووصف هذه الأخيرة (الببليوجرافيا) على أنها تسجيل الأعمال الفكرية بطريقة صحيحة.(٣٤٤) وهذا التعريف يتمشى فقط مع الجزء الثانى من تفسير مارتان للببليوجرافيا وتاريخ ووصف الكتب وكان يقابل المصطلح اللاتينى descriptio librorum . وبالنسبة لفروبس لم تكن الببليوجرافيا تشمل (التاريخ الفكرى) ولكنها فقط تخدمها كما قال. ولقد استخدم مصطلح ببليوجرافيا فى ألمانيا أولاً ليدل على أدلة الإنتاج الفكرى وأخيراً كل أنواع قوائم الكتب. وكان فروبس أول ألمانى يستخدم المصطلح بهذا المعنى الشامل الجامع على النحو الذى كان معمولاً به فى فرنسا إلى جانب معانى أخرى وذلك منذ مارشاند (أى وصف الكتب على وجه العموم).

ورغم أن فروبس أكد على الفروق بين (معرفة الكتب) و (الببليوجرافيا) فإنه فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر وبسبب التأثير الفرنسى فقد أخذ المصطلح المكون من كلمتين (معرفة الكتب Notitia Librorum) يختفى ويحل محله مصطلح الكلمة الواحدة (ببليوجرافيا bibliographia). وقد بدأ هذا التحول (هذه النقلة) بالصفة المناسبة جداً والمريحة جداً وهى (عارف الكتب أو عالم الكتب Bibliographicus = Knowledgeble of book). فلقد قام أوليفريوس ليجيبونتيوس على سبيل المثال بوضع عنوان لكتاب عن تنظيم وإدارة المكتبات هو «رسائل لغوية ـ ببليوجرافية»: Dissertationes philologico - bibliographicae ونشره فى نورنبرج Nürnberg سنة ١٧٤٦ ـ ومع ذلك فقد تجنب استخدام كلمة ببليوجرافيا بديلاً عن معرفة الكتب. ومزيد من التطور فى استخدام المصطلح نجده فى فهرسين مشهورين من فهارس مكتبات القرن الثامن عشر فقد أطلق جوهان مايكل فرانكى على كثير من أقسام فهرس مكتبة بونافيا الكتابات عن المعرفة الوصفية Johann Michael Francke = Catalogus Bibliothecae Bunavienae. Leipzig, 1750-1756. de notitia scriptorum ولم يستخدم لا الصفة bibliographicus ولا الاسم (ببليوجرافيا) الذى يشتق منها.

أما جورج ماتياى الذى نشر مبكراً فى سنة - ١٧٧٥م «مشروع لتنظيم مكتبة عامة بطريقة مريحة جداً ونافعة :

Georg Matthiae= Project, Wie eine öffentliche Bibliothec in die bequemste und gemeinnützigste ordnung zu bringen.(٣٤٥)

ورغم ذلك فقد استخدم فى الفهرس الموضوعى لمكتبة جامعة جوتنجن المسمى Ordo catalogi Librorum Materialis الصيغ :

Scriptores de notitia librorum, scriptores bibliographici.(٣٤٦)

وفى طبعة منقحة من الفهرس سنة ١٧٨٨ عرفت بعنوان Sciagraphia Bibliothecai Gottengensis استبدل المصطلح Notitia librorum juridicorum بالمصطلح Bibliographia juridica .(٣٤٧)

ومن هنا فإن المصطلح Bibliographia أو Bibliographie فى الألمانية أصبح يعنى معرفة الكتب تقليداً للنموذج الفرنسى، فى العقود الأخيرة فقط من القرن الثامن عشر، وقد استخدم فى عناوين قوائم الكتب. أما الترجمة الألمانية للمصطلح اللاتينى Notitia Librorum والتى دخلت آنذاك حديثاً فى اللغة الألمانية وهى Bücherkunde, Bücherkenntnis فقد صادفتنا منافسة حادة من الكلمة الأجنبية الموضة (ببليوجرافيا) التى سرعان ما حلت محلهما. إذ مارست فرنسا تأثيراً على جاراتها فى ذلك الوقت أيضاً فى مجال علم الكتاب وإدارة المكتبات ومعرفة الكتب التى انتشرت هناك بصيغتها القديمة بعد الثورة أيضاً بل وأخذت وضعاً أفضل من ذى قبل. وقد سبق أن عرضنا للقواميس والأدلة والمقررات الدراسية التى عالجتها.(٣٤٨)

وبسبب بروز المصطلح فى فرنسا فى ذلك الوقت بالذات فقد لاقى قبولاً وانتشاراً عظيمين فى الخارج حتى فى ألمانيا حيث كان لمعرفة الكتب تقدير عظيم لفترة طويلة.

لقد كان للكلمة الفرنسية ميزة على الكلمة الألمانية فهى تعنى شيئين : ليس فقط معرفة الكتب ولكن أيضاً وصف الكتب. ونتيجة لذلك فإن المرء يستطيع أن يعبر باسم واحد الحقائق التى تستند اليها معرفة الكتب ووصفها وأن وصف الكتب يساعد فى معرفتها.

وقد استمر الباحثون الألمان طوال القرن الثامن عشر فى خلط (معرفة الكتب) بـ (التاريخ الفكرى) حيث أن كلاهما كما حدث مؤخراً فى فرنسا سمى (علم أمين المكتبة). وهكذا فإن البروفسور جوهان ماتياس جزنر أول أمين مكتبة للجامعة الجديدة فى جوتنجن كتب فى سنة ١٧٤٨ «إن تاريخ الباحثين فى كل أجزائه هو تاريخ العلم، إن تاريخ الباحثين وكتبهم هو العلم الحقيقى لأمين المكتبة».

وكان هناك اعتراف ضمنى بأن «معرفة الكتب» لا تعنى بالضرورة معرفة تاريخ البحث العلمى وأن هذا الأخير ليس مرادفاً لملكية العلم[٣٤٩]. وعلى أى حال فإن معرفة الكتب كانت فى أوج تقدير لها بصرف النظر عما إذا كانت طريقاً إلى (تاريخ الفكر) أو مقصودة فى حد ذاتها[٣٥٠]. وكان مؤلفو الكتب الدراسية احتذاء لخطى هيومان يخصصون فصلاً فى كتبهم لمعرفة الكتب ومن أمثال هؤلاء المؤلفين كارل جوزيف بوجينيه Carl Joseph Bouginé الذى جاء كتابه «دليل تاريخ الإنتاج الفكرى العام» صورة حية على ذلك السلوك.

- Handbuch der allgemeinen Litterargeschichte. Zürich, 1789-1792.

ويضم الفصل الخاص بذلك الأعمال التى اعتبرها مورهوف ذات مرة (١٦٨٦) «أدوات لتحصيل المعرفة عن المؤلفين والتاريخ الفكرى والتى سماها بعد مائة سنة جوهان جورج شيلهورن Johann Georg schelhorn «أدوات لمعرفة الكتب» (مثل الببليوجرافيات، الفهارس، الدوريات...)[٣٥١] لأن الباحثين الألمان على عكس الفرنسيين استمروا فى اعتقادهم بأن معرفة هذه الأعمال شأنها شأن معرفة الكتب هى معرفة من الدرجة الثانية.[٣٥٢] لقد قام جوهان جورج

أونجر Johann George Unger بجمع قائمة من ١٣٠ ببليوجرافية تحمل اسم (مكتبة) Bibliotheca . وقد نظم قائمته طبقاً لمجالات المعرفة وقد نشرت هذه القائمة بعنوان «كتب للمكتبات والمجموعات الخاصة مسجلة بالأسماء» "De Libris bibliothecarum nomine notatis. Leipzig. 1734. وقد أعلن فى المقدمة أن (الببليوجرافية) يجب أن تحتل المكان الأول بين كل أدوات الإنتاج الفكرى وتساعد نحو تعليم أكثر رقياً. ويضيف اونجر أن عدد الببليوجرافيات قد ازداد كثيراً منذ (الاصلاح) Reformation بحيث يستحق الأمر تخصيص فصل كامل من (التاريخ الفكرى) لها بل كتاب كامل. وبهذه المناسبة كانت قائمةأونجر أول ببليوجرافية عن الببليوجرافيات بمعناها الضيق ولا يعيب هذا العمل إلا أنه لم يدرج أية قائمة لاتحمل فى عنوانها كلمة مكتبة Bibliotheca .

لقد فرق نيكولاس فروبس فى «مختصر وولف فى المنطق» والذى ألحق به الببليوجرافيا المنطقية بين واجبين لمؤلفى التاريخ الفكرى(٣٥٣) (وهو فى هذا يحذو حذو وولف والنظرية المقبولة لدى عموم الكتاب)؛ : إن هدفنا هو تعليم القارئ حيث يغترف من معلومات الحقائق المكتشفة كما أننا نقدم أساسيات إثراء فن الكشف والبحث». من هذا المنطلق يجب على مؤلف (التاريخ الفكرى) أن يقدم المصادر إلى الباحث وهو بالتالى يحيط نفسه علماً بنتائج الأبحاث السابقة عليه ويتعلم المبادئ التى تطور طرق البحث لديه وتحسنها. وهنا نجد أن فروبس قد ذهب إلى أبعد مما ذهب إليه وولف إذ اعتبر أن أول واجبات مؤلف تاريخ المكتبات هو «استعراض وحصر الكتابات التى ظهرت فى وقت من الأوقات». كماأكد مؤلفو الكتب الدراسية مثل هيومان على أنه فى سبيل تحصيل (معرفة الكتب) فإنه من الضرورى دراسة (التاريخ الفكرى). إلا أن أحداً لم يؤكد على الواجب الببليوجرافى لمؤرخ الإنتاج الفكرى كما فعل فروبس.

ولأنه لم يكن هناك فى ألمانيا مارشاند يفصل بين (معرفة الكتب) و (التاريخ الفكرى) فإن مكان (معرفة الكتب) فى نظام تصنيف المعرفة كان مرتبطاً بمكان (التاريخ الفكرى) وانقسم الباحثون الألمان فى رأيهم حول طبيعة (معرفة الكتب)

فذهب بعضهم مثل رايمان Reimmann (١٧٠٨)[٣٥٤] وليجيبونتيوس Légipontius (١٧٤٦)[٣٥٥] إلى اعتبارها جزءاً من التاريخ الفكرى بينما ذهب آخرون مثل مورهوف (١٦٨٨)[٣٥٦] وأتباعه إلى اعتبار هذا التخصص الجديد موضوعاً مستقلاً وفصلوه عن التاريخ الفكرى.

ولأن هذا المجال الجديد يعالج كل موضوعات المعرفة البشرية فإن بعض المفكرين طالب بوضعه فى مكان خاص فى نظام تصنيف المعرفة ووصفوه فى بداية التصنيف كما فعل مورهوف أو فى النهاية.

وكان فروبس أحد الباحثين الذين ترسموا خطوات مورهوف فعندما أعد فهرس مزاد مكتبة هنريش ميبوم Heinrich Meibom المعنون مكتبة ميبوم Bibliotheca Meibomiana والذى نشر فى هلمشدت ١٧٤٢. نظمه بحيث يضم القسم الأول كتب التاريخ بينما القسم الرابع والأخير يضم (التاريخ الفكرى) ولكنه فى المقدمة اقترح تصنيفاً آخر إذ أوصى بوضع التاريخ الفكرى قبل التاريخ العام ويقتصر فقط على كتب التعليم (البحث) العام وطرق البحث.[٣٥٧]

أما عند جوهان مايكل فرانكى فى فهرس مكتبة بونا فيانا Catalogus Bibliothecae, Bunavianae الذى نشر فى ليبزج سنة ١٧٥٠ فإن التاريخ الفكرى يلى مباشرة قسم مصادر المعلومات ويسبق علم اللغة وعلم التاريخ. وقد نظم هذا القسم فى الفهرس على الوجه الآتى:

(١) التاريخ الفكرى العام

تاريخ التعليم العام، معرفة الكتب(المكتبات، القوائم العامة، عروض الكتب، الدوريات...) تراجم الباحثين.

(٢) التاريخ الفكرى الخاص

تاريخ التعليم فى مختلف الدول، والأنظمة..

(٣) التاريخ الفكرى فى الفنون والعلوم

١- اللغات

٢- الكتابة والطباعة

٣-١٨ : العلوم والفنون بمفرداتها بدءاً بالنقد وانتهاء باللاهوت وكل علم يفرع على النحو الآتى: التاريخ - الببليوجرافيات - الدوريات - التراجم.

(٤) تاريخ المكتبات والفهارس

تفرع فهارس المكتبات بالأنواع المختلفة للقوائم مثل فهارس الكتب المطبوعة فى منطقة معينة أو مدينة معينة أو فهارس الطابعين المشاهير أو تجار الكتب.

(٥) تراجم العلماء

(٦) ملاحظات متنوعة خاصة بالتاريخ الفكرى.

(٧) طرق البحث.

ولقد اعتبر بعض الباحثين الألمان فى القرن الثامن عشر (التاريخ الفكرى) نوعاً من العلم التقديمى ومن ثم لم يترددوا فى وضعه فى بداية نظام المعرفة. وفى ألمانيا البروتستانتينية خلال عصر التنوير لم تكن هناك مقاومة أو معارضة لنقل موضوع (اللاهوت) من مكانه التقليدى فى رأس جميع موضوعات المعرفة ورغم ذلك لم يستطع الموسوعيون فى فرنسا ماقبل الثورة أن يغيروا فى نظام المعرفة.

وعلى العكس من مورهوف وضع ليبنز (توفى ١٧١٦) فى مسودتين غير مؤرختين لتصنيف ببليوجرافى، (التاريخ) فى أخر ثلاثة موضوعات فى ذلك التصنيف على الترتيب الآتى: التاريخ - التاريخ الفكرى - العموميات.[٣٥٨] أما فى مشروع ماتياى سابق الذكر (١٧٥٥) وفهرسه الموضوعى لمكتبة جامعة جوتنجن فقد وضع التاريخ الفكرى وتاريخ التعليم وتاريخ الكتب جميعاً فى

النهاية.[٣٥٩] ولكن هنا لا نجد التاريخ الفكرى تابعاً للتاريخ العام مباشرة بل يفصل بينها اللغات (واللغات هنا تعنى اللغويات والآداب).[٣٦٠] أما دنيس فى كتابه «مقدمة فى علم الكتاب» (١٧٧٧) فيضع (التاريخ الفكرى) كأول شعبة فى اللغويات التى اختتم بها كتابه. وهذا الجمع الجديد بين (التاريخ الفكرى) واللغات يمكن تفسيره على ضوء أن تاريخ الآداب أصبح يزداد أهمية فى (التاريخ الفكرى) الذى بدأ ينكمش ويضمحل. هذا الأدب الذى استقل أخيراً وكان أقرب ما يكون إلى اللغات. هذه الظاهرة لم تعط العناية الكافية فى جامعة جوتنجن عندما نقح نظام ماتياى خلال ثمانينات القرن الثامن عشر فقد وضع التاريخ الفكرى مع تراجم العلماء وتاريخ الكتب فى بداية النظام، وقبل مجال (التاريخ) الذى أعيد ترتيبه الذى كان ذات مرة يتلو اللاهوت والتشريع والطب والفلسفة.[٣٦١] ويتمشى وضع التاريخ الفكرى فى بداية النظام قبل التاريخ العام مع توصيات فروبس.

لم يكتف ماتياى بوضع التاريخ الفكرى (الذى وضعه فرانكى فى البداية) فى نهاية نظامه ولكنه أيضاً قصَّر مجاله. وبينما تاريخ الفنون والعلوم أى التاريخ الفكرى الخاص يحتل القسم الثالث III من التاريخ الفكرى فى فهرس مكتبة بوناو[٣٦٢] فإنه فى فهرس جامعة جوتنجن الموضوعى قد وزع على موضوعاته المختلفة طبقاً لتوصيات ماتياى.[٣٦٣] ومن هنا فإن التاريخ الفكرى قد اقتصر على تاريخ التعليم العام (الدولى ـ الوطنى ـ الإقليمى ـ المحلى). ومع هذا فإن تاريخ العلماء وتاريخ الكتب لم تمثل فقط كمداخل رئيسية للموضوعات العامة بل كذلك كمداخل إضافية تحت كتب التراجم والببليوجرافيا الخاصة والتى أدرجت فى موضوعاتها المتخصصة. وقد اعتبر ماتياى نفسه فصل التاريخ الفكرى الخاص تطوراً جديداً؛[٣٦٤] رغم أنها اعتبرت تفتيتاً للتاريخ الفكرى القديم الذى كان يضم هذه الحدود الواسعة.

لقد كان تقسيم ماتياى للتاريخ الفكرى الضيق ـ أى تاريخ العلماء وتاريخ الكتاب ـ تقليدياً[٣٦٥] ولقد حمل القسم الثالث (تاريخ الكتاب) أكثر مما كان متوقعاً إذ جاء على النحو الآتى:

أ ـ كتاًّب الموضوعات المختلطة فى كل ما يتعلق بدراسة الكتاب.

ب ـ كتاًّب تاريخ «الكتابة» أى الباليوجرافيا.

ج ـ كتاًّب تاريخ الطباعة.

د ـ كتاًّب تاريخ الطابعين.

هـ ـ كتاًّب تاريخ تجارة الكتب.

و ـ جماعو الفهارس.

ز ـ كتاًّب «المكتبات»

ح ـ وصف وفهارس المكتبات.

ط ـ كتاًّب «معرفة الكتب» ذات التخصص مثل الكتب النادرة، الكتب المرجوة.. promised books,

ى ـ كتاب عروض الكتب ونقدها بصفة عامة، شراء الكتب القديمة والحديثة والدوريات الفكرية... الخ.

هذا الترتيب ليس سليماً تماماً لأن الببليوجرافيين الذين أطلق عليهم (جماعو الفهارس) فصلوا عن هؤلاء الذين أطلق عليهم كتاب «معرفة الكتب»[٣٦٦] ولكن العناصر الجديدة فى هذا القسم فى غاية الأهمية.

فالأعمال المتعلقة بالكتابة والطباعة والمكتبات والتى أضافها ماتياى إلى الببليوجرافيات والفهارس كانت فى الأنظمة القديمة تحسب على شعب أخرى من (التاريخ الفكرى) لأنه لم يكن هناك مبرر نظرى لضمها مع قوائم الكتب. وعندما فعل ماتياى ذلك كان يشير إلى كتب دراسية وضعها ستروف و هيومان وغيرهما والتى جاءت نتيجة مقررات أكاديمية والتى مزجت بين المعلومات الببليوجرافية عن مصادر الدراسة ومقدمات عن تاريخ الكتابة والطباعة وتاريخ وإدارة المكتبات. وخلافاً للمبدأ العام الذى اتبعه فى حالات أخرى أدرج الأعمال المتعلقة بتاريخ الكتابة والطباعة مع (التاريخ الفكرى) وحيث ظهرت تحت (تاريخ الكتاب). وعندما عالج الأعمال المتعلقة بتاريخ الموضوعات الأخرى وضع هذه التواريخ مع موضوعاتها. بينما الكتب المتعلقة بتاريخ الكتابة والطباعة لم توضع

مع الأعمال المتعلقة بفنيات الكتابة والطباعة، وهكذا فإن الأعمال المتعلقة بفنون الكتاب ـ باستثناء تلك المتعلقة بفنيات الصناعة ـ إضافة إلى أدوات معرفة الكتب قد تجمعت لأول مرة فى ألمانيا فى مجموعة خاصة بها (تاريخ الكتاب) Historia Librorum داخل (التاريخ الفكرى) وكان نموذج ماتياى المباشر هو «قسم البيليوجرافيا ـ أى تاريخ ووصف الكتب» فى «التاريخ الأكاديمى والفكرى» فى نظام مكتبات باريس. أما ببليوجرافية تجار الكتب القديمة الباريسيين فقد ضيقت من نطاق «تاريخ الكتب» عما ذهب إليه ماتياى أمين مكتبة جامعة جوتنجن لأنه فى تلك الببليوجافية اقتصر على الكتب العامة عن الكتاب والمكتبة لأن الباريسيين لم يهدفوا إلى جمع الكتابات التاريخية عن الكتب والمكتبات فى مكان واحد. أما ماتياى عندما وضع كل الأعمال المتعلقة بتاريخ الكتابة والطباعة وتجارة الكتب تحت (تاريخ الكتاب) فقد تجنب خطأ وقع فيه نظام مكتبات باريس منذ عهد مارتان. (٣٦٧)

لقد اكتسب تعبير (تاريخ الكتاب) مدلولاً جديداً. فكما تذكرنا يعنى (تاريخ الكتاب) ـ طبقاً للمعنى المزدوج لكلمة Historia ـ نفس مدلول (معرفة الكتب) أو Histoire des livres و Connaissance de livres الفرنسية كما قدمها ديبور. لقد كانت معرفة الكتب مرادفة لتاريخ الكتب فقط عندما خرجت من بطن (التاريخ الفكرى). أما الآن وبعد أن ارتبطت بتاريخ الكتاب فإنها تضم تاريخ فنون الكتاب وهو منحى تاريخى بحت ورغم أنه ينتمى إلى (التاريخ الفكرى) فإنه لم يعالج معرفة الكتب من زاوية تاريخية إلا من حيث ارتباطها بالجوانب الأخرى المتخصصة، وهكذا فإن معرفة الكتب ارتبطت ظاهرياً بتاريخ الكتاب بينما منطقياً كانت أقرب إلى تاريخ التعليم.

قام كريستيان جوتفريد شوتز و كريستوف فيلهلم هوفلاند ناشرا «دورية الإنتاج الفكرى العام Allgemiene Literatur - Zeitung. Jena بوضع قائمة موسوعية تخدم كأساس تصنيف للقائمة العامة للإنتاج الفكرى عن سنوات ١٧٨٥-١٧٩٠.

- Allgemeines Repertorium der Literatur für die Jahre 1785-1790. Jena, 1793.

وتوفر على جمع هذه القائمة جوهان صامويل ايرش. وكان تصنيف (التاريخ الفكرى) الذى وصفه شوتز يمثل تشابها مع نظام ماتياى ولا يمكن أن نقول إنه مجرد اتفاق أو صدفة[٣٦٨] فقد صنفه شوتز ووضعه فى نهاية التصنيف على الوجه الآتى:

التاريخ الفكرى

١- العام

٢- الخاص

أ ـ تاريخ التعليم

ب ـ تاريخ الباحثين

ج ـ تاريخ الكتاب

١- تاريخ فنون وصناعة الكتاب

أ ـ المطبوعات العامة والتجميعية

ب ـ المطبوعات المتخصصة

١- فن الكتابة

٢- الطباعة

٣- تجارة الكتب

٢- معرفة الكتب

أ ـ معرفة المكتبات

ب ـ الببليوجرافيا نفسها

١- المعلومات عن المخطوطات

٢- المعلومات عن المطبوعات

د - تاريخ المؤسسات التعليمية، الجامعات، الأكاديميات..

والأقسام الرئيسية هى الأقسام التقليدية. أما الشعبة الثالثة من التاريخ الفكرى الخاص ـ تاريخ الكتاب ـ فإنها تتمشى مع تاريخ الكتاب عند ماتياى Historia

Librorum ففى الحالتين يجد المرء الأعمال المتعلقة بتاريخ الكتابة والطباعة وتجارة الكتب والمكتبات معاً إلى جانب أدوات معرفة الكتب خاصة الببليوجرافيات الموضوعية. أما تنظيم قسم «معرفة الكتب فهو ممتع: معرفة المكتبات والببليوجرافيا الفعلية. وأول شعبة من القسم تضم الأعمال المتعلقة بالمكتبات وفهارس المكتبات والأدوات الببليوجرافية. والشعبة الثانية تضم الببليوجرافيات الفعلية ـ ومن هنا جاء الإسم. وقد قبل المصطلح ببليوجرافيا الفرنسى بعد عدة سنواتِ من دخوله إلى اللغة الألمانية ليعنى (معرفة ووصف الكتب). ومع ذلك فإن شوتز لم يستخدم المصطلح الفرنسى كعنوان لهذا القسم وفضل استخدام الاسم الألمانى Bücherkenntis (معرفة الكتب) وادَّخر المصطلح ببليوجرافيا لمدلول أكثر ضيقا كعنوان فرعى: وصف الكتب. وهذا مجرد مثال على استخدام المصطلحات العلمية ومرادفاتها الألمانية فى نهاية القرن. ولما كان الباحثون الألمان ـ عل خلاف الفرنسيين ـ يعتبرون الألفة بأدوات معرفة الكتب نوعا خاصاً من معرفة الكتب، فإنه يبدو لنا الآن أنه كان من الطبيعى تسميتها بالببليوجرافيا إبتداء من استخدام شوتز للمصطلح تمييزا لها عن معرفة الكتب بمعناها العام. هذا الأمر الذى حدث متأخرا جدا حيث المصطلح Eigentliche Bibliographie (فى معناه العام) كان يعنى بالنسبة لشوتز قوائم الإنتاج الفكرى ـ أى الببليوجرافيات ـ فى مقابلة قوائم المقتنيات التى هى الفهارس.

إن عنوان Geschichte des Bücherwesens الذى أعطاه لأحد الأقسام فى نظامه إنما يشكف عن التحول من اللاتينية إلى الألمانية كلغة بحث وهذه الترجمة جاءت من اللاتينية التى استخدمها أيضا Historia Librorum وكلمة Historia هنا لا تعنى فقط تاريخ وإنما تعنى أيضاً «معرفة» ولم يقل شوتز تاريخ ومعرفة الكتب بل قال فقط (تاريخ الكتب) ولذلك لا نندهش إذا وجدنا فرعا خاصاً عن معرفة الكتب.

أما جوهان صامويل ايرش المذكور سابقاً باعتباره جامعاً لدورية الإنتاج الفكرى العام فقد عبر عن مفهوم ومصطلح ببليوجرافيا بوضوح فى مقال حاز اهتماما كبيرا بعنوان: عن كتَّاب عروض الإنتاج الفكرى Über Litteratoren Rezensenten

وقد نشرت بدون مؤلف[٣٦٩] فى مجلة Allgemeiner Litterarischer Anzeiger 1797 وكان من المألوف فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر إطلاق مصطلح Literatur على مجموع الكتابات فى مجال ما وكان يطلق على جامعى هذه الكتابات[٣٧٠] (Literatoren) اسم Litteraturen ولقد اعترض ايرش على هذا الاستخدام الجديد لمصطلح أدبيات وأدبيون وأعلن أن كلمة (أدبيات) تضم كل الفنون والعلوم أما فى فرنسا وبريطانيا فإنها تعنى فقط (الأدب بمعنى الشعر والقصة. . .) وربما الإنسانيات أيضا بينما مصطلح أديب Literator تعنى المفكر أو الدارس بصفة عامة وفى ألمانيا خاصة تعنى مؤرخ الفكر، ولذلك اقترح ايرش استخدام مصطلح ببليوجرافيا وليس أدبيات Litteratur وعلم الكتاب Bücherkunde بدلاً من (معرفة الكتب). كما أوصى بقصر استخدام مصطلح ادبيون Litteratoren لوصف هؤلاء الأخصائيين فى كل مجالات المعرفة ولذلك أطلق على جامعى القوائم (الببليوجرافيون). وأعلن أن المبتدئ الذى لايستطيع أن يكون إخصائى مجال فإنه يستطيع على الأقل أن ينتج ببليوجرافية نافعة فى المجال. أما الشخص الذى ليس Litterator على الإطلاق مثل تاجر الكتب فيلهلم هينسيوس جامع معجم الكتاب العام Allgemeines Bücherlexicon الذى نشر فى ليبزج ابتداء من ١٧٩٣ فليس ببليوجرافياً. ومن جهة ثانية فليس لنا أن نخلط بين عملية تسجيل الكتب (إعداد قائمة) فى مجال ما ومعالجة تاريخ هذا المجال فالببليوجرافى يعد العمل المبدئى لأخصائى المجال الذى يعمل بالعلم أو تاريخه.[٣٧١]

إن مناقشات ايرش تؤكد ما تجمع من تصنيف **السجل العام للإنتاج الفكرى** حيث نظر هذا التصنيف إلى الببليوجرافيا فى علاقتها الوثيقة مع التاريخ الفكرى الذى كان يفهم على أنه ذات طبيعة مزدوجة: معرفة التاريخ والوضع الحالى للتعليم (للعلم) وهو ما قال به هيومان من قبل.[٣٧٢] وكل ما أراده ايرش هو فصل العمل الفعلى (المادة العلمية) فى التاريخ الفكرى عن العمل الببليوجرافى (الحصر والتسجيل والوصف فقط).

لقد رتب **السجل العام للإنتاج الفكرى** بالمعاصرين مما جعله إضافة ببليوجرافية كبيرة وكان نظام التصنيف فيه رائعا بحيث قدره كثيرون فى الخارج ومن بنيهم كامى، بيجنوت وأكارد. وربما كان نموذج Repertorium de Iéne قد أغرى بيجنوت بوضع الأعمال التاريخية المتعلقة بفن الكتابة والطباعة تحت الببليوجرافيا.(٣٧٣) وربما كان هذا النموذج هو الذى أدى به إلى اعتبار وصف الكتب هو **الببليوجرافيا** نفسها حتى عندما فسر المصطلح بمعناه الواسع.

وعندما قام ايرش بجمع السجل العام للإنتاج الفكرى للسنوات ١٧٩١ - ١٧٩٥ (جينا ١٧٩٩ - ١٨٠٠) والسنوات ١٧٩٦ - ١٨٠٠ (جينا ١٨٠٧) تبنى فيه نظام التصنيف الذى وضعه هوفلاند و شوتز Hufeland & Schütz. وفى كتابة «دليل الإنتاج الفكرى الألمانى منذ منتصف القرن الثامن عشر».

Handbuch der deutschen Literatur seit der Mitte des 18. Jh. Leipzig 1812 - 1814. (new ed. 1822 - 1840).

لم يلتزم بنفس ترتيب مجالات المعرفة والتى وردت فى سجل جينا ولكن فقط التصنيف العام. وعلى سبيل المثال - خلافا لما التزم به شوتز - دأب على أدراج **التاريخ الفكرى** (وكان يسميه تاريخ الثقافة المعنوية) Geschichte der Literarischen Cultur فى تاريخ العصر أو الدولة ولكنه نظمه كما فعل شوتز فى تاريخ التعليم، والباحثين والكتب والمؤسسات الأكاديمية. ونظم تاريخ الكتاب كما ورد عند شوتز ولكن مع اختلافات طفيفة كما فى حالة ألمانيا تحت تاريخ الفنون ذات الصلة (الكتابة - الطباعة - تجارة الكتب) ومعرفة الكتب البحتة ومعرفة المكتبات. وفى مناسبات أخرى أطلق على معرفة الكتب Bücherkunde مصطلح Bücherkenntnis ومصطلح Bibliographie الفرنسى. وهذه المصطلحات الثلاثة كان يستخدمها على التبادل. ومن الطريف أنه كان عندما يستخدم المصطلح Bücherkunde كعنوان للقسم كان دائما يضيف كلمة Selbst (نفسه) كما لو كان القسم الرئيسى غير معنون بـ تاريخ علم الكتاب Geschichte des Bücherwesens وإنما الببليوجرافيا Bibliographie وكان هو وشوتز دائماً

يطلق على الشعبة التى تضم الببليوجرافيات Eigentliche Bücherkunde أو Eigentliche Bibliographie أى الببليوجرافيا نفسها .B. proper.

وهكذا فإن شوتز و ايرش ضيقا مفهوم الببليوجرافيا حتى أكثر من جيرارد Girard[٣٧٤] فقد فسرا الببليوجرافيا على أنها فقط **معرفة الكتب من خلال القوائم**. أما المجالات الأخرى من التعليم التى خلطها كثير من الفرنسيين - مثل مارشاند وحتى بيجنوت وانتهاء بـ برونيه - بمعرفة الكتب ليشكلوا منها مجالاً بحدود مختلفة يسمى ببليوجرافيا فقد حذفت. أما بالنسبة لشوتز وايرش فقد اقتصرا على (علم الكتاب).

وعندما كان أحد جامعي الببليوجرافيات الممتازة يتبنى نظاما للتصنيف، بحيث يوسع وينقح بتوسيع وتنقيح تلك الببليوجرافية، يلقى هذا التصنيف قبولاً واسعاً فى ألمانيا وخارجها. ومن هنا فإن فكرة برونيه لاقت قبولاً فى فرنسا كما كان الحال تماماً بالنسبة لايرش فى ألمانيا.

ولقد تجاهل شوتز وايرش استخدام مايكل دنيس الخاص لمصطلح ببليوجرافيا ومقابله الألمانى. هذا النمساوى (الذى كان جزويت) والذى عرف فى تاريخ الأدب الألمانى باسم (سايند دير بارد Sined der Barde) يحتل مكانة خاصة فى تاريخ الببليوجرافيا.[٣٧٥]

كان دنيس يدرس الأدب فى أكاديمية تريزا فى فيينا لمدة ١٣ سنة، وبعد أن عهد إليه إدارة مكتبة جاريللى (١٧٧٢) والتى أوصى بها الامبراطور بعد ذلك إلى أكاديمية تريزا، استمر فى تدريس الببليوجرافيا وتاريخ العلوم. ومن الدروس التى كان يلقيها على طلاب الطبقة العليا جاءت كتبه فى الببليوجرافيا وتاريخ العلوم والتى نشرها تراتنر Trattner. ومن بينها «مخطط الببليوجرافيا أو المعرفة» Grundriss der Bibliographie oder Bücherkunde. "Vienna, 1775" والذى تضمن مسحاً عاما لتاريخ الكتاب. وبعده جاء كتابه «مخطط تاريخ العلوم» Grundriss der Literargeschichte. Vienna, 1776. وأخيرا كتابه الذى طبع طباعة أنيقة فى جزءين والذى عالج نفس المادة التى وردت فى المختصرين ولكن بتفاصيل أدق هذا الكتاب هو: **«مقدمة فى معرفة الكتب»**:

Einleitung in die Bücherkunde. Vienna, 1777 - 1778.

وقد سمى الجزء الأول بعنوان (الببليوجرافيا) أما الجزء الثانى فقد سماه (تاريخ العلوم) وتناول الجزء الأول الكتب والمكتبات فى العصور القديمة والوسيطة والحديثة وخاصة تاريخ الكتابة والطباعة ومجموعات الكتب وإنشاء وتنظيم المكتبات (إدارة وتنظيم المعرفة). وفى هذا الصدد غدد دنيس الطرق والوسائل المعروفة فى معرفة الكتب واللازمة لإنشاء المكتبة: زيارة قاعات القراءة، مكتبات القراءة، فهارس تجار الكتب، دراسة ما يسمى بالمكتبات أو الببليوجرافيات والتى قد تكون عامة فى طبيعتها مثل ما قام به جزنر أو مقتصرة على موضوع مثل ببليوجرافية ستروف التاريخية أو مقتصرة على كتب دولة معينة مثل ببليوجرافية نيقولا انطونيو اسبانش Nic. Antonio Spanish أو تقتصر على كتب طائفة دينية مثل ببليوجرافية اليجامب و سوتويل Alegambe & Sotwell عن الجزويت.[٣٧٦]

وفى تعليقه على تلك الحقيقة أعلن دنيس «هناك قائمة كاملة بهذه الكتب فى تاريخ العلوم» ثم ناقش بعد ذلك باختصار الدوريات ومعجم التراجم بما فى ذلك معاجم الأسماء المستعارة والمجهولة مثل مصادر معرفة الكتب كما ناقش بالتفصيل قوائم الكتب الجيدة والنادرة.

ويبدأ الجزء الثانى بمسح تطور العلوم والبحث العلمى بعامة ثم يعالج بعد ذلك كل علم على حدة. وفى المجالات التى لا يتقنها أو يسيطر عليها فإنه اكتفى بتعديد أهم المؤلفين وأهم المؤلفات وباختصار اكتفى بعرض قوائم مختصرة متخصصة فيها. وكان نادراً ما يعرض الببليوجرافيات الراجعة المتخصصة ولكنه جمعها معاً فى مكان واحد وبعد تسجيل الأعمال العامة والمتخصصة فى الفصل الخاص بتاريخ الإنتاج الفكرى قدم التعليق الآتى:[٣٧٧]

«إلى جانب تلك الكتب، فضل مؤلفون آخرون أن يسموا باسم (مكتبة Bibliothek: قائمة كتب) الأعمال التى يسجلون فيها الكتب التى تنتمى إلى مجال محدد» وبعد هذه العبارة قدم قائمة بالببليوجرافيات العامة والموضوعية،

وهى نوع من ببليوجرافيا الببليوجرافيات بدءا من: Miraeus = Bibliotheca ecclesiastica وحتى: Mylius = Bibliotheca anonymorum et pseudonymorum. وهكذا فإن الببليوجرافيا فى معناها الحديث ـ فى ذلك الوقت ـ كان لها مكانها فى الجزء الثانى الخاص بالتاريخ الفكرى كما كان لها مكان ثانوى (مع الإشارة إلى المكان الرئيسى) فى الجزء الأول الذى رغم تسميته (ببليوجرافيا) عالج تاريخ الكتاب من العصور الوسطى حتى الآن.

إن تكامل الببليوجرافيا (بمعناها الحديث) فى التاريخ الفكرى حدد بوضوح فى نظام التصنيف الذى أضافه دنيس إلى الجزء الأول من كتابه على فرخ ورق خاص باللاتينية. فالتاريخ الفكرى والببليوجرافيا كما فهمهما المؤلف يكونان القسمين الأولين من الفيلولوجيا[٣٧٨] وتنقسم على النحو الآتى:

التاريخ الفكرى	الببليوجرافيا
١ ـ العام	١ ـ الدبلوماتيقا
٢ ـ الخاص	٢ ـ الطباعة
٣ ـ المكتبات	٣ ـ دراسات المكتبات
٤ ـ الأكاديميات	٤ ـ فهارس الكتب

ويصف دنيس هذا التقسيم بقوله:[٣٧٩]

إن تاريخ الإنتاج الفكرى أو تاريخ العلوم يمكن أن يفرع: أ ـ العام ب ـ العلوم والفنون الفردية ج ـ ما يسمى بالمكتبات مثل اللاهوت، القانون.. د ـ تاريخ الأكاديميات والمدارس. أما الببليوجرافيا (أو بالأحرى الببليولوجيا) أو علم الكتاب فهى تضم:

١ ـ الباليوجرافيا.[٣٨٠]

٢ ـ الطباعة (التيبوغرافيا).

٣ ـ المكتبات.

٤ ـ قوائم الكتب.[٣٨١]

تتعلق «مقدمة دنيس بنفس المادة التى كانت تدرس فى التاريخ الفكرى بواسطة أساتذة الجامعات والرياضة فى ألمانيا البروتستانتينية. ومن المؤكد أن دنيس كان الشخص الذى أدخل تلك المحاضرات فى أكاديمية تريزا فى فيينا. وعلى عكس الأساتذة الألمان والمؤلفين فى ألمانيا فصل دنيس تاريخ العلوم والإنتاج الفكرى عن تاريخ الكتب والمكتبات، وعالج هذا الأخير فى الجزء الأول من كتابه الدراسى وعالج الموضوع الأول فى الجزء الثانى. ولقد سمى تاريخ العلوم والإنتاج الفكرى ـ الذى يكوِّن معظم التاريخ الفكرى ـ باسم يعطى عادة للمجال كله وهو (تاريخ الإنتاج الفكرى **Literargeschichte**. وفى مخططه Grundriss الذى نشر منذ سنتين قبل المقدمة أطلق على تاريخ فنون الكتاب والمكتبات (بما فى ذلك إدارة المكتبات) اسم الببليوجرافيا أو علم الكتاب **Bibliographie oder Bücherkunde** لأن مصطلح ببليوجرافيا لم يكن قد استخدم فى ألمانيا فى ذلك الوقت. ولم يكن هناك حدود شاملة للموضوعات التى عالجها دنيس فى «مخططه». أما فى فرنسا فكما هو معروف كانت الببليوجرافيا تعنى «معرفة الكتب» مع وصف الكتب (أى إعداد قوائم بها) وكانت تمثل جزءا من تاريخ الفكر والأكاديميات والببليوجرافيا فى نظام مكتبات باريس. وعلى رأس كل قوائم الكتب وضعت المقدمات الببليوجرافية Prolégomeǹes Bibliographiques ـ أى الأعمال المتعلقة بالكتب بعامة (ببليوجرافيا). ومن الحقائق التى لابد من ابرازها هنا أنه دخلت إلى فرنسا ـ[٣٨٢] تحت تأثير جمع الكتب bibliophily ـ إلى جانب الببليوجرافيا الفكرية (المبنية على تاريخ العلوم)، الببليوجرافيا الطباعية (المبنية على تاريخ الطباعة). هذه المعرفة الجديدة للكتب تبلورت فى كتاب مشهور كتبه ديبور تحت عنوان: الببليوجرافية التعليمية أو رسالة عن معرفة الكتب النادرة والفريدة: ـ

Bibliographie instructive ou traité de la connaissance des livres rares et singuliérs. Paris, 1763.

والذى مثل فيه كل تاريخ الطباعة على شكل قائمة كتب. ومن هنا وجد دنيس أنه من المناسب أن يسمى موضوع كتابه الأول (الببليوجرافيا أو علم الكتاب) ولكنه لم يكن سعيدا بذلك. وهناك ملحوظة وضعها دنيس فى الفقرة المقتبسة آنفاً فى «مقدمته» تشير إلى أنه كان يفضل استخدام مصطلح ببليوجرافيا بدلاً من ببليوجرافيا ذلك أن كتابه لا يمكن أن يسمى فقط «معرفة الكتب». لقد كان مصطلح ببليوجافيا حافلاً بوصف الكتب المتصلة بالمعرفة التقليدية بالكتب والتى ذكرها كتاب (ببليوجرافيا) دنيس عرضاً. ومع ذلك فقد ادخر عنوان ببليوجرافيا للجزء الأول من مقدمته؛ وعندما فكر فى عنوان جامع لعمله اختار تعبيراً معقداً. وعندما حدد عنوانا للجزء الثانى (تاريخ العلوم) والذى كان عنوانا طبيعيا للكتب المقررة التى لها نفس المحتويات فقد اضطر إلى تسمية كتابه كله بعنوان «مقدمة فى معرفة الكتب» Einleitung in die Bücherkunde. وهذا الاختيار للعنوان يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك الهدف من الكتاب كله على النحو الذى شرحه التمهيد فقد أراد دنيس أن يسمى الجزءين باسم (معرفة الكتب).(٣٨٣) وهذا الاسم الجديد يشير بوضوح إلى أن تمثيل تاريخ الكتاب وتاريخ العلوم لم يكن غاية فى حد ذاته ولكنه هدف إلى تقديم معرفة الإنتاج الفكرى الجديد والمنشور إلى الشباب الذين يرغبون فى تحصيل علم جيد، وذلك على النحو الذى كان يحدث فى المحاضرات التى يلقيها الأساتذة الألمان فى التاريخ الفكرى وفى كتبهم الدراسية.

إن التعبير Bücherkunde والذى استخدمه دنيس كتفسير للببليوجرافيا فى «مخطط الببليوجرافيا أو علم الكتاب». قد أصبح له الآن معنى أوسع ولا يمكن أن يستخدم بنفس المفهوم القديم. لقد ضم فعليا كل شئ كان يدرس فى التاريخ الفكرى Historia Litteraria: أى معرفة تاريخ فنون الكتاب والإنتاج الفكرى المتخصص، الببليوجرافيا الفكرية والطباعية. ولهذا السبب أطلق دنيس على الجزء الأول من كتابه (المقدمة) عنوان الببليوجرافيا وقد قدم تفسير هذا العنوان فى النص حين قال إنه لم يعد معرفة الكتب Bücherkunde ولكن علم الكتاب

أى الببليولوجى وهذا النص هو [Lehre vom Bücherwesen](٣٨٤) وهو ما صادفناه فيما بعد عند شوتز،(٣٨٥) حيث استخدم المصطلح العلمى (ببليوجرافيا) فى معناه الضيق أكثر من المقابل الألمانى Bücherkunde أى معرفة الكتب.

لقد قوبل الجزء الأول من مقدمة دنيس بترحاب وقبول أكثر مما قوبل الجزء الثانى ليس لأنه أول عمل يقدم عرضا متماسكا للموضوع ولكن أيضا بسبب ألمانيته البسيطة. إن الجزء الثانى يحمل صفحات كثيرة لا تتضمن إلا عناوين الكتب. ومع ذلك فإن العمل ككل قد حقق نجاحا غير عادى فأعيد طبعه سنة ١٧٨٢ فى مدينة بنجن Bingen. وفى سنة ١٧٩٥ - ١٧٩٦ حرر دنيس طبعة جديدة منقحة وموسعة ونشرها أيضاً تراتنر Trattner ومع ذلك فإن قلة من الألمان الباحثين هم الذين قبلوا مصطلحاته. فمن بين مؤرخى الإنتاج الفكرى المشهورين فى نهاية القرن الثامن عشر الذين اشاروا إلى دنيس واستشهدوا بمصطلحه **ببليوجرافيا** كان لودفيج فاخلر Ludwig Wachler، هذا المصطلح الذى سماه شوتز وايرش (تاريخ الكتاب Geschichte des Bücherwesens).(٣٧٦)

لقد عرف كتاب دنيس فى فرنسا من خلال عرض له نشر مع تقدير واحترام فى دورية: L' Éspirit des Journaux (مارس، أبريل، مايو ١٧٧٩) و (مارس، سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر ١٩٨٠).(٣٨٧)

وربما كان من تأثير دنيس أن بعض الباحثين الفرنسيين فى نهاية القرن الثامن عشر استخدموا المصطلح (ببليوجرافيا) بمعناه الواسع.(٣٨٨) فقد اعتبر لير، وبيجنوت وغيرهما ممن نظموا المحاضرات فى الببليوجرافيا بعد سنة ١٧٨٩ فى المدارس المركزية بالولايات الفرنسية والذين قاموا بإعداد كتب دراسية بناء على تلك المحاضرات، اعتبروا الببليوجرافيا هى كل المجال المسمى (التاريخ الفكرى والأكاديمى) فى نظام مكتبات باريس. بل وذهبوا إلى أكثر من ذلك حين اعتبروا التاريخ الفكرى جزءا من الببليوجرافيا بمعناها الواسع.(٣٨٩) وهذا الاتجاه الجديد

يتمشى مع اتجاه دنيس فى معرفة الكتاب الذى ضم تقريبا كل محتويات (التاريخ الفكرى) وطالما اعتقد الفرنسيون أن الببليوجرافيا هى معرفة الكتب (Connaissance des Livres) وبالتالى فإن كتاب «**مقدمة معرفة الكتب**» لدنيس فى رأيهم كان يعنى **الببليوجرافيا** وأن المصطلحين كانا متبادلين .

لقد كانت لدينا فرص عديدة لنلاحظ العناوين المؤثرة لبعض الأعمال الناجحة . إنه لسؤال مثير لماذا سمى المعلمون والمؤلفون الفرنسيون موضوعهم (ببليوجرافيا) كما فعل دنيس بدلاً من أن يسموه (التاريخ الفكرى) فلربما كانت لديهم نفس الأسباب التى دفعت دنيس إلى استخدام مصطلح Bücherkunde إن: تاريخ العلوم، الإنتاج الفكرى وفنون الكتاب لم تكن تدرس فى المدارس كغاية فى حد ذاتها ولكن من أجل تحصيل معرفة الكتب وهذا هو ما اقترحه الوزير الفرنسى فرانسوا.[٣٩٠]

ويبدو أن أحد أمناء المكتبات الذين درسوا مقرر الببليوجرافيا فى المدارس المركزية قد بنى مادته العلمية على **مقدمة** دنيس ذلك أن محاضرات الأب **لير من اوكسير** تسير على نفس خطوط كتاب الباحث الفينى (دنيس).[٣٩١] ولقد أطلق بيجنوت على مقدمة دنيس عبارة «أكثر الكتب احتراما وتقديرا» وأسف لأنه لم يترجم إلى الفرنسية وأشار إلى العروض الكثيرة لمحتوياته فى دوريةL'Éspirit des Journaux.[٣٩٢] وهو مثل دنيس ولير اعتبر تاريخ الكتاب والعلوم أجزاء من الببليوجرافيا بمعناها الواسع. ولقد استعمل أخيرا مصطلح **ببليولوجى** الذى فضله دنيس على الببليوجرافيا لتحديد دراسة **فنون** الكتاب.

استخدام المصطلح فى مناطق أخرى

لم يقدم الباحثون الذين كتبوا بلغات أخرى غير الألمانية والفرنسية خلال القرن الثامن عشر إضافات تذكر فى مجال مفهوم ومعنى الببليوجرافيا. وعلى الأقل لم يسترع انتباهى مفاهيم أصيلة من دول أخرى. وطالما كانت اللاتينية هى لغة الباحثين فقد كانت الآراء السائدة فى الكتب الدراسية عن تاريخ العلوم ومعرفة

الكتب هى آراء الأساتذة الألمان فى معظم الأحيان. ولم تصبح اللغات الوطنية مقبولة فى دنيا البحث العلمى إلا بعد ما أصبحت الثقافة الفرنسية ذات تأثير عظيم فى أوربا. ومن هنا فإنه فى نهاية القرن الثامن عشر فى ألمانيا ودول أخرى بدلاً من التعبير عن (معرفة الكتب) بترجمة Notitia Librorum استخدم مصطلح مأخوذ من الفرنسية وهو (Bibliographie) وفى الإيطالية Bibliografia والإنجليزية Bibliography للدلالة على نفس المادة العلمية التى جمعت فى نظام مكتبات باريس تحت رأس موضوع Bibliographie أى (معرفة ووصف الكتب). (٢٩٣)

***

تسميات الببليوجرافيات

المدرسة الفرنسية

استخدم تجار الكتب القديمة الباريسيون ومن نحا نحوهم مصطلح ببليوجرافيا فى صيغة المفرد فقط ليدلوا به على (معرفة الكتب ووصفها) وذلك كقسم فى نظامهم الببليوجرافى وعندما فرعوا قسم (وصف الكتب) لم يميزوا الأنواع المختلفة من الببليوجرافيات ولكن ميزوا بين (الببليوجرافيين) وقسموهم إلى فئات: ببليوجرافيون عموميون، ببليوجرافيون متخصصون... (٣٩٤) إلخ ومن هنا فإن قوائم الكتب لم يطلق عليها اصطلاح ببليوجرافيات. وقد دأب تجار الكتب ومن نحا نحوهم أشاروا إلى تلك القوائم باصطلاح مكتبات -Biblio thèques وعنون كثير من تلك القوائم باسم.Bibliotheca, Bibliothèque etc ولم تطلق كلمة ببليوجرافيا Bibliographie, Bibliographies فى النصف الأول من القرن الثامن عشر على قائمة كتب إلا مرة واحدة وذلك على عمل ببليوجرافى لم يكتمل لمؤلف اسمه فرانسوا بلانك وعنوان العمل هو: الببليوجرافيا الطبية: (٣٩٥)

- Francois Planque = Bibliographia Medica. Paris, 1744.

ولقد أراد بلانك أن يسجل كل المطبوعات الطبية تحت كلمات دالة. ولم يكتف بالكتب والمقالات بل أيضا الفصول المتخصصة فى الكتب الهامة وهو مشروع غير عادى لأن البيليوجرافيا الطبية فى فرنسا آنذاك لم تكن فقط قوائم بالكتب ولكن معرفة ووصف الكتب الطبية كذلك. وهذا التمييز رائع كذلك غير أن العمل التالى يكشف عن أن مصطلح ببليوجرافيا لم يكن فى ذلك الوقت مفهوما عموما على أنه قائمة بأسماء الكتب ذلك أن أحد الأطباء الشبان الفرنسيين قد نشر سنة ١٧٥٦ عملاً أكثر تواضعا من عمل بلانك ولكنه عنونه: «الببليوجرافيا الطبية الفرنسية أو مقالة عن تحديد أكثر الكتب فائدة لمن ينوون دراسة الطب للطبيب: ب ج. دى مونشو.

- P. J. Du Monchaux = Bibliographie medïcinale raisonné ou Essai sur l'éxposition des livres les plus utiles à ceux qui se destinent à l' étude de la médicine. Paris, 1756.[٣٩٦]

ومن الواضح أن الببليوجرافيين غالبا ما حاولوا تقليد عناوين مشاهير المؤلفين الأسلاف فهذه الببليوجرافية لم تكن قائمة بأسماء الكتب، لقد كانت شبيهة بالأدلة الدراسية التى وجدت فى القرن السابع عشر فى مجالات متعددة ولكنها سميت ببليوجرافيا والعنوان البديل «مقالة عن تحديد أكثر الكتب.....» جاء بنفس الطريقة القديمة وعلى نفس النحو الذى وصف به ديبور فى سنة ١٧٦٣ ببليوجرافيته التعليمية: Bibliographie instructive بأنها رسالة فى معرفة الكتب النادرة والفريدة وتتضمن فهرساً مصنفاً... رغم أنها لم تكن سوى فهرس مصنف بالكتب فقط[٣٩٧] ولم يقصد ديبور إلى خداع القارئ ولكنه ساير العصر فى اختيار العناوين. وقد أكد على هذا الاتجاه نيى دى لاروشيل فى كتابه الذى نشره بعد كتاب ديبور بعشرين عاماً بعنوان (مطارحة فى المعرفة الببليوجرافية) - Discours sur La Science Bibliographique. 1782.

والذى لا يوجد فيه شئ عن معرفة الكتب بل هو مجرد ببليوجرافية عالمية

مختارة وحسب. وحيث أن تلك القائمة المختارة بالمطبوعات من كل الموضوعات والدول قصد بها أن تضع الأساس للبحث عن معرفة الكتب.(٣٩٨)

وفى سنة ١٧٨٣ قام أحد تجار الكتب ويدعى بوتان Bottin بإعداد قائمة بالإنتاج الفكرى عن هولندا مع قليل من الشروح بعنوان: Bibliographie des Pays - Bas. Nyon, 1783 وعندما كان أحد الجامعين يسمى قائمة كتب ببليوجرافية بالمعنى الجديد - أى معرفة الكتب - كان يعزز ذلك بالقول بأن قائمته تعلم معرفة الكتب. وهذا المفهوم كان ينعكس على العنوان الذى يحدد موضوع العمل.

ولم يظهر مصطلح ببليوجرافيا بمفهومه القديم مرة ثانية إلا فى الثلث الأخير من القرن الثامن عشر - أى قائمة بالكتب - كعنوان لكتاب مستقل. وفى نفس الوقت لم يكن هناك سوى Journal des Savants بعنوانها التقليدى للقائمة السنوية المصنفة بالكتب المعروضة فيها، ليذكر القراء بمصطلح ببليوجرافية Bibliographie الذى طبقا لكلمة (وصف الكتب) يمكن تحت ظروف خاصة أن يعطى لفهرس.(٣٩٩) هذا الإجراء من جانب هذه الدورية قلدته المجلة الباريسية L' Éspirit des Journaux اعتباراً من سنة ١٧٧٢ فصاعداً.

والمعانى المختلفة لمصطلح ببليوجرافيا على سبيل المثال جاء عرضاً فى عنوان فهرس مشروح بالكتب النادرة نشره فرانسوا دى لوس ريوس فى ليون François de Los Rios ١٧٧٧ فقد نسخ المؤلف وهو تاجر كتب قديمة عنوان الكتاب الرئيسى لصديقه الباريسى الأشهر ديبور طبق الأصل ولكنه فسره بطريقة مختلفة: الببليوجرافيا التعليمية أو قائمة بالكتب النادرة، والفريدة وصعبة المنال مع تعليقات تاريخية:

- Froncois de los Rios = Bibliographie instructive ou notice des quelques livres rares, singuliers et difficiles á trouver avec des notes historiques.(٤٠٠)

وهذا المؤلف على عكس ديبور يصف عمله ليس على أنه بحث ولكن مجرد ملاحظات أى قائمة كتب مشروحة.

وربما كان تجديد استخدام المصطلح بمعنى «قائمة كتب» قد تم تدعيمه عن طريق دورية هامة أخذت عنوانها من العمل الببليوجرافى الذى أعده جاكوب: Bibliographia Parisina hoc est Catalogus omnium Librorum والعمل الذى أعده كولتيت Colletet بعنوان: Bibliographie Francoise et Lat-ine de Paris. تلك الدورية الببليوجرافية هى التى نشرها ابتداءً من سنة ١٧٧١ تاجر الكتب الباريسى ديسنوس Desnos بعنوان **Bibliographie Parisienne** والتى للأسف لم يعد يذكرها أحد والتى جاء عنوانها الفرعى على النحو الآتى: فهرس بالكتب العلمية والأدبية المطبوعة أو المباعة فى باريس مع عروضها التى نشرت فى الدوريات:

- Bibliographie Parisienne: Catalogue d'ouvrage de science, de littera-ture imprimé ou vendus á Paris, avec le jugemens qui en ant été porté dans les écrit periodiques..."

هذه الببليوجرافية قصد بها أن تحصر أهم الكتب المنشورة فى باريس بصفة جارية إبتداءً من سنة ١٧٧٠ وأن تتضمن مقتطفات من العروض التى نشرت فى الدوريات الهامة مثل: Journal Mercure de France, des Savants كما خطط لإدراج بعض كتب من سنوات سابقة على سنة ١٧٧٠. وكان محرر هذه الببليوجرافية هو لويس جوزيف بلبيير دى نيف ـ اجليز.(٤٠١) Louis Joseph Bellepierre de Neuve - Église والمجلدات الست التى نشرت من هذه الببليوجرافية تعكس الحاجة إلى مثل هذا العمل.

ولم يفكر أحد فى تسمية القائمة الأسبوعية بالكتب الفرنسية والأجنبية الجديدة التى كان ينشرها تاجر الكتب ديسبلى Despilly اعتباراً من ١٧٦٣ باسم ببليوجرافيا ـ تلك القائمة التى اعتبرت سلفاً «لببليوجرافية فرنسا: فهرس أسبوعى أو قائمة بالكتب.. المعدة للبيع كل أسبوع فى فرنسا والخارج».

- Bibliographie de la France: Catalogue hebdomadaire ou liste des livres... qui sont mis en vente chaque semaine tant en France qu' en pays étrangers.

ولكى تستحق هذه التسمية كان لابد من تمييز هذه القائمة عن غيرها من القوائم التى تدرج اختيارات من الكتب. وبكلمات أخرى كان لابد للببليوجرافية الحالية من أن تحمل «معرفة الكتب» التى لا يمكن الحصول عليها من مجرد فهرس عادى بالكتب.

ولابد هنا أيضا من الحديث عن الفهرس الموحد بالكتب التى صادرتها الثورة الفرنسية لصالح الأمة وجاء بعنوان الببليوجرافية الفرنسية وعرف أحيانا أخرى بعنوان: الببليوجرافيا العامة والمصنفة لفرنسا:

- Bibliographie Française × Bibliographie générale et raisonné de La France.[٤٠٢]

وقد خطط لهذا الفهرس بواسطة لجنة التعليم العام. وكما نتذكر صدرت تعليمات إلى مديرى مستودعات الكتب فى سنة ١٧٩١ بأن يسجلوا جميع الكتب التى فى عهدتهم ويبعثوا بتلك السجلات إلى باريس.[٤٠٣] والقائمة التى أعدت بهذه الكتب طبعت فى ترتيب مصنف مع شروح مناسبة. وجاء عنوانها متناغماً مع (الببليوجرافية الباريسية والحالية، ببليوجرافية باريس، الببليوجرافية الباريسية) مما يعنى أنه قصد أنه يسجل فيها كل الكتب المنشورة فى فرنسا.

ففى ربيع ١٧٩٤ تم تسجيل ١,٢ مليون عنوان وإرسالها إلى «الببليوجرافية» وهى قسم من لجنة التعليم العام وأدرك أعضاء خط اللجنة أن الببليوجرافية ـ التى كان يمكن أن تصل إلى ١٥٠ مج ـ سوف يستغرق إعدادها وقتاً ومالاً لم يحسب حسابه. ولذلك إقترح هنرى جريجوار Henri Grégoire اسقف بلوا باسم اللجنة فى تقرير رفعه إلى لجنة الميثاق الوطنى فى ابريل ١٧٩٤[٤٠٤] عن هذا المشروع الببليوجرافى، قصر العمل على فهرس عام يرتب هجائيا بأسماء المؤلفين

للمخطوطات والكتب الموجودة فى المستودعات. وقدر للانتهاء من هذا الفهرس ثمانية أو تسعة أشهر. وتحرج جريجوار أن يسمى هذا الفهرس ببليوجرافية. ولم يكن من الضرورى طبعه بل فقط يستخدم كأداة لتوزيع الكتب المتحصلة على المكتبات العامة. وقد اقترح جريجوار نفسه فى ذلك التقرير أن يعرف مفهرسو تلك الكتب أساسيات الباليوجرافيا والببليوجرافيا وكان الرجل قد بنى فكرته عن هذين المجالين من ديبور ولكن كلماته فى هذا الصدد كانت موجزة للغاية حيث قال[٤٠٥] «هذه الببليوجرافيا هى معلومات تاجر الكتب إنها تتعلق بعناوين الكتب وقيمتها التجارية».

وبعد أن غيرت لجنة التعليم العام عنوان العمل من الببليوجرافية إلى «الفهرس الفرنسى الوطنى الموحد» الذى اقترحه جريجوار الذى كان يعنى ببليوجرافية وطنية راجعة أصبح المصطلح يستخدم أكثر من ذى قبل كعنوان لقوائم الكتب. لقد أعلن محرر (الببليوجرافية الخارجية) التى صدر منها ثلاثة مجلدات والتى نشرت فى باريس بين ١٨٠٠ و ١٨١٠ فى العنوان الفرعى أن الهدف من العنوان الرئيسى هو إعداد «سجل مصنف بالأعمال... المنشورة فى الدول الأجنبية خارج فرنسا:

- Bibliographie étrangère: Répertoire méthodique des ouvrages... qui ont paru dans les divers pays étrangers a La France.

وللوهلة الأولى تبدو أن هذه القائمة تكمل الببليوجرافية الفرنسيةBibliographie Française التى اعتزمتها لجنة التعليم العام ولكنها فى الواقع تتبع نمطاً تقليديا فهى فعليا عبارة عن قائمة مصنفة بالكتب الأجنبية التى عرضت فى دورية: Journal général de la litterature étrangère وتقابل المسح السنوى المنشور فى Jouranl des Savants منذ سنة ١٦٧٥ تحت عنوان «ببليوجرافيا أو فهرس الكتب التى أعلن عنها فى الدوريات».

Bibliographie ou Catalogue des Livres... dont il est parlé dans les journaux".

كذلك قرر عدد قليل من المؤلفين فى الموضوعات المتخصصة فى بداية القرن الجديد (١٩م) أن يسموا قوائم الإنتاج الفكرى المتخصص ببليوجرافيا. وهكذا فإن تشارلز نودييه أطلق على عمله الفهرس المصنف للأعمال المتعلقة بالحشرات ودراستها.

Charles Nodier = Catalogue raisonné des ouvrages relatifs à l' entomologie et aux insects. Paris, 1801.

أطلق اسماً مختصراً هو (ببليوجرافيا الحشرات Bibliographie entomologique) والعنوان الفرعى هنا يشير إلى أن الببليوجرافيا يقصد بها قائمة بالكتب. وتصدق نفس هذه الحقيقة على عنوان قائمة جيروم دى لالاند المسماة: ببليوجرافية الفلك:

- Jerome de La Lande: Bibliographie astronomique.

وهى ملحق لببليوجرافيات ويدلر و شبيلر وكذلك ببليوجرافية موسيه باثيى فى موضوع الزراعة بعنوان «ببليوجرافية الاقتصاد الزراعى أو المعجم المصنف بكتب الاقتصاد الزراعى».

- Victor Donatien Musset - Pathay: Bibliographie agronomique ou Dictionnaire raisonné des ouvrages sur l' économie rurale. Paris, 1810.

وفى الحالات الثلاثة الأخيرة على الأقل يمكن تفسير الببليوجرافيا أيضا على أنها «معرفة الكتب». ذلك أنه قد جرى العرف على أن العمل المعنون ببليوجرافيا يساعد القارئ على تحصيل معرفة الكتب لأنه يصف تلك الكتب. ولم تكن هناك علاقة بين العنوان وبين التعبير عن الطريقة أو الهدف. فقد كان المعنيان يتداخلان عندما كان عنوان قائمة الكتب تضم هذا المصطلح مع واصفة مضاف إليه أوصفة تشير إلى مجال أو دولة. أما إذا كانت كلمة ببليوجرافيا أو ببليوجرافى نفسها كانت الواصفة فى العنوان فإنها يمكن أن تفهم على أنها «معرفة الكتب». وهذه

الحالة تصدق على سبيل المثال على عمل فورنيير المعنون: قاموس الببليوجرافيا المحمول وقاموس فليتشر للببليوجرافيا الفرنسية: ـ

- Fournier: Dictionnaire portatif de bibliographie. Paris, 1805.

- FLeicher: Dictionnaire de bibliographie française. Paris, 1811.(٤٠٦)

وعمل كايبو المعنون بالمعجم الببليوجرافى، باريس ١٧٨٠. والذى أطلق عليه كذلك معجم الببليوجرافيا.

- Cailleau: Dictionnaire bibliographique. Paris, 1780. (٤٠٧)

وتظهر الصفة ببليوجرافى، فى عناوين ببليوجرافيتين وطنيتين صدرتا بشكل دورى وأصدرهما تجار الكتب الباريسيين تجاه نهاية القرن الثامن عشر.(٤٠٨) إحداهما القائمة الأسبوعية للمطبوعات الجديدة والتى حلت فى سنة ١٧٩٧ محل دورية تجارة الكتاب أو الفهرس الأسبوعى:

- Journal de la librairie ou catalogue hebdomadaire.

(والتى توقفت سنة ١٧٨٩). وأصبح اسمها الدورية الطباعية والببليوجرافية:

- Journal typographique et bibliographique.

ومنذ سنة ١٨١٠ عرفت باسم الدورية العامة للطباعة والإنتاج الفكرى.

- Journal general de l'imprimerie et de la litterature.

أما «**الدورية العامة** للإنتاج الفكرى فى فرنسا وكانت شهرية وقد بدأت سنة ١٧٨٩ فقد أعطيت عنوانا فرعيا جديداً سنة ١٨٠٠ وهو كشاف ببليوجرافى مصنف بالكتب الجديدة.

- Journal general de la litterature de France: Indicteur bibliogaphique et raisonné des livres nouveaux.

وفى ١٤ من أكتوبر ١٨١١ تغيرت القائمة الأسبوعية إلى مطبوع رسمى طبقا للمرسوم النابليونى اختير لها عنوان «ببليوجرافية الامبراطورية الفرنسية» Bibliographie de l' Empire Français من ١٨١٤ وحتى ١٨٥٦. (بصرف النظر عن مائة يوم من سنة ١٨١٥) كان اسمها فيها «ببليوجرافية فرنسا أو الدورية العامة للطباعة وتجارة الكتب».

Bibliographie de La France ou Journal general de l'imprimerie et de la librairie.

ومن المؤكد أن هذا العنوان قرر عدل بعد نماذج مبكرة مثل الببليوجرافية الجاليّة Bibliographia Gallica التى أعدها الأب جاكوب وهو العمل الذى أطلق عليه مؤلفه: الفهرس Catalogus وقد جرى تمييزه عن فهرس آخر بسيط بواسطة الترتيب المصنف لمفرداته مما اعتبر معه عملا أكاديميا.[٤٠٩] لقد اعتبر عنوان الببليوجرافية الوطنية الفرنسية إضافة إلى مصطلح ببليوجرافية الذى أصبح مقبولاً ليدل على قائمة بالإنتاج الفكرى.

المدرسة الألمانية

على الرغم من أن رايمان وهيومان قد جمعا كثيراً من قوائم المطبوعات من كل نوع تحت اسم ببليوجرافيا،[٤١٠] إلا أن مصطلح مكتبة Bibliothek و Bibliotheca على التوالى كانا أكثر استخداماً على التوالى. وقد حذا المؤلفون - فيما عدا قلة منهم - حذو رايمان وهيومان فى إطلاق Bibliothecae أو Bibliotheken على الفئة من هذه الأدوات.[٤١١]

وبعد سنة ١٧١٥ صدر دليلان جديدان من أدلة الإنتاج الفكرى من نوع دليل جابرييل نوديه «الببليوجرافيا السياسية» Bibliographia Politica يحملان اسم ببليوجرافيا أولاهما ببليوجرافية جوهان جاكوب فولدنر غير الكاملة والمسماة: الببليوجرافيا الحيوية عن سيليزيا، أى مكتبة سيليزيا وتاريخ الكتب والتى تضم سجلاً وتقييماً للكتب المطبوعة عن سيليزيا»

- Johann Jakob Fuldener : Bio - & Bibliographia Silesiaca, das ist: Schlesische Bibliothec und Bücher - Historie, welche eine Erzehlung und Urtheile von den gedruckten scriptoribus rerum silesicarum.. in sich fasset. Breslau, 1731.

أما البيليوجرافيا الثانية التى تحمل اسم ببليوجرافيا فهى التى أعدها نيكولاوس فروبس (فروبسيوس) تحت عنوان ببليوجرافيا المنطق. (٤١٢)

-Nikolaus Frobes (Frobesius) = Bibliographia Logica. Helmsdtedt, 1746.

وعلى الرغم من أن فروبس سمى تقريره عن الإنتاج الفكرى فى المنطق «ببليوجرافيا» متبعاً فى ذلك الأنماط الجديدة فى استخدام المصطلح (وهى أنماط ألمانية غالباً) فإنه لم يقصر هذا المصطلح على هذا النوع من الأعمال الببليوجرافية ولكنه استخدمه كذلك لقوائم العناوين. ففى سنة ١٧٤٧ أصدر عمله المسمى (الببليوجرافيا القمرية) Bibliographia selenographorum والذى طبع فى هلمشدت وكانت قائمة مرتبة زمنياً بالمطبوعات المتعلقة بالقمر، وقد أتبعها بست كتيبات بمفردات مشروحة سنة ١٧٥١ وكتيب ملحق سنة ١٧٥٣ فى نفس الموضوع وبنفس الترتيب. وفى المقدمة أطلق فروبس على قائمة العناوين (ببليوجرافيا العناوين أو الأسماء) وعلى صفحة العنوان جاء العنوان الفرعى «ببليوجرافيا تحليلية ونقدية» bibliographia exegetica et critica وهكذا فإن فروبس فى تعبيراتنا الحديثة يكون قد فرق بين الببليوجرافيا التحليلية النقدية وببليوجرافيا العناوين. (٤١٣) بيد أن هلمشدت فقدت مكانتها الأولى التى حققتها مبكراً ولم تكتسب مصطلحات فروبس أرضاً صلبة. ويبدو أن زملاءه فقط هم الذين لاحظوا تلك المصطلحات والوحيد الذى نشر حصراً بالإنتاج الفكرى وسماه ببليوجرافيا كان فلكياً هو جوهان فردريش فيدلر: الببليوجرافيا الفلكية.

- Johann Fredrierich Weidler : Bibliographia astronomica. Wittenberg, 1755.

وكانت عبارة عن قائمة مرتبة زمنياً بالكتابات فى مجال الفلك وقد جاء كملحق لكتابه المسمى التاريخ الفلكى Historia astronomiae والذى كان قد نشر فى فيتنبرج ١٧٤١. (٤١٤) وقد استقى المؤلف تعليقاته على مفردات الببليوجرافية من الفقرات الملائمة فى كتابه عن التاريخ الفكرى الفلكى.

وجاء جوهان افراييم شيبل بعد فيدلر وكان يشير إليه كثيراً ونشر سنة ١٧٦٩ فى برسلاو ببليوجرافيته عن الرياضيات منذ أقليدس:

Johann Ephraim Scheibel : Erste chronologische mathematische Bibliographie, des Euklides betreffend.

وفى سنة ١٧٨٩ أضاف تسعة عشر مطبوعاً آخر تحمل عنوان ببليوجرافيا Bibliographia وقد رتبت هذه القوائم فى ترتيب زمنى غالباً وتضم المفردات فى الرياضيات والمجالات ذات الصلة مثل الفلك والاستحكامات ولم تكن هناك سوى بضعة تعليقات. (٤١٥) وهنا نرى كيف أن عنوان ببليوجرافية لها قيمة عالية فى موضوع ما يمكن أن تقوم كنموذج للآخرين. (٤١٦) لقد لاحظنا هذه الظاهرة بالفعل فى أعمال القرن السابع عشر التى تلت «الببليوجرافيا السياسية» لجابرييل نوديه ويمكن تتبع هذه الظاهرة أيضاً فيما بعد ذلك القرن. لقد كان شيبل هو أول من يستخدم الصيغة الألمانية لكلمة ببليوجرافيا Bibliographie وذلك للتعبير عن قائمة أو حصر للإنتاج الفكرى. ولقد شرح فى تقريره المبدئى أن ببليوجرافياته الزمنية يمكن أن تساعد الشخص الذى يريد تجميع ببليوجرافية (مكتبة Bibliothek) رياضية كاملة. وفى موضع آخر سمى ببليوجرافيته عن «الاستحكامات» مكتبة الاستحكامات "Fortifikationsbibliothek" وهذا يعنى أن هذين المصطلحين كانا متبادلين. وفى سنة ١٧٧٥ جمع شيبل أول ست ببليوجرافيات تحت عنوان : مقدمة إلى معرفة كتب الرياضيات :

-Einleitung zur mathematischen Bücherkenntnis

وقد نعتبر هذا العنوان غريباً اليوم ولكن لم يكن كذلك فى ذلك الوقت ولعلنا

نذكر أن ديبور أطلق على ببليوجرافيته الخاصة بالكتب النادرة والثمينة عنوان: رسالة فى معرفة الكتب النادرة والفريدة. Traité de la connaissance des livres rares et singuliers.[٤١٧]

لقد تكررت كلمات شبيهة بكلمات شيبل عدة مرات خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر: Einleitung in die Bücherkenntnis (Bücherkunde) أو Anleitung zur Bücherkenntnis (Bücherkunde) مع صفة أو مضاف إليه لمزيد من التخصيص. ومن جهة ثانية فإن عنوان Bücherkunde مع واصفة كان نادراً.[٤١٨] وفى خلال نفس الفترة لم يستخدم المؤلفون مصطلح ببليوجرافيا لوصف قوائم الكتب كطائفة وخاصة فى المجالات المتخصصة.[٤١٩] ولعل قصر المصطلح على الببليوجرافيات الموضوعية يمكن تتبعه فى «دليل أصدقاء الكتب والمكتبات» الذى أعده هنريش فيلهلم لفاتز:

- Heintich Wilhelm Lawatz : Handbuch für Bücherfreunde Und Bibliothekar, Halle, 1788-94.[٤٢٠]

ومع ذلك فإن كلمة ببليوجرافيا مع صفة أو مضاف إليه كانت تظهر من حين إلى آخر قبل ختام القرن ومن الأمثلة على ذلك : «محاولة لببليوجرافيا تاريخية زمنية فى المغناطيسية» التى أعدها فردريش فيلهلم أوجست مورهارد.

- Freidrich Wilhelm August Murhard = Versuch einer historisch - chronologischen Bibliographie des Magnetismus. Kassel. 1797.

وببليوجرافية ج . س . جروبر (ببليوجرافية فى ثقافة النحل).

- J . S . Gruber = Bibliographie der Bienenzucht. Nuremberg 1800.

هذا بينما ظل مصطلح ببليوجرافيا بالنسبة لشيبل يعنى وصف وقوائم الكتب فكان المصطلح حتى ذلك الوقت يفسر على أنه (معرفة الكتب) وفى نفس الوقت كان المصطلح فى فرنسا تقليدياً يعنى (معرفة الكتب Connaissance des Livres)

وكان هذا المعنى مقبولاً فى ألمانيا[٤٢١] وهناك كما حدث فى فرنسا تداخل المعنيان وتضارباً كما فى الكتب المعنونة (مقدمة فى معرفة الكتب Einleitung in die Bücherkunde) والتى لم تكن سوى قوائم كتب وكثير منها لم تصحبه شروح كما أن ببليوجرافيا أو معرفة الكتب كانت تعنى جزئياً قوائم الكتب.

وفى خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر ظهر مصطلح آخر لقوائم الإنتاج الفكرى وهو أدبيات Litteratura (Literatur)[٤٢٢] وكان أول من استخدم هذا المصطلح بمعنى مكتبة Bibliotheca فيما يبدو هو كارل فرديناند هومل فى قائمته (الانتاج الفكرى فى القانون) :

Carl Ferdinand Hommel = Litteratura juris. Leipzig, 1761., 1779.

وقد قلده فى هذا المصطلح فى البداية جامعو الببليوجرافيات القانونية (وهنا نلاحظ مرة أخرى التقليد داخل التخصص الواحد)[٤٢٣] ثم انتقل التقليد بعد ذلك إلى الببليوجرافيين فى التخصصات الأخرى فى اللغة الألمانية حتى منتصف القرن التاسع عشر.[٤٢٤] كما أن بعض المؤلفين أطلق على أعمالهم الببليوجرافية عناوين كتاب دراسى أو دليل الإنتاج الفكرى (أدبيات) فى (الموضوع)[٤٢٥] ففى سنة ١٧٩٠ أطلق قيصر Kayser «أدبيات» على «الببليوجرافيات» وفى ١٨٠٠ أطلق لودفيج Ludwig على الببليوجرافيين Literatoren[٤٢٦] وفى سنة ١٧٩٩ تحدث ميسيل Meusel عن العمل الفكرى Litteraturwerke .[٤٢٧]

لقد كان فى استطاعة الببليوجرافيين الذين استخدموا كلمة Literatur أدبيات للتعبير عن مطبوعات موضوع معين أن يثبتوا هذه الصيغة من الناحية اللغوية ولكنهم استخدموا المصطلح بطريقة تختلف عن معظم الباحثين الآخرين: ففى نهاية القرن الثامن عشر تساءل ايرش عما إذا كان المصطلح Literatur يعنى كل العلوم والآداب أم كان يعنى[٤٢٨] فقط الآداب والانسانيات. ولقد كان فى خلال القرن التاسع عشر فقط إطلاق هذا المصطلح (أيضاً خارج الببليوجرافيا) على مطبوعات العلوم عموماً أو على الآداب وحدها. هذا التضييق لمعنى المصطلح يمكن أن يعزى لاستخدام الببليوجرافيين له.

مناطق أخرى

جاءت عناوين الببليوجرافيات والببليوجرافيات الحيوية المنشورة فى الدول الأوروبية الأخرى مواكبة لتلك التى شاعت فى كل من فرنسا وألمانيا فى الحالات المشابهة. ولم يستخدم المصطلح Bibliographia[٤٢٩] إلا نادراً. وفى حدود معلوماتى لم يظهر هذا المصطلح قبل ١٧٨٠ إلا فى كتابين فقط نشرا خارج فرنسا وألمانيا. وكان كلاهما عبارة عن دراسة أكاديمية لمؤلفين بارزين أحدهما لطبيب انجليزى (١٧١٥) وثانيهما لرجل دين أسبانى (١٧٤٠):[٤٣٠] وهما على التوالى :

- James Douglas : Bibliographiae anatomicae specimen sive catalogus omnium pene auctorum ab Hippocrate ad Harveum rem anatomicam ex professo vel obiter scriptis illustrarunt, opera singulorum et inventa iuxa temporum seriem complecetens. London, 1715. (2nd ed. Lyden 1734).
- Michael S. Joseph : Bibliographia critica sacra et profana. Madrid,. 1740.

أما فى نهاية القرن الثامن عشر فى إيطاليا وبسبب التأثير الفرنسى يمكن للمرء أن يجد قوائم للإنتاج الفكرى بعنوان ببليوجرافيا Bibliografia[٤٣١] وهذا الاستخدام جاء مواكباً لاستخدام المصطلح Bibliographie فى ألمانيا[٤٣٢] وجاء استخدام المصطلحين كعناوين للأعمال التى تمسح الإنتاج الفكرى سواء بمعنى قوائم الكتب أو معرفة الكتب. وفى نفس الوقت أصبح من العادى أيضاً[٤٣٣] خارج فرنسا الاشارة إلى معرفة الكتب ـ تقليداً لتجار الكتب القديمة الباريسيين ـ بكلمات مشتقة من المصطلح الفرنسى Bibliographie . والاستخدام الذى وجد للمصطلح فى كل من ألمانيا وإيطاليا يمكن ملاحظته فى انجلترا فى بداية القرن التاسع عشر وبعد ذلك بقليل فى دول أخرى.

* * *

الفصل التاسع

البيليوجرافيا والبيليوجرافيات خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين

الببليوجرافيا والببليوجرافيات خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين

مفهوم ومصطلح الببليوجرافيا فى مطلع القرن التاسع عشر:

دعنا نلخص التطورات التى وقعت سابقاً وحتى بداية هذه النقطة. ففى بداية القرن التاسع عشر كان الموقف فى فرنسا قد حسم عن طريق الرغبة المكثفة فى المشاكل الببليوجرافية والتى نجمت عن التأثير القوى للثورة الفرنسية على المكتبات فى جميع أنحاء فرنسا. فقد استخدم المصطلح فى وقت ما ـ ربما تحت تأثير من مفهوم ميكل دنيس ـ لكل المجال الذى أطلق عليه فى نظام مكتبات باريس: التاريخ الفكرى والأكاديمى وهو المجال الذى ضم تاريخ العلوم والإنتاج الفكرى، وكذلك تاريخ المكتبات والكتب وأيضاً معرفة الكتب ووصفها. ولمعالجة هذا المجال الواسع قام المعلمون والمؤلفون الفرنسيون وعلى رأسهم بيجنوت ولأسباب عملية بالتركيز على تاريخ الكتب أكثر من تاريخ العلوم، بل إن بعضهم حذف هذا الأخير من اعتباره كلية. وكل ما تبقى إذن اعتبر علماً لأمين المكتبة وهو الببليوجرافيا بمعناها الواسع. وكانت جزئيات هذا المنهج تتألف من تاريخ الكتب والمكتبات مع التأكيد على الطباعة والتصنيف الببليوجرافى ومعرفة الكتب ووصفها وجاء ملحق: دليل أمين المكتبة وهواة الكتب (١٨١٠) ليضع البصمة على هذا المفهوم Manuel du Libraire et de l'amateur des livres.

وقد قام بعض الباحثين الفرنسيين والألمان بوضع التاريخ الفكرى والببليوجرافيا فى بداية تصانيفهم الببليوجرافية، وبعضهم قدم الببليوجرافيا وحدها على ماعداها. وفى نظام برونيه وضع التاريخ الفكرى والببليوجرافيا جنباً إلى جنب فى ملاحق التاريخ العام. ومثال آخر من النظام الببليوجرافى الذى وضعه كل من هوفلاند وشوتز (السجل العام للإنتاج الفكرى) Allgemeines (Repertorium der literatur (جينا - ١٧٩٣) وهو أهم نظام تصنيف ألمانى فى وقته والذى حقق نجاحاً كبيراً فى خارج ألمانيا. هذا النظام الذى احتذى نموذج جوتنجن تضمن قسم التاريخ الفكرى فيه شعبة خاصة بالببليوجرافيا بمفهوم بيجنوت حيث تضمنت الأعمال المتعلقة بتاريخ الكتاب وخاصة موضوع الطباعة ولم يطلق عليها مصطلح (ببليوجرافيا) وإنما تاريخ الكتاب Geschichte des Bücherwesens. لقد نبع مصطلح ببليوجرافيا من فرنسا وكان مدلوله (معرفة الكتب). وكان يقابل الترجمة الألمانية Bücherkunde , Bücherkenntnis للمصطلح اللاتينى Notitia Librorum والتى ظهرت وسارت اعتباراً من منتصف القرن الثامن عشر. بيد أن شوتز الذى وضع تصنيف قسم (التاريخ الفكرى) إدخر المصطلح العلمى للشعب التى تضم الببليوجرافيا الفعلية أى قوائم الإنتاج الفكرى. وقد حافظ ايرش بصفة عامة على تصنيف ومدلولات شوتز، سواء فى سجلات جينا Jena أو طبعات كتابه (دليل الإنتاج الفكرى الألمانى Handbuch der deutschen Literatur). وهكذا فإنه كان مسئولاً عن المفهوم السائد للببليوجرافيا فى ألمانيا كما كان برونيه فى فرنسا.

بينما كان ذلك فى ألمانيا وفرنسا كانت الكلمة Bibliotheca ومرادفاتها فى اللغات المختلفة أكثر استخداماً فى عناوين قوائم الكتب. وكانت كلمة Biblio-graphie ومشتقاتها فى فرنسا وألمانيا تستخدم للدلالة على معرفة الكتب وقوائم الكتب فى نفس الوقت وإلى جانب ذلك كانت كلمة Literatur مقبولة فى ألمانيا.

وهكذا فإنه فى بداية القرن التاسع عشر كان هناك استخدام فرنسى بالمعنى

الواسع لمصطلح الببليوجرافيا واستخدام ألمانى بالمعنى الضيق له مما كان يمثل ضرباً من ضروب التناقض. حيث أن هذا الأخير قصر الببليوجرافيا على معرفة الكتب والأدوات المساعدة لها. بينما الأول (الفرنسى) ضم إلى ذلك دراسة الكتب والمكتبات وخاصة الطباعة والتصنيف وأكثر من هذا فإن الببليوجرافيا الفرنسية ـ بسبب تقاليدهم الببليوجرافية ـ كان تهتم أكثر بالكتب القيمة القديمة. بينما الببليوجرافيا الألمانية كانت تركز على الكتب البحثية. وعلى عكس الفرنسيين كان الألمان يعتقدون أنَ الببليوجرافيا تميل أكثر إلى معرفة قوائم الكتب والمراجع من «معرفة الكتب» نفسها. هذا المعنى الواسع للببليوجرافيا فى فرنسا أطلق عليه بعض الأخصائيين الألمان مصطلح (تاريخ الكتب Geschichte des Bürcherwesens). هذا الاختلاف بين المفهومين الفرنسى والألمانى لمصطلح ببليوجرافيا لا يعنى أن كل الباحثين الفرنسيين ـ وهم وحدهم ـ قد قبلوا المصطلح والمفهوم الفرنسى، وأن جميع الباحثين الألمان ـ وهم وحدهم ـ قد قبلوا المصطلح والمفهوم الألمانى. ولكن هذا يعنى أن هذا المفهوم أو ذاك قد ساد فى الدولة التى تبلور فيها: المفهوم الضيق فى ألمانيا والواسع فى فرنسا.

وأكثر من هذا يجب أن نتذكر أن العلماء الفرنسيين الذين جمعوا كل المعرفة المتعلقة بالكتب والمكتبات تحت مفهوم (الببليوجرافيا) كانوا قلة وكانوا أساساً تجار كتب قديمة ومحبى كتب وأمناء مكتبات. أما الغالبية والذين لم يكونوا مهتمين بتاريخ الكتب والمكتبات فقد أطلقوا على (معرفة الكتب) من الدرجة الأولى أو الثانية، وأيضاً على وصف الكتب وثمرته ـ القوائم ـ مصطلح الببليوجرافيا. وهذا الاتجاه الأخير يعد من أكثر ما يصدق على ممثلى التخصصات الحديثة (مثل العلوم الطبيعية، والتكنولوجيا، والاقتصاد والعلوم الاجتماعية).

الاستخدام الفرنسى حتى ١٩١٨

لقد ارتخت الصلات الوطنية بالمفاهيم خلال القرن التاسع عشر (أى ربط المفاهيم المختلفة بالوطنية والقومية..) . ولكن قد يكون من المفيد دراسة

تطورات المفاهيم الببليوجرافية فى كل من فرنسا وألمانيا على حدة رغم ذلك، ثم بعدها نحلل مفهوم الببليوجرافيا بين الشعوب الناطقة بالانجليزية.

ففى النصف الأول من القرن التاسع عشر بلور أمين مكتبة جامعة لوفان Louvain جان بيه نمور المفهوم الفرنسى للببليوجرافيا فى كتابه «دليل أمين المكتبة»:

- Jean Pie Namur : Manuel du bibliothécaire. Brussels, 1834.

وهو نفس العنوان الذى قصد بيجنوت إلى إطلاقه على كتابه ثم عدل عنه إلى Dictionnaire raisonné de bibliologie. ومن بيجنوت تعلم نمور أن الببليوجرافيا هى (علم أمين المكتبة) ومن هنا تشكل موضوع كتابه هذا.(٤٣٤) لقد انطلق نمور من حيث انتهى بيجنوت فى نقطة واحدة أساسية: فصل التاريخ الفكرى عن الببليوجرافيا ولكنه لم يعط اهتماماً كبيراً بها ففى تصنيف نمور ـ كما عند برونيه ـ يأتى أحدهما بعد الآخر ليس فى نهاية التصنيف ولكن طبقاً لتوجيهات بيجنوت فى البداية ويأتى التاريخ الفكرى قبل الببليوجرافيا وهذا الأخير يقسم على النحو الآتى:(٤٣٥)

ب : الببليوجرافيا

١- تاريخ فن الكتابة والباليوجرافيا.

٢- تاريخ الطباعة والنسخ وتجارة الكتب.

٣- عن معرفة الكتب

I مدخل إلى الببليوجرافيا

II الأعمال الأساسية فى الببليوجرافيا

III الببليوجرافيات العامة الهجائية والمصنفة

IV الببليوجرافيات الوطنية

أولاً : الببليوجرافيات الشرقية

ثانياً : الببليوجرافيات اليونانية والرومانية

V الببليوجرافيات المهنية

أولاً : ببليوجرافيا تاريخ الفكر

ثانياً : ببليوجرافيا الببليوجرافيات

ثالثاً : ببليوجرافيات علم اللغة

VI - ببليوجرافيات الكتب النادرة

VII - ببليوجرافيات الأعمال مجهولة المؤلف وذات الأسماء المستعارة

VIII - ببليوجرافيات الأعمال الملعونة والمحكوم عليها بالحرق، والكتب التى عن الكشاف

٤- عن المكتبات

I - عن تنظيم المكتبات عموماً، ثم عن علم المكتبات

II - التاريخ العام للمكتبات

III - فهارس المكتبات العامة

IV - فهارس المكتبات الخاصة

٥- القوائم الدورية بالإنتاج الفكرى وعروضه من مختلف الدول.

٦- عموميات ومتفرقات.

وطبقاً لمفهوم نمور فإن قسم الببليوجرافيا يضم كل ما له علاقة ـ فقط العلاقة الفنية ـ بالكتابة والكتب والمكتبات. وهو بهذا يذهب خطوة أبعد من كل من ماتياى، ايرش، بيجنوت، برونيه، حين ركز فى قسم واحد كل الإنتاج الفكرى المتعلق بالكتاب بما فى ذلك الأعمال المتعلقة بزخرفة وتجليد وطباعة وتجارة الكتب.

وفى الشعبة الثالثة من قسم الببليوجرافيا ضمت إلى جانب المقدمة عن الببليوجرافيا كل أنواع الببليوجرافيات. وقد استخدم نمور هنا مصطلح الببليوجرافيا بمعناه الضيق (معرفة الكتب) وكان متردداً فى إطلاق نفس الإسم على هذه الشعبة الذى أطلقه على القسم كله. ولذلك استخدم الترجمة الفرنسية للمصطلح اللاتينى Connaissance des livres فقد كان واعياً لخطأ الحديث عن الببليوجرافيا بمعناها الواسع ومعناها الضيق فى آن واحد. ولذلك اتجه بعد سنوات قليلة إلى ترك واهمال الاستخدام المزدوج للمصطلح.

لقد بدأ نمور فى كتابه (دليل أمين المكتبة) باستخدام المفهوم الضيق للببليوجرافيا فأعلن فى الفصل الأول أن المصطلح يعنى (وصف الكتب) ولكن كي نصف الكتب لابد من معرفة خصائصها وقيمتها الخارجية والداخلية[٤٣٦] واستمر يقول بأن الببليوجرافيا تشكل علماً قائماً بذاته عموده الفقرى إعداد ودراسة القوائم والمتخصصة بالذات،[٤٣٧] فكما أن الببليوجرافيا تقدم معلومات عن الكتب فى المجالات المختلفة عن طريق وصفها فإن علم الببليوجرافيا يقدم المعلومات عن مجالات المعرفة نفسها. ولسوء الحظ فإن نمور لم يتعمق فى دراسة هذه النقطة بعد ذلك ولكنه استمر فى مدح الببليوجرافيا باعتبارها مصباح اريادنه Ariadne فى متاهات عالم الكتب. «إنها الخيط الذى يهدف إلى ارشادنا فى متاهات الكتابات التى لاحصر لها والتى تتضخم يومياً.[٤٣٨] ولم يشرح لنا كيف نتقدم من المفهوم الضيق للببليوجرافيا ـ معرفة الكتب ووصفها ـ نحو المفهوم الواسع الذى يضم كل تاريخ العلوم والإنتاج الفكرى والذى يحتوى كل شئ عن الكتب والمكتبات، واكتفى بمجرد القول بأن المرء يجب أن يعرف ذلك حتى يكون قادراً على وصف الكتب.

وعلى الرغم من أن نمور فى الفصل الأول المشار إليه وكذلك فى مقدمة كتابه ركز على قيمة الببليوجرافيا وأهميتها بالاشارة العامة إلى الأعداد اليومية الضخمة من المطبوعات الجديدة فإن اهتمامه الأول كان بالكتب القديمة أكثر من الجديدة، لقد اعتمد على بيجنوت كمصدر له وهو صاحب المعجم الذى طالب الببليوجرافى بأن يكون على معرفة دائمة بالمطبوعات الجديدة ولكنه لم يحدد

كيفية ذلك إلا فى حاشية حين قال بأن ذلك ممكن عن طريق دراسة الدوريات أساساً.[٤٣٩] وكانت إشارة نمور إلى الأعداد الكبيرة من الكتب الجديدة تعنى فقط أن الكتب التى على أمين المكتبة أن يحيط بها تزداد بصفة مستمرة وأن «معرفة الكتب» كعلم تصبح أكثر أهميةٍ يوماً بعد يوم. ورغم ذلك فإن دليله لا يتعرض للأدوات البيليوجرافية والتى خصص لها شعبة كاملة فى قسم الببليوجرافيا فى تصنيفه الببليوجرافى.[٤٤٠] ولا ينبغى أن نندهش من ذلك لأنه يتمشى مع الطابع الفرنسى الذى يتحرج من مناقشة الأدوات الببليوجرافية نظرياً والذى لا يعتبر «معرفة قوائم الكتب» حقلاً من حقول دراسة «معرفة الكتب». ولكن لابد من الاشارة هنا مرة ثانية إلى أن مفهوم الببليوجرافيا قد تغير تغيراً كبيراً فى فرنسا بعد عقود قليلة من نمور.

بعد أن ذهب نمور ليعمل فى المكتبة الملكية فى بروكسل نشر كتابه : مشروع تصنيف جديد للمعرفة الإنسانية Projet d'un nouveau systeme des connaissances humaines. هذا التصنيف الجديد يختلف اختلافاً أساسياً فى كثير من الوجوه عن النظام الذى نشره فى دليله سنة ١٨٣٤ . وعلى سبيل المثال فإن التاريخ الفكرى لم يعد يأتى فى بداية التصنيف ولكن كملحق للتاريخ العام كما هو الحال عند برونيه. وقد حل محله فى بداية النظام قسم جديد بعنوان (مقدمة إلى المعرفة الإنسانية). وقد نظم هذا القسم على النحو الآتى:

١- أوليات.

٢- دوائر المعارف

٣- اللغة والكتابة

٤- الببليوجيا (علم الكتاب)

أ ـ الطباعة

ب ـ تجارة وتجليد الكتب

جـ - الببليوجرافيا

د - تاريخ المكتبات

وباستثناء نقطة واحدة فإن الفرع الرابع (الببليوجرافيا) يتمشى مع تقسيم نمور الذى وضعه سنة ١٨٣٤. وهذا النوع كما هو الحال عند برونيه يغطى فقط الكتب المطبوعة، بينما المخطوطات وضعت فى الفرع الثالث (اللغة والكتابة). وإذا تركنا ذلك فإن الفرع الرابع يشمل كل المطبوعات عن الكتب والمكتبات وعنوان هذا الفرع لم يعد ببليوجرافيا ولكن ببليولوجيا (علم الكتاب) وقد أدخل هذا المصطلح من قبل بواسطة بيجنوت. ولكنه لم يلق قبولاً وقد تجاهله برونيه ولذلك كان على الفرنسيين أن يستخدموا مصطلح ببليوجرافيا بمعناه الواسع والضيق معاً. وعندما استخدم نمور مصطلح الببليوجرافيا للدلالة على معرفة الكتب بمعناها الواسع فقد قصر مصطلح ببليوجرافيا على معرفة الكتب بمعناها الضيق ووضع عنوان «ببليوجرافيا ٤/جـ» على ذلك الفرع الذى يسجل «الببليوجرافيا» وهو الأمر الذى فعله كل من شوتز وايرش فى ألمانيا على الرغم من أنهما استخدما بدلاً من مصطلح ببليولوجيا المصطلح الألمانى (تاريخ الكتب (Geschichte des Bücherwesens

وهكذا فإنه فى ١٨٣٩، أشار نمور إلى مخرج لمشكلة المصطلحات التى نجمت عن الاستخدام المزدوج لمصطلح ببليوجرافيا، ليس فقط فى معناه الضيق ولكن أيضاً فى معناه الواسع. وهكذا فإن المجال الشامل الذى أشار إليه نمور سنة ١٨٣٤ على أنه «علم أمين المكتبة» أصبح موضوع تدريس مقرر الببليوجرافيا الذى يطرح على الدارسين من أمناء مكتبات وأرشيفيين فى مدرسة الوثائق بباريس École des Chartes وقد خلصت مالكلس Malclés وبحق أن هذا التدريس قد أثر تأثيراً قوياً فى مفهوم الببليوجرافيا خلال القرن التاسع عشر فى فرنسا،[٤٤١] ليس فقط فى المفهوم الواسع للببليوجرافيا ولكن أيضاً كما ذهبت مالكلس فى اتجاه آخر مختلف.

ومن مقال نشره تشارلز مورتيه Charles Mortet[٤٤٢] الذى درس الببليوجرافيا فى مدرسة الوثائق ابتداءً من سنة ١٨٩٧ نستشف أن أحد الأرشيفيين هناك كان يدرس مقرراً بعنوان تنظيم الأرشيفات والمكتبات من سنة ١٨٤٧ حتى ١٨٦٨ وأن هذا الشخص لم يشر من قريب أو بعيد إلى الببليوجرافيا. ولكن طالما أن الببليوجرافيا كانت تعتبر علم أمين المكتبة فإن مدرسة لإعداد أمناء المكتبات لايمكن أن تخلو منها.[٤٤٣]

ولذلك فإنه منذ سنة ١٨٦٨ تم تطوير مقرر تنظيم الأرشيفات والمكتبات إلى مقرر فى «الببليوجرافيا وتنظيم المكتبات والأرشيفات». ويجب أن نلاحظ التغيير فى ترتيب الكلمات لقد عين أحد أمناء المكتبات والطالب فى مدرسة الوثائق للتدريس فيها وهو أناتول دى مونتاجلون Anatole de Montaiglon وقد انتهز المجلس الاستشارى للمدرسة هذه الفرصة ليعبر عن رأيه بوضوح فى الغرض من تدريس الببليوجرافيا وأعلن فى يناير ١٨٦٩ «من المهم أن يتعلم الطلاب من بداية دراستهم بطريقة عملية عن «المجموعات الكبيرة المتخصصة فى العلوم المختلفة والتى تعتبر أدوات لاغنى عنها لهم، كما يتعلمون الأدوات التى تقيم مصادر العلوم». وأوصى المجلس بشدة «بإعطاء تلك الدروس صبغة تطبيقية عملية»[٤٤٤] وطالما أن المجلس كان مهتماً بهذا المقرر الجديد فى الببليوجرافيا فإنه كان يعنى بالأدوات الببليوجرافيّة وما شابهها من الأعمال المرجعية التى كان يتعين على الطلاب فى مدرسة الوثائق أن يتعلموها فى بداية دراستهم. وكان من المعتقد فيه أن أول واجبات ـ وليس الوحيد ـ أستاذ الببليوجرافيا أن يعرف طلابه بتلك الأدوات.

وأصبحت وجهة النظر هذه هى معيار مقرر الببليوجرافيا فى مدرسة الوثائق. ولقد أعلن مورتيه الذى خلف مونتاجلون وهو أيضاً أمين مكتبة وخريج المدرسة فى محاضرته الأولى الافتتاحية سنة ١٨٩٧ أنه سوف يدرس فى هذا المقرر ثلاث مجالات:[٤٤٥]

(١) المجموعات الببليوجرافية (أى الفهارس) التى توصف فيها الكتب وتنظم والتى يرجع إليها المرء بصفة دائمة وذلك للتعرف على كتاب محدد أو لمعرفة الكتب المنشورة فى موضوع معين أو لمؤلف بالذات.

(٢) التحولات التى مرت بها الكتب فى شكلها المادى وخصائصها الخارجية من قديم الزمان حتى الوقت الحاضر ـ بما يسمى تاريخ الكتاب أى علم الكتاب .

(٣) القواعد الفنية التى تتبع فى فرنسا خاصة فى إعداد الفهارس وإدارة المكتبات العامة والتى أشار إليها بعض المثقفين تحت اصطلاح دقيق هو «علم المكتبات».

وهكذا فإن مورتيه حدد أن الببليوجرافيا فى معناها الواسع تضم :

١- دراسة القوائم الببليوجرافية.

٢- تاريخ الكتب.

٣- إدارة المكتبات (بما فى ذلك تاريخ المكتبات).(٤٤٦)

وهو بهذا البيان لم يقدم نظرية جديدة ولكنه قدم ـ كما كان واجبه ـ وجهة النظر التى كانت سائدة فى مدرسة الوثائق منذ بدأ تدريس الببليوجرافيا فيها سنة ١٨٦٩ وكل ما فعله أنه حدد محتويات المقرر ونظمها بدقة ووضوح. وهو فى تدريسه لهذا المقرر غطى تقريبا كل ما يتعلق بالكتب والمكتبات، ولقد تبلورت الأهمية التى قدمتها مدرسة الوثائق فى تنظيم المكتبات الحديث والذى انعكس فى تغيير اسم المقرر من: «الببليوجرافيا وتنظيم المكتبات والأرشيفات» إلى مقرر «الببليوجرافيا والخدمات المكتبية»(٤٤٧) على النحو الذى أوصى به مجلس المدرسة ذات مرة، وقد استمرت الأدوات الببليوجرافية الجزء الأول فى تدريس هذا المقرر.

وهكذا فإن تدريس الببليوجرافيا فى مدرسة الوثائق عكس المفهوم الفرنسى الواسع للببليوجرافيا ولكن المدرسة أعطت هذا المفهوم ترسيخا لم تعرفه فرنسا من قبل: تركيز على دراسة المراجع والأعمال المشابهة التى تحمل معلومات عن

الكتب وهى الأعمال التى أهملها مؤلفو ومعلمو البيليوجرافيا مثل نمور من قبل. وهكذا مهد الطريق لتغيير المفهوم الفرنسى للببليوجرافيا.

لقد قام اناتول دى مونتاجلون ـ أول أستاذ للببليوجرافيا فى مدرسة الوثائق ـ بالتدريس هناك لمدة ثلاثين عاماً. وكان محاضراته ممتلئة عن آخرها ولكنها منظمة وكانت مثمرة ومثيرة. وبسبب تجاربه العملية كأمين مكتبة لم يكن فقط يعرف كيف يدرس لتلاميذه استخدام الببليوجرافيات ولكنه كان يدفعهم إلى تجميع ببليوجرافيتهم بأنفسهم. وفى كثير من الأحيان استطاع تلاميذه أن يشتهروا كببليوجرافيين مهرة من بينهم ثلاثة نذكرهم هنا وهم:[٤٤٨]

ارنست دانييل جراند Ernest Daniel Grand.

تشارلز فيكتور لانجلوا Charles Victor Langlois.

هنرى ستاين Henri Stein.

ولم يقصر مونتاجلون نفسه على تعليم معرفة الأعمال المرجعية الببليوجرافية (معرفة الكتب من الدرجة الثانية) ولم يفترض فيه أن يفعل ذلك. ولكنه عالج بقدر الإمكان كل المشكلات المتعلقة بالكتب والمكتبات ـ أى الببليوجرافيا بمعناها الواسع. ولكنه بدءا من تدريس الببليوجرافيات وجه أية أفكار لطلابه عن الببليوجرافيا فى اتجاه محدد.

لقد قام تلميذه ارنست دانييل جراند ـ الذى عين فى المكتبة الأهلية ـ بكتابة مقال الببليوجرافيا Bibliographie لدائرة المعارف الكبرى:

Grande Encyclopédie, vol. VI. Paris, Lamirault, 1888.

وهى مقالة تقع فى أكثر من ٨٥ عموداً.[٤٤٩] وطبقا لما ذكرته مالكلس فإن ارنست وجراند عبر عن المفهوم والتعريف «الرسمى» للببليوجرافيا، أى المفهوم المقبول لدى مدرسة الوثائق والتى كانت المعهد الحكومى الوحيد الذى يدرس الببليوجرافيا.[٤٥٠] وفى الحقيقة يتمشى تعريف جراند فى الكبرى مع المفهوم

الرسمى الذى أكد عليه بعد عدة سنوات خليفة مونتاجلون فقد أعلن جراند أن البيليوجرافيا هى «علم الكتب من ناحية الوصف المادى والفكرى والتصنيف». والمعنى الذى قصد إليه يمكن جمعه فى العبارة الآتية: «فى الببليوجرافيا هناك ثلاثة أمور لابد من وضعها فى الاعتبار تصنيف الكتب (الأنظمة الببليوجرافية)؛ وصف الكتب (القواعد الببليوجرافية)؛ استخدام السجلات (القوائم) الببليوجرافية». وطبقا لجراند فإن الببليوجرافيا لا تتعلق بكل حقل الكتب والمكتبات ولكن فقط **بالوصف** (تصنيف وفهرسة الكتب). وبمعنى آخر بإعداد قوائم الكتب أى الببليوجرافيات واستخداماتها والتى تتطلب معرفة واسعة بالقوائم الموجودة بالفعل. ولذلك فإنه تطرق فى مقاله إلى.

١ ـ الأنظمة الببليوجرافية لتصنيف الكتب.

٢ ـ قواعد تتبع عند وصف، أى فهرسة الكتب.

٣ ـ الببليوجرافيات نفسها، أى القوائم الوصفية للكتب وقد سرد أكثرها أهمية طبقا لأنواعها وقد بدأ ببليوجرافيات الببليوجرافيات وانتهى بالببليوجرافيات الشخصية. وقد تبع هذه الأقسام الثلاثة دراسة عن تاريخ الببليوجرافيا أعنى تسجيل الكتب.

وهكذا فإن الببليوجرافيا فى نظر جراند كانت تعنى نظرية تسجيل الكتب ومعرفة قوائم الكتب. ولم تكن هذه هى وجهة نظر مدرسة الوثائق ولكنها كانت تتمشى مع الفكرة السائدة فى القرن الثامن عشر وكانت ما تزال مقبولة فى القرن التاسع عشر إلى جانب مفهوم مدرسة الوثائق ـ ولكن مع تعديل أساسى. فقد تضمن فرع [الببليوجرافيا أو تاريخ ومعرفة الكتب] فى نظام مكتبات باريس نظرية تسجيل الكتب ـ أى نظرية التصنيف ـ وكانت قوائم الكتب دائما قلب هذه النظرية ـ ومع ذلك فإن أحدا قبل جراند لم يشرح بوضوح أن الببليوجرافيا لم تتعلق فقط بوصف ومعرفة الكتب على وجه العموم بل أيضا وعلى وجه

الخصوص معرفة قوائم الكتب واستخداماتها، ـ أعنى معرفة الكتب من الدرجة الثانية.

ولم يكن جراند ليجرؤ على عرض وجهة نظره هذه أو حتى الإشارة إلى أنها الوحيدة أو السائدة دون أن يكون متأكداً من أنها تحصل موافقة زملائه المعاصرين والذين كانوا مثله طلابا فى مدرسة الوثائق. وكان لانجلوا وستاين فى الواقع من بين من شاركوه هذا الرأى.

لقد ذهب تشارلز فيكتور لانجلوا الذى كان يدرس الببليوجرافيا التاريخية فى السوربون اعتباراً من سنة ١٨٩٤، خطوة أبعد من ذلك. ففى مقدمة كتابه الرائع: دليل الببليوجرافيا التاريخية:

- Charles Victor Langlois: Manuel de bibliographie historique. Paris, 1890. 2 nd ed. 1901).

ميز لانجلوا بين الببليوجرافيا بالمعنى الواسع والمعنى الضيق. ونص عبارته هو: (٤٥١)

«الببليوجرافيا هى علم الكتب. مقارنة **بعلم المكتبات** ـ الذى يعالج تصنيف ووصف الخصائص المادية للكتب، تاريخ وتنظيم المكتبات ـ أو **بعلم الكتاب** ـ الذى يناقش تاريخ الكتب وكيفية صناعتها (الطباعة، التجليد، البيع) ـ فإن الببليوجرافيا فى معناها الضيق تقتطع جانبا خاصاً من علم الكتاب الذى يعالج القوائم ويمدنا بوسائل إيجاد المعلومات الخاصة بالمصادر الملائمة والدقيقة بقدر الإمكان».

ولقد استطرد فى تعميق هذه النقطة على النحو التالى:

«إن أعداد الكتب والدوريات والمقالات النقدية التى نشرت والتى تنشر باستمرار أعداد ضخمة وكاسحة. فكيف يجد المرء طريقه إليها بدون قوائم كتب؟ إنها نفسها (قوائم الكتب) عديدة وبأنواع مختلفة متفاوتة القيمة والأهمية والشخص الذى لا يعرف هذه القوائم أو يسمع بها أو لا يعرف كيف يستخدمها يواجه صعوبات كثيرة فى حياته».

ثم أخذ يعدِّد تلك الصعوبات وفى النهاية خلص إلى أنه:

«لكى ندرس الببليوجرافيا فلابد من تعليم استخدام المصادر الببليوجرافية الموجودة»

ونحن نستنتج من هذا الاستخدام لمصطلح ببليوجرافيا أن لانجلوا استعمل المصطلح فى معناه الضيق بل فى معناه الأضيق: «معرفة الببليوجرافيات» وهو على العكس من جراند لم يشأ قبول نظرية، تصنيف وفهرسة الكتب كجزء من الببليوجرافيا فى المعنى الضيق للكلمة طالما أن «علم المكتبات Bibliothéconomie» يتعامل معهما فعلاً.

أما هنرى ستاين فإنه لم يناقش فكرة الببليوجرافيا فى كتابه **دليل الببليوجرافيا العامة**، وهو عبارة عن حصر بالببليوجرافيات العامة. أى ببليوجرافيا بالببليوجرافيات.

Heri Stein = Manuel de bibliographie générale. Paris, 1898.

وفى مقدمة هذا الدليل أعلن أنه حان الوقت «لوضع دليل فى علم الببليوجرافيا مثل أدلة الباليوجرافيا، الفيلولوجيا، والآثار». ومن هنا نستنتج أنه على العكس من أساتذة مدرسة الوثائق لم يعتبر كل ما يتعلق بعلم الكتاب والمكتبات ضمن محتويات الببليوجرافيا ولكن فقط «**الببليوجرافيات**». وعلى خلاف لانجلوا واتفاقا مع جراند أادرج ستاين تحت الببليوجرافيا نظرية تسجيل الكتب (تصنيف وفهرسة الكتب، إعداد قوائم الكتب). وقد عبر عن ذلك بوضوح فى مقال له بعنوان «**شذرات** فى النظرية العامة للببليوجرافيا»:

- Fragments d' une théorie generale de la bibliographie.

والتى نشرها قبيل نشر دليله مباشرة فى مجلة كان يرأس تحريرها هى مجلة الببليوجرافى الجديد **"La Bibliographe Moderne"**.(٤٥٢) وقد حدد فى هذا المقال علم الببليوجرافيا بأنه «علم الكتاب من اللحظة التى يترك فيها الكتاب المطبعة التى انتجته إلى اللحظة التى يصبح فيها الكتاب معروفا للجمهور خلال قنوات خاصة وإلى اللحظة التى يصنف فيها على رفوف المكتبات».

وهكذا فإن مفهوم الببليوجرافيا قد تحدد بالمعنى الضيق فى نفس الدولة التى استخدمت معناها الواسع فى نهاية القرن الثامن عشر. فالمصطلح الذى اشتمل على كل علم الكتاب والمكتبات وفى وقت من الأوقات تاريخ العلم والإنتاج الفكرى، اقتصر على نظرية تسجيل الكتب ومعرفة قوائم الكتب أو حتى على هذه الأخيرة فقط. ولم يعد المصطلح مقبولاً حتى بالنسبة لـ (معرفة الكتب بصفة عامة (أى الببليوجرافيا بمعناها الضيق) ولكن فقط اقتصر على معرفة الكتب من الدرجة الثانية (أى الببليوجرافيا بمعناها الأضيق). فيكف يفسر ذلك؟ ولماذا كان هناك مؤرخون كثيرون مسئولين عنها؟

وإذا استخدم نفس المصطلح بالمعنى الضيق والمعنى الواسع فإن من الضرورى شرح المعنى المقصود فى كل حالة. وعادة ما يحذف هذا الشرح ويترك الأمر للتخمين ومن ثم لا يمكن تجنب سوء الفهم. وطالما أن الببليوجرافيا بمعناها الواسع وتقسيماتها الرئيسية كانت تنتمى إلى دراسة التاريخ كانوا غالبا ما يواجهون بحقيقة أن جزءا من المجال كان يحمل نفس اسم المجال كله.[٤٥٣] هذه الصعوبة لابد وأنها استرعت انتباه طلبة التاريخ الوسيط الذين تخرجوا من مدرسة الوثائق والذين أخذوا مقرراً فى الببليوجرافيا والذى كان يبدأ بمناقشة المعنى الأضيق للببليوجرافيا ثم تقدموا فى الدراسة ليغطوا المجال الكامل للببليوجرافيا، وكان من الطبيعى أن يتوقفوا عن الاستخدام المزدوج للمصطلح، وهو ما فعله نمور فى تصنيفه الببليوجرافى الثانى. ومن المفهوم أن هؤلاء الطلاب لم يكونوا راضين عن استخدام المصطلح فقط بمعناه الضيق وهو (معرفة الكتب ووصفها) والذى كان سائداً خارج العلوم التاريخية[٤٥٤] ولكنهم كانوا أيضا راغبين فى قصر المصطلح أكثر على مجرد معرفة قوائم الكتب أي مصادر المعلومات عن الكتب وكان ذلك منطقياً. وأستاذهم فى مدرسة الوثائق لم يعرفهم بالكتب نفسها ولكن بقوائم الكتب وغيرها من الأدوات المعينة فى معرفة الكتب. وأكثر من هذا فإنه منذ بداية القرن الثامن عشر كانت مثل هذه الأعمال (القوائم) تمثل الجانب الأكبر من تقسيم أو تفريع التصنيف الببليوجرافى

والمكتبات. وأصبح الآن من الواضح لبعض الوقت أن معرفة هذه الأعمال يجب أن تمثل القسم الأكبر من محتويات علم الببليوجرافيا. وكان على جراند ومعاصريه أن يقوموا بهذه المهمة. هذا الموقف نتج عن أن الببليوجرافيات قد أصبحت أدوات لا غنى عنها للبحث العلمى قبل منتصف القرن التاسع عشر.

وكما أشار لانجلوا ذات مرة فإن الزيادة الهائلة فى أعداد الكتب والدوريات الصادرة خلال النصف الثانى من القرن الماضى جعلت من الصعب أكثر وأكثر حتى بالنسبة للمتخصص أن يعرف ماذا كتب فى مجال تخصصه حتى يلاحقه ومن ثم أصبحت قوائم الكتب ـ التى تعرفه بما صدر فى مجال تخصصه ـ ضرورة لا غنى عنها. ولتركيز وتنسيق العمل الببليوجرافى كله ـ أى وصف جميع المطبوعات ـ حاول هنرى لافونتين Henri La Fontaine وبول اوتلت ـ Poul Otlet ـ تأسيس المعهد الدولى للببليوجرافيا سنة ١٨٩٥ Institut International de Bibliographie والذى كان بلا شك خطوة من أهم خطوات الضبط الببليوجرافى.[٤٥٦] وفى الواقع لقد كان من الصعب فى بعض المجالات معرفة كل الببليوجرافيات مع الزيادة الهائلة فى المطبوعات لأن الببليوجرافيات نفسها زادت زيادة كبيرة. مما أدى بـ هنرى ستاين إلى إصدار كتابه دليل الببليوجرافيا العامة. والذى صدر فى سلسلة «المكتبة الببليوجرافية الجديدة» Bibliotheca Bibliographica Nova (سنة ١٨٩٧) والذى وثق فيه قوائم الكتب التى صدرت خلال الثلاثين سنة التى انقضت بعد صدور ببليوجرافية جوليوس بتنرهولد (المكتبة الببليوجرافية) سنة ١٨٦٦:

Julius Petzholdt: Bibliotheca bibliographica. 1866.

ورغم هذه الأدوات فقد كان هناك من الباحثين من يجهل أهم مصادر المعلومات الببليوجرافية.[٤٥٧] ولذلك لم يكن يكفى تسجيل المطبوعات فى مجالات المعرفة بقدر الإمكان بل كان من الملح أيضا تسجيل المعلومات عن القوائم التى تخبر الباحثين عن المطبوعات فى مجال تخصصهم.

ولم تكن تلك الأساليب (ببليوجرافيات الببليوجرافيات) جديدة فى الواقع ففى منتصف القرن السابع عشر كان أساتذة الجامعات الألمان حريصين على تعليم

طلابهم المصادر الببليوجرافية، والتاريخ الفكرى كان يدرس فى المدارس الثانوية منذ القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر،[٤٥٨] وتضمنت محاضراته موضوع (معرفة الكتب) وخاصة قوائم الكتب (معرفة الكتب من الدرجة الثانية). بينما لم يدخل الباحثون الفرنسيون حتى منتصف القرن التاسع عشر فى مناقشات نظرية لأدواتهم الببليوجرافية وكانت الملاحظات العرضية التى ابداها كل من جيرارد Girard (مات ١٧٤٨) ونيبىNée (١٧٧٦) ولير (١٧٩٩) Laire لم يتوقف عندها أحد.[٤٥٩] بل إن ببليوجرافية الببليوجرافيات التى أعدها بيجنوت Peignot باسم (السجل الببليوجرافى الشامل) (١٨١٢) لم ينتج عنه أى تغيير.[٤٦٠] ولم ينكسر هذا الصمت إزاء الأدوات الببليوجرافية من جانب الباحثين إلا عندما بدأ تضخم الإنتاج الفكرى فاقترح مجلس أوصياء مدرسة الوثائق - ومعظمه من المؤرخين - فى سنة ١٨٦٩[٤٦١] إدخال مقرر فى الببليوجرافيا وتعليم الطلاب استخدام الأدوات الببليوجرافية وما يماثلها وبهذا الاقتراح فإن معرفة قوائم الكتب أصبحت مقرراً دراسيا لأول مرة فى فرنسا. ولم يبن اقتراح مجلس مدرسة الوثائق على أمثلة ألمانية لأن الببليوجرافيا والتاريخ الفكرى نادراً ما كانت تدرس فى ألمانيا.[٤٦٢] ومن هنا فإن الأمثلة نبعت من أهداف المدرسة وبنيت على أساس من التجربة فى العلوم التاريخية. وهكذا فإن مدرسة الوثائق لم تعلم باحثيها الشبان البحث فى التاريخ الفرنسى فى العصور الوسطى فقط وإنما كان عليها أن تعد الأرشيفيين وأمناء المكتبات لوظائفهم المهنية. وكان المؤرخون فى ذلك الوقت أكثر كفاءة من كل الباحثين فى المجالات فى تنظيم بحوثهم وغيرها لاستخدامهم الببليوجرافيات[٤٦٣] وكان أعضاء المجلس يقدرون تلك الأدوات البحثية ولذلك كانوا يريدون من طلاب مدرسة الوثائق أن يعرفوا كيف يستخدمونهما فى فترة مبكرة من حياتهم الدراسية. وكان ذلك ضروريا لمن يعتزمون العمل أرشيفيين أو أمناء مكتبات لأن الأرشيفيين وأمناء المكتبات يجب عليهم أن يتعرفوا على مصادر المعلومات الببليوجرافية أكثر من غيرهم من التخصصات الأخرى.

وربما يكون طلاب مدرسة الوثائق قد وصلوا إلى قصر مصطلح الببليوجرافيا على مجرد الدراسة النظرية والتطبيقية للببليوجرافيات وخطوات إعدادها بتأثير من زملائهم الألمان فالمؤرخون الألمان الذين كان لهم قدر كبير فى فرنسا بسبب نشاطهم الببليوجرافى كانوا دائما يفهمون الببليوجرافيا فى معناها الضيق وربما المعنى الأضيق.

وعندما خرج هؤلاء الباحثون الفرنسيون بمفهومهم عن الببليوجرافيا كانوا غير مفهومين جزئيا من جانب زملائهم فقد كتب لانجلوا أنه حتى فى سنة ١٨٩٤ عندما بدأ تدريس الببليوجرافيا فى السوربون لم يكن أحد يعرف ماذا تعنى الببليوجرافيا التاريخية حقيقة، فالكثيرون فكروا ـ كما كتب فى مقدمة دليله(٤٦٤) ـ «أن تدريس الببليوجرافيا التاريخية يعنى معرفة أحسن الكتب المنشورة عن الفترات الرئيسية والقضايا الأساسية للتاريخ العام» ولم يكن هؤلاء الناس على خطأ كلية فالببليوجرافيا التاريخية تعنى **معرفة الكتب فى التاريخ**. ومع ذلك فإنهم تجاوزوا عن ذلك، عن المعرفة البسيطة للكتب، وطوروا معرفة الكتب من الدرجة الثانية، معرفة قوائم الكتب، أى معرفة المصادر الببليوجرافية.

ولكن اثنين من البلجيكيين وهما يوجين لامير و تشارلز سوريىEugéne Lameere, Charles Sury اتفقا تماما مع زملائهم الفرنسيين وخاصة جراند فى مفهومهم الجديد للببليوجرافيا. وقد كلفا من قبل المعهد الدولى للببليوجرافيا بتقديم مشروع لإنشاء مدرسة للكتاب فى بروكسل.(٤٦٥) وقد اقترح أن تغطى مناهج هذه المدرسة المجالات الآتية:

I ـ النشر.

II ـ تجارة الكتب.

III ـ علم الكتاب.

١ ـ تاريخ الكتاب.

٢ ـ الببليوجرافيا.

أ ـ النظرية الببليوجرافية، تاريخها، قواعد الوصف والتنظيم. . .

ب ـ الإنتاج الفكرى الببليوجرافى.

٣ ـ اقتصاديات المكتبات (علم المكتبات).

وبينما ادخر لانجلوا تعبير ببليولوجيا لتاريخ الكتب فإن البلجيكيين ـ احتذاء لمواطنهما نمورّ أرادا أن يضما كل شئ عن الكتب والمكتبات فى الببليوجرافيا بمعناها الواسع. ومن جهة ثانية فإنهما لم يقصرا الببليوجرافيا على معناها الضيق ـ وعلى العكس من لانجلوا مرة ثانية ـ لمعرفة المصادر الببليوجرافية أدرجا مثل جراند نظرية وتاريخ الببليوجرافيا (تسجيل المطبوعات) أيضا. وهنا نجد لامير وسريى يذهبان خطوة أبعد من جراند ويحددان الخطوط الرئيسية فى ذلك[٤٦٦] مما جعلهما يشجعان الإشارة إليهما فى المصادر الحديثة ولكن لا أحد يذكرهما.

ورغم (أو بسبب) دعم المعهد الدولى للببليوجرافيا فإن المفهوم الضيق للببليوجرافيا لم يقبل فى الحال. فحتى آخر لحظة ظل مورتيه Mortet يدرس الببليوجرافيا بالمعنى الواسع القديم فى مدرسة الوثائق بل إنه فى سنواته الأخيرة خصص وقتا أكثر لتاريخ الكتب أكثر مما كان يفعل فى البداية وعندما كان يتحدث فى سنة ١٩٢٠ عن ذكرياته الماضية أعلن «أن أهدافه كانت أن يحتل تاريخ الكتاب المكانة اللائقة التى يستحقها فى مقرر الببليوجرافيا الذى يدرس فى مدرسة الوثائق». [٤٦٧] ولا ندرى إن كان مورتيه قد توسع فى تاريخ الكتاب على حساب نظرية تسجيل الكتب. لقد كان هناك خطر أن الببليوجرافيا فى معناها الضيق كانت جزءا من الببليوجرافيا فى معناها الواسع وبنفس الاسم. وهنا كانت تكمن المشكلة الكبرى ولم تكن المشكلة مجرد مشكلة مصطلح ولكن مشكلة الاستخدام المزدوج له مرة بالمعنى الضيق ومرة أخرى بالمعنى الواسع. ولو أن مجالات المعرفة التى تكون **علم أمين المكتبة** لم تجمع معاً تحت مصطلح ببليوجرافيا وإذا اقتصر المصطلح على **دراسة قوائم الكتب** لأصبح هذا الأخير مجالاً قائما بذاته شأنه فى ذلك شأن علم الكتاب، علم المكتبات، علم

الكتابة. . . وهو الاتجاه الذى برز فى القرن العشرين وربما كان هذا هو ما دفع لانجلوا وستاين إلى مؤازرة تضييق الببليوجرافيا فى معناها الضيق أو الأضيق.

إن ما حدث يجب أن يعتبر وجها آخر للعملية التى بدأها مارشاند بل نوديه فكما يلاحظ المرء بدأت العملية بفصل التاريخ الفكرى عن التاريخ العام ثم فصل دراسة الكتب والمكتبات عن التاريخ الفكرى ثم الببليوجرافيا (بمعناها الضيق) عن دراسة الكتب والمكتبات أى عن الببليوجرافيا فى معناها الواسع. لقد كان هناك جدل حول وضع الببليوجرافيا (بمعناها الضيق) فى تنظيم المعرفة. إن التصنيف العشرى [العالمى] الذى أوصى به لافونتين واوتلت واجه انتقاداً عنيفا فى ألمانيا وفرنسا ولكن فى حدود علمى لم يعترض عليه أحد لأن ملفل ديوى واضعه جعل الببليوجرافيات بداية نظامه.[٤٦٨] ورغم ذلك لم يكن هناك اتفاق على مكان الببليوجرافيا فى نظام المعرفة. وقد كان هناك اتجاه لبعض الوقت أن القسم الذى يضم الببليوجرافيات وفهارس المكتبات كما فى نظام برونيه يلحق بالدراسات التاريخية.

الاستخدام الألمانى حتى ١٩١٨

المؤلفون الألمان الحاليون والذى يدرسون مفهوم الببليوجرافيا فى الوقت الحاضر غالبا ما يرجعون إلى فردريش ادولف ايبرت. هذا الرجل الذى كان أمين «مكتبة درسدن الملكية العامة» لم يكن فقط واحداً من أهم الببليوجرافيين فى عصره وإنما كان أول باحث ألمانى فى القرن التاسع عشر يشغل نفسه بنظرية وتاريخ الببليوجرافيا. ويشهد له كتابه (**المعجم الببليوجرافى العام**) والذى قدم له محرره فردريش أدولف بروكهاوس.

Friedrich Adolf Ebert: Allgemeines Bibliographisches Lexikon, Leipzig. 1821 - 1830.

بأنه بالنسبة لألمانيا مثل برونيه لفرنسا [أى أنه برونيه ألمانيا]. لقد كان تاجر الكتب القديمة الباريسى عندما يختار العناوين التى يدرجها فى «دليل أمين المكتبة

وهواة الكتب ١٨١٠، كان يضع فى اعتباره الأول رغبات جماعى الكتب ومحبيها. أما ايبرت فإنه طبقا للتقاليد الألمانية وضع معايير مبنية على التاريخ الفكرى فأدرج فقط الأعمال البحثية الهامة والتى لم تكن طبعاتها لانادرة ولاثمينة.(٤٦٩)

وفى مقدمة هذا المعجم الذى يؤكد شنيدر أنه سيبقى أعظم مصدر ألمانى فى النظرية الببليوجرافية(٤٧٠) أعلن ايبرت أن الببليوجرافيا فى «معناها الواسع» Codex Diplomaticus [هى دليل إلى مصادر التاريخ الفكرى. وهى أكثر المؤشرات ثقة على النشاط الثقافى والفكرى] وهذه العبارة كثيرا ما يستشهد بها ولكن الجزء الثانى منها أحيانا ما يساء فهمه وربما بسبب صعوبة فهمه ايبرت يعتبر الببليوجرافيا «وصفا الكتب» أى كلية قوائم للكتب،(٤٧٢) بمثابة الكشاف إلى التاريخ الفكرى. وطالما أن هذا الكشاف يعرض الانجازات الفكرية فى فروع المعرفة والآداب فى مختلف الدول وفى كل العصور فإنه يمكن أن يستخدم لقياس الإنجاز الفكرى لشعب ما فى وقت ما.(٤٧٣) وطبقا لما ذكره ايبرت فإن وصفا للكتب فى دليل بالمصادر يمكن أن يعتبر هو التاريخ الفكرى نفسه، وبالنسبة له كان هذا العمل هو «الببليوجرافياالبحتة» والتى كانت تعامل فى ألمانيا كما أشار بمرارة على أنها [خادم للبحث العلمى الخالص نفسه]. أما الببليوجرافيا التطبيقية فقد كانت شيئا مختلفا [لأن هدفها المطلق كان إرضاء أذواق جمّاعى الكتب، ندرة الكتاب وقيمته التجارية]. ولقد رفض مصطلح الببليوجرافيا التطبيقية angewendete Bibliographie الذى قدمه ايبرت لأنه كان عاما جدا ولم يعالج الأساسيات المطلوبة. وهذا النوع من الببليوجرافيات يسمى اليوم فى ألمانيا ـ bibliophil ـ وهو يشير إلى قوائم الطبعات الفاخرة الثمينة التى يسعى إليها جماعو الكتب ومحبوها. وقبله بزمن طويل عرض ستروف و ديبور للببليوجرافيا البحثية فى مقابل الببليوجرافيا التجارية. ومن قبل عرضنا لخصائص هذين النوعين من الببليوجرافيات على ضوء الببليوجرافيا الفكرية والببليوجرافيا الطباعية لأن الأخيرة تسجل المنتجات الطباعية الفاخرة والثمينة بينما الأولى تسجل الأعمال الهامة فكرياً.(٤٧٤)

وبعد أن كتب ايبرت مقدمة كتابه (المعجم الببليوجرافى العام) ١٨٢١ نشر مقاله المعنون «ببليوجرافيا Bibliographie» فى دائرة المعارف العامة للعلوم والفنون التى حررها كل من ايرش و بروبر. ليبزج، ١٨٢٣. وقد ثبت فى هذا المقال تعريفا منهجياً للمصطلح فقال «الببليوجرافيا فى معناها الواسع هو أحدث اسم للعلم الذى يعالج المعرفة الخاصة بالإنتاج الفكرى من جميع العصور والشعوب بصفة عامة مع وضع الخصائص الفردية فى الاعتبار بصفة خاصة... وهذا التعريف فيه قدر من الغموض وقد اعتبره شنيدر واسعاً جدا فى تحديد الببليوجرافيا بأنها علم الكتب[٤٧٥] Wissenschaft von den Büchern ورغم ذلك فإن الببليوجرافيا لم تكن تعنى بالنسبة لايبرت أبداً ـ كما حدث بالنسبة لأمناء المكتبات الفرنسيين ـ دراسة الكتب والمكتبات على الإطلاق.[٤٧٦] ولقد استمر الباحثون الألمان خلال القرن التاسع عشر فى استخدام مصطلح ببليوجرافيا ـ الذى أخذوه عن فرنسا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر[٤٧٧] بنفس المعنى الذى بدأ به فى فرنسا ـ أى معرفة الكتب ووصفها ـ ولكن استخدام بيحنوت وغيره، ممن درسوا علم الكتاب تحت المصطلح ببليوجرافيا لم يقلده أحد فى ألمانيا. ومع ذلك فإن ايبرت قد فهم مصطلح ببليوجرافيا على أنه معرفة الكتب ولاحظ بأسف أن الكلمة الألمانية علم الكتاب Bücherkunde رغم وضوحها تفقد وتتنازل عن أرضها للكلمة الأجنبية ومن المؤكد أنه لم يلحظ القسم الثانى من التعريف الفرنسى (وصف الكتب). ولذلك فإنه فى مقدمة معجمه كما رأينا وصف الببليوجرافيا بأنها أساساً وصف وتسجيل الكتب وفى مقال (ببليوجرافيا) فى دائرة المعارف المذكورة فرق ايبرت مرة ثانية بين الببليوجرافيا البحتة والببليوجرافيا التطبيقية فقال «إن الببليوجرافيا البحتة تتعلق بالكتب وغيرها من المنتجات الفكرية فى حد ذاتها ومهمتها الأساسية هى الكشف عما نشر منها وهذه العبارة الأخيرة تكشف عن مفهوم ايبرت للببليوجرافيا من حيث هى الكشف عما يوجد من الكتب إنها تسجل الكتب كى تعرف بها، إنها تخبر عنها بوصفها. ومن الواضح أن ايبرت كان يقصد إلى نفس المعنى عندما أعلن تعريفه للببليوجرافيا

أنها تتعلق بمعرفة السجلات المكتوبة من كل العصور والشعوب وأن معرفة الكتب إنما تبقى وتبث عن طريق وصفها.(٤٧٨) إن قائمة وصفية بالكتب إنما هى سجل بمعرفة الكتب، كيانها المادى وتجسيد لها. وفى هذا يكمن معنى المصطلح (وصف ومعرفة الكتب). وهكذا فإن ايبرت عنون تعليقاته على تطور الببليوجرافيا التجارية بعنوان: «تاريخ معرفة البضاعة الفكرية» ليبزج، ١٨٢٥:(٤٧٩)

Über die Geschichte der Literarischen Warenkunde. Leipzig, 1825.

وهو فى هذه التعلقيات لم يخرج اسكتشا تاريخيا عن معرفة الكتب ولكن عن تسجيل الكتب كمنتجات تجارية. فالمعلومات عن الكتب تسجل فى تلك القوائم وهذه المعلومات التجارية هى أساس المعرفة الفكرية. ومن جهة ثانية فإن ايبرت فى مقالته (ببليوجرافيا) قال بأن الببليوجرافيا التطبيقية «تمهد الطريق إلى النقد الببليوجرافى وهو ما أهمل حتى الآن على الأقل فى ألمانيا وهو ما نحتاج إليه عندما نصادف تاريخ نشر غير دقيق أو نفتقر إلى تاريخ النشر فى المطبوع. أو نصادف عناوين مزورة أو طبعات غير أصيلة، طبعات مزعومة أو طبعات جديدة وهى ليست كذلك، أخطاء ببليوجرافية فى المطبوعات يمكن فقط اكتشافها وتصميمها بهذه الطريقة..».

لم يقم ايبرت نظرية جديدة فى الببليوجرافيا (معرفة الكتب من خلال وصفها). بل إن مقالته لم تتعلق إلا بالببليوجرافيات وهو لم يعلن أن محتويات النظام الببليوجرافى هو معرفة قوائم الكتب ولكنه أكد على أن المحتوى الحقيقى للببليوجرافيا هو الكتب نفسها.(٤٨٠) فهل كان يعتقد أن من الأمور الواضحة بذاتها أن الباحث الذى يريد تحصيل معرفة الكتب عليه أن يشغل نفسه بالوسائل التى تقوده إلى ذلك أى قوائم الكتب وغيرها من «أدوات معرفة الكتب» كما أكد على ذلك شيلهورن.(٤٨١)

لقد كان مفهوم ايبرت للببليوجرافيا قاطعا بالنسبة للكثير من الباحثين الألمان

حتى بداية القرن العشرين.[٤٨٢] ولقد تلقى مجال الببليوجرافيا دفعة قوية مع تطور العلوم فى ألمانيا وخاصة علم التاريخ. وبينما اعتبر ايبرت فى سنة ١٨٢١ «أن الببليوجرافيا الألمانية برمتها لا تقاس بالببليوجرافيا الفرنسية رغم نقاط ضعف هذه الأخيرة»[٤٨٣] فإن الإخصائيين الفرنسيين فى الببليوجرافيا اعتبروا الألمان قوة فى هذا الحقل خلال القرن التاسع عشر باستثناء ببليوجرافيا جمع الكتب[٤٨٤] Bibliophilic bibliography.

وعلى أية حال فإن معنى وهدف العمل الببليوجرافى كان بصفة عامة ـ وليس على الإطلاق ـ معترفا به ومقدرا فى ألمانيا فقد أشار نمور فى سنة ١٨٣٤[٤٨٥] إلى أن الألمان «لأسباب معقولة يعتقدون أن الببليوجرافيا هى مفتاح التعليم كله». وفى نحو منتصف القرن برز أمين مكتبة آخر من درسدن ـ جوليوس بتزهولدت Julius Petzholdt ـ كقائد لعلم الببليوجرافيا فى ألمانيا. فقد نشر فى سنة ١٨٤١ كتابه: دليل الإنتاج الفكرى فى علم المكتبات: Anzeiger für literatur der Bibliothekswissenschaft ثم أعاد تسميته إلى «دليل الببليوجرافيا وعلم المكتبات» سنة ١٨٥١:

Anzeiger für Bibliographie und Bibliothekswissenschaft.

والذى كان يعتبر فى حينه بمثابة تقارير جارية عن الأدوات الببليوجرافية الجديدة. كما أنه فى كتابه المعنون «المكتبة الببليوجرافية» Bibliotheca Bibliographica. Leipzig, 1866. قد سجل فيه بطريقة نموذجية كل الإنتاج الفكرى فى جميع فروع الببليوجرافيا المنشور داخل ألمانيا وخارجها. وهو لم يجد نفسه فى حاجة إلى أن يشرح مفهوم الببليوجرافيا «كمعرفة الكتب من خلال وصفها وتسجيلها فى قوائم». ومن جهة ثانية فإن معجم جريم Grimm Wörterbuch لسنة ١٨٦٠ (مج٢) أدرج مداخل عن مصطلحات:

Bücherkunde, Notitia Librorum, bibliographie.

وكانت قوائم الكتب تشكل أساس هذا المجال: (٤٨٦)

فى خلال القرن التاسع عشر كان معظم الباحثين الألمان على وعى كامل بالعلاقة بين الببليوجرافيا والتاريخ الفكرى. وهذه العلاقة حددت على سبيل المثال مكان الإنتاج الفكرى المتعلق بمعرفة الكتب فى تنظيم الببليوجرافيات التى توفر على تحريرها ايرش. لقد كتب جوهان جورج كرايس مؤلف «مختصر التاريخ الفكرى العام» فى المجلد الأول سنة ١٨٣٧ :

- Johann Georg Graesse = Lehrbuch der allegmeinen Literaturgeschichte. Dresden, 1837.

«إن المرء يستفيد فائدة جمة من التاريخ الفكرى، فبالإضافة إلى معرفة الكتب وهى خطوة هامة فى اتجاه البحث العلمى فإن المرء يتعلم عن أحسن الكتب فى المجال كما يتجنب الكتب الرديئة وهذا بدوره يوفر الوقت والمال». (٤٨٧)

إن نموذج أمناء المكتبات الألمان والفرنسيين والذى حدد للتاريخ الفكرى والببليوجرافيا المكان الأول فى تصنيف المعرفة فى نهاية القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر، (٤٨٨) هذا النموذج تكرر عدة مرات ولكن فى حالات كثيرة كانت المجموعات الموسوعية توضع قبل التاريخ الفكرى، وذلك على نحو ما قام به فردريش بوهمر فى مكتبة البلدية فى فرانكفورت أم ماين (١٨٣٥)(٤٨٩) وكما فعل اندرياس شليرماخر Andreas Schleier Macher أمين مكتبة دارمشتادت فى النظام البيليوجرافى الذى وضعه بعنوان: نظام ببليوجرافى لكل العلوم Bibliographisches System der gesamten Wissenschaftskunde (برونزفيك، ١٨٥٢).

وقليلا قليلا بدأت الصلة بين التاريخ الفكرى والببليوجرافيا تضعف حتى تنعدم وقد بدأ ذلك بتغيير ترتيب الأقسام المختلفة للتاريخ الفكرى فكما نتذكر كانت هذه الأقسام ترتب فى الفهارس والببليوجرافيات طبقا لتقليد استمر ربما بسبب ايرش فى ببليوجرافياته، هذا الترتيب هو: (٤٩٠)

(١) تاريخ البحث العلمى.

(٢) تاريخ العلماء والباحثين.

(٣) تاريخ الكتب.

(٤) تاريخ المؤسسات الأكاديمية.

والقسم الثالث كان يفرع إلى عدة فروع تدور كلها حول الكتابة والكتب والمكتبات وواحد من هذه الفروع سماه ايرش الببليوجرافيا نفسها Eigentliche Bibliographie أو Eigentliche Bücherkunde والذى كان يضم قوائم الانتاج الفكرى. هذا التصنيف الذى بنى على التاريخ الفكرى القديم خرج عليه أخيرا وحطمه جوهان جورج سيزنجر أمين مكتبة متحف الجرمانيات فى نورمبرج ففى كتابه: علم المكتبات النظرى والتطبيقى. ليبزج، ١٨٦٣:

- Johann Georg Seizinger: Theorie und Praxis der Bibliothekswissens-chaft. Leipzig, 1863.

اقترح نظاما ببليوجرافيا من ٣٢ فرعاً احتل فيها **علم الفكر** الفرع التاسع والعشرين وعلم المكتبات (بما فيه صناعة الكتاب) الفرع الثلاثين أما الفرعان الأخيران ٠ الواحد والثلاثون والثانى والثلاثون) فقد خصصا للعموميات / ثم الخرائط والقطع الفنية على التوالى. ولقد أعلن سيزنجر(٤٩١) أن (علم الفكر) ينقسم إلى قسمين هما: «الببليوجرافيا والتاريخ الفكرى». وهنا أصبحت الببليوجرافيا ـ التى جاءت عند ايرش فرعا من التاريخ الفكرى ـ مستقلة بذاتها وتسبق التاريخ الفكرى. كما أعيد توريع أقسام وفروع أخرى من التاريخ الفكرى عند ايرش على مجالات مختلفة، معظمها فى الفرع الثلاثين [علم المكتبات].

أما المكتبيون الذى توفروا فى السبعينيات ١٨٧٠ على تجديد الفهرس الموضوعى الشهير لمكتبة جامعة جوتنجن الذى بدأه ماتياى فلم يكونوا أصوليين مثل سيزنجر وما زال عملهم حتى الآن له قيمة كبيرة(٤٩٢) إذ وضعوا تاريخ

الكتاب فى المكان الأول بين أقسام التاريخ الفكرى ـ الذى جاء فى المكان الثالث فى الفهرس ككل ـ بيد أنهم لم يغيروا ترتيب فروعه. وقد جاء تاريخ الكتاب متمشيا مع المفهوم الفرنسى للببليوجرافيا بمعناها الواسع ومن ثم ضم أيضا الببليوجرافيا بمفهومها الضيق. بينما (التاريخ الفكرى) الذى وضعه ماتياى فى نهاية نظامه ظل لمدة قرن تقريبا يشكل أول شعبه فى المعرفة.(٤٩٣) وعند تحديد النظام وضع التاريخ الفكرى ـ احتذاءً لنظام شليرماشر وغيره ـ بعد الأعمال العامة والموسوعية مباشرة. ومن ثم فقد كانت هناك شعبة (دوائر المعارف وما شابهها ـ Encyclia) أولاً ثم يعدها التاريخ الفكرى Historia Litteraria ـ التى بدأت بتاريخ الكتاب [ويضم كتباً عن الكتب ـ الأدوات الببليوجرافية ـ علم المكتبات] وبعد تاريخ الكتاب جاء التاريخ الفكرى العام. وكان ذلك بداية تكوين القسم العام فى التصنيف منفصلاً عن (**التاريخ الفكرى**) والذى يضم **الكتب عن الكتب، والمكتبات ومعرفة الكتب** وتتمشى مع المفهوم الفرنسى للببليوجرافيا بمعناها الواسع. ولقد عرضنا من قبل للعملية الفرنسية التى بمقتضاها تم فصل التاريخ الفكرى عن التاريخ العام ثم اقتطاع دراسة الكتب والمكتبات من التاريخ الفكرى وأخيرا سلخ الببليوجرافيا عن دراسة الكتب والمكتبات لتصبح هذه الأخيرة مجالا قائماً بذاته.(٤٩٤)

لقد فعل معدو الفهرس الموضوعى لمكتبة الجامعة فى هالى Halle (وهو النظام الذى نشره اوتو هارتفج Otto Hartwig فى ليبزج سنة ١٨٨٨). نفس الشئ عندما وضعوا تاريخ الكتاب أو بمعنى أدق التاريخ الفكرى للكتاب Litteraria Librorum كما يصر على تسميته أمناء مكتبات جوتنجن ـ قبل التاريخ الفكرى العام ـ Historia Litteraria Universalis وقد تمت تسميته وتفريع القسم الأول وأكبر الأقسام فيه ـ أى فى الفهرس الموضوعى لمكتبة جامعة هالى ـ على النحو الآتى: ـ(٤٩٥)

أ ـ معرفة الكتب والأعمال العامة.

أ ـ علم المكتبات.

ب ـ الببليوجرافيا.

جـ ـ الطباعة وتجارة الكتب.

د ـ التعليم وتاريخ المعرفة.

هـ ـ تاريخ ومطبوعات الأكاديميات والجمعيات العلمية.

و ـ المطبوعات ذات الطبيعة العامة، الدوريات، دوائر المعارف.

وكما نرى فإنه فى فهرس هالى على عكس فهرس جوتنجن أعيد ترتيب الفرعين الأول والثالث من فروع «تاريخ الكتاب» القديم بحيث جاء علم المكتبات (بمفهومه الحقيقى إدارة المكتبات) فى بداية التقسيم.

إن تسمية أول أكبر الأقسام باسم (معرفة الكتب) والذى ضم التاريخ الفكرى كان أمراً غير عادى وكان هارتفج واعيا لذلك تماماً.[٤٩٦] وثانى فروع هذا القسم هو (الببليوجرافيا) ويفهم منه أنه خاص (بقوائم الكتب ـ الببليوجرافيات)[٤٩٧] طالما أن مؤلف النظام لم يكن ليعطى اسم القسم الكبير نفسه لفرع من هذا القسم أيضاً. ولنفترض أن هارتفج ـ خلافا للاستخدام الشائع ـ أراد أن يفهم مصطلح Bücherkunde بمعناه العام.[٤٩٨] وربما كان متأثرا فى ذلك بسابقه دنيس فى عمله العظيم **مقدمة فى معرفة الكتب** الذى سبقت الإشارة إليه مراراً من قبل وهو نفس العمل الذى حفز بيجنوت إلى توسيع مفهومه عن الببليوجرافيا. لقد تضمن مفهوم دنيس عن معرفة الكتب كذلك (التاريخ الفكرى) نفسه إضافة إلى دراسة الكتب والمكتبات. ولقد غطى مفهوم هارتفج نفس المساحة تقريباً. وبمحض الصدفة فى السنة نفسها التى استخدم فيها هارتفج المصطلح Bücherkunde بمعناه الواسع استخدم جراند مصطلح ببليوجرافيا لأول مرة بمعناها الأضيق الذى يقتصر على نظرية تسجيل الكتب ودراسة القوائم التى تحصرها.[٤٩٩] ولقد وجد نظام هارتفج تقديرا واسعاً واقتبسه كثير من أمناء المكتبات الناطقين بالألمانية رغم أن مصطلح Bücherkunde الذى أطلقه هارتفج على القسم الأول الذى يضم كل ما يتعلق بالتاريخ الفكرى لم يلق قبولاً عاماً.[٥٠٠]

من جهة أخرى فإن فردريش جوهان كليميير الذى عالج الكتب والمكتبات ومعرفة الكتب فى كتابه «دليل الببليوجرافيا» فيينا، سنة ١٩٠٣ لم يكن موفقاً فى استخدام مصطلح ببليوجرافيا بمعناه الفرنسى الواسع(٥٠١): ـ

Friedrich Johann Kleemeier: Handbuch der Bibliographie. Vienna, 1903.

فقد استقرت مفاهيم الببليوجرافيا ومعرفة الكتب فى الاستخدام الألمانى منذ فترة قبل ذلك التاريخ.

وفى خلال الربع الأول من القرن العشرين أصبح من العادى أن تجمع تحت اسم علم المكتبات Bibliothekswissenschaft كل الفروع والموضوعات التى كان يشتمل عليها (التاريخ الفكرى للكتاب) فى الفهرس الموضوعى لجامعة جوتنجن والتى يشتمل عليها المفهوم الفرنسى الواسع للببليوجرافيا. وكان أول شخص يستخدم هذا المصطلح ـ الذى كان يكتب حتى اربعينيات القرن التاسع عشر بدون الحرف الرابط (s) Bibliothek (s) wissenschaft. ـ كان هو مارتين شريتنجر Martin Schrettinger فى كتابه (الملخص الكامل لعلم المكتبات):

- Martin Schrettinger: Versuch eines vollständigen Lehrbuches der Bibliothek - Wissenschaft. Munich, 1808 - 1829.

وقد استخدم شريتنجر المصطلح ليعبر به عن مصطلح إدارة المكتبات. كما أن ايبرت أيضا الذى كتب مقالة «علم المكتبات» **لدائرة المعارف العامة فى العلوم والفنون** التى حررها كل من ايرش و جروبر (ليبزج ١٨٢٣) طبق هذا المصطلح على تأسيس وإدارة المكتبات فقط. ولقد وافق كل أمناء المكتبات الألمان تقريبا على هذا المفهوم حتى فى العقد الأول من القرن العشرين. وقد شرح ارمين جرايزل فى كتابه العظيم «دليل تعليم المكتبات» الذى كان يدرسه معظم أمناء المكتبات فى الداخل والخارج أن نظرية تأسيس و إدارة المكتبات (التى أطلق عليها Arnim Graesel = Handbuch der Bibliothekslehre. Leipzig, 1902.

جوليوس بتزهولدت (علم المكتبات) تكون النصف الأول من علم المكتبات ومعرفة المكتبات بينما (تاريخ وإحصائيات المكتبات Bibliothekskunde) تكون النصف الثاني.

باحث ألماني واحد هو الذى استخدم مصطلح علم المكتبات بمعناه الحديث فى النصف الأول من القرن التاسع عشر فقد نشر جوهان اوجست فردرش شميدت - وهو شماس فى إلمناو سنة ١٨٤٠ بمدينة فيمار كتاباً بنى أساساً على إنتاج فكرى ألمانى فرنسى فى هذا الموضوع بعنوان: **دليل علم المكتبات: معرفة الإنتاج الفكرى والكتب»**.

- Johann August Friedrich Schmidt: Handbuch der Bibliothekswissenschaft, der Literatur - und Bücherkunde. Weimar, 1840.

وكان عنوانه الفرعى أولا هو: «مسح مركز لعلم الكتابة، الطباعة وتجارة الكتب، معرفة الكتب (الببليوجرافيا) بمعناها الضيق، معرفة المكتبات واقتصاديات المكتبات، وكتابات التاريخ الفكرى والببليوجرافيا.»

Eine gedrängte Übersicht der Handschriftenkunde, der Geschichte der Buchdruckerkunst and des Buchhandels, der Bücherkenntnis (Bibliographie) im engeren Sinne, der Bibliothekenkunde und Bibliothekonomie und der literärhistorischen und bibliographischen Schriften).

إن المجال الذى أطلق عليه شميدت (علم المكتبات) جاء طبق الأصل لقسم (التاريخ الفكرى) والذى كان يسمى من قبل (تاريخ الكتاب) أو (تاريخ علم الكتاب) فى تصنيف ماتياى، وشوتز و ايرش. وهو ما يتجاوب مع مفهوم الببليوجرافيا بمعناها الواسع إلى حد كبير والذى اعتبر فى فرنسا وبلجيكا (حيث التاريخ الفكرى كان من مستلزمات أمين المكتبة) علم أمين المكتبة خاصة.[٥٠٣] وبعد أن أشار شميدت فى مقدمته إلى العلاقة بين الببليوجرافيا والتاريخ الفكرى (والتى لم يعالجها فى كتابه)،[٥٠٤] شرح كيف أن الببليوجرافيا أو معرفة الكتب

تعتبر الجزء الأساسى من علم المكتبات فهذا الأخير فى معناه الواسع لا يمكن أن يقصر نفسه على مجرد إنشاء وتنظيم مكتبة أو مجموعة من الكتب بل يجب أن يمتد إلى دراسة مفردات هذه المجموعة نفسها ومن ثم يقدم المعلومات عن الكتب وقيمتها العلمية بالذات.

ولقد فرق شميدت بين الببليوجرافيا العامة والخاصة أو معرفة الكتب فالأولى تتجاوب مع الببليوجرافيا الحديث، بينما الأخيرة تتجاوب مع الببليوجرافيا الحديثة ـ وهناك مصطلح آخر يظهر فى القسم الأخير من كتابه وهو معرفة الإنتاج الفكرى ـ Literaturkunde ـ وشميدت لم يشرح هذا المصطلح ولكن يفهم من السياق أنه يعنى به معرفة مصادر التاريخ الفكرى والببليوجرافيا إذ أدرج تلك المصادر فى هذا القسم، ففيه وعلى مدى ١٣٧ صفحة من مجموع ٤٥٥ صفحة قدم قائمة رائعة بالأعمال المتعلقة بتاريخ العلوم والبحث الدولية والوطنية والعامة والموضوعية. ولقد حذف الكتب التى تهتم بتاريخ علم من العلوم والتى يمكن أن توجد فى مصادر أخرى. وعمله هذا يختلف مع جوهان جورج ميزلJohann Georg Meusel مؤلف كتاب عام فى التاريخ الفكرى أنذاك،[٥٠٥] جمع فيه حصرا ضافيا بالإنتاج الفكرى فى المجال بدأه بالأعمال الخاصة بالتاريخ الفكرى وبعد الأعمال المتعلقة بمعرفة الكتب. وقد وزع شميدت هذين النوعين على الأقسام المختلفة فى كتابه. وهكذا فإن ببليوجرافيات الكتب المنشورة فى ألمانيا تتبع الأعمال المتعلقة بتاريخ العلوم والبحث العلمى والإنتاج الفكرى الألمانى وتراجم المؤلفين والباحثين الألمان. والعلاقة بين التاريخ الفكرى والببليوجرافيا التى ركز عليها أخصائيو الموضوعات الألمان تتضح **تماما** هنا. كما استخدم شميدت هنا مصطلح معرفة الإنتاج الفكرى Literaturkunde فى عنوان كتابه. ومع كل هذا فقد اعتبر الببليوجرافيا كأكبر قسم فى علم المكتبات ووضع معرفة الإنتاج الفكرى مع معرفة الكتب (أى علم الكتاب) جنبا إلى جنب مع علم المكتبات.

إن توسيع شميدت لمفهوم علم المكتبات لم يلق قبولاً واسعاً من معاصريه. وقد مر أكثر من نصف قرن ولم يردد أحد تلك التجربة ففى سنة ١٨٩٦ قام

فرديناند ايشلر Ferdinand Eichler وهو أمين مكتبة شاب نمسوى فى مكتبة جامعة جراز Graz بتعريف علـم المكتبات على النحوالذى قال به شميدت حيث نص على أنه: علم المكتبات هو تقصى الآثار الفكرية وبحث ما فيها من معلومات والرجوع إلى أساسياتها وأصولها وبث معلوماتها وتحقيق الاستفادة منها». وهذا التعريف لا يعكس فكرة المؤلف، فما أراد أن يقوله كان ببساطة هو ما قال شميدت الذى كان كتابه قد نشر وعرفه ايشلر. فقد اعتبر أن كل ما يلزم أمين المكتبة أن يعرفه من مجالات نظرية وعملية بما فى ذلك الببليوجرافيا بمعناها الضيق يجب أن يضم تحت موضوع (علـم الكتاب والمكتبات) أو (علم المكتبات) فقط. Buch - Und Bibliothekswissenschaft or Bibliothekswissenschaft ومن سوء الحظ أن ايشلر لم يذكر أن آخرين قبله على رأسهم ماتياى، شوتز، ايرش قد جمعوا هذه الموضوعات معاً تحت مجال (تاريخ الكتب) Historia Librorum or Geschichte des Bücherwesens. وطوال قرن كامل كانت هذه الموضوعات تشكل وحدة واحدة فى فرنسا والدول التى حذت حذوها. فمفهومه عن علم المكتبات يتجاوب ـ مثل شميدت ـ مع الببليوجرافيا بمعناها الواسع والتى اعتبرت فى فرنسا علم أمين المكتبة. ويدخل فيه أيضا فى مفهوم شميدت تاريخ العلوم والإنتاج الفكرى. وهذا هو ما فرق المفهوم الفرنسى للببليوجرافيا عن معرفة الكتب Bücherkunde التى اعتنقها هارتفج والتى يضم كل (**التاريخ الفكرى**).

وبعد بعض المقاومة فى البداية قبل الإخصائيون الألمان توسيع مفهوم علم المكتبات على النحو الذى أراده ايشلر. ويخرج عن نطاق هذا البحث دراسة الأسباب التى أدت إلى قبول اقتراح أمين مكتبة جامعة جراز (ايشلر) وخاصة أن الفترة الزمنية التى قُبل فيها مفهومه الواسع تقع خارج حدود الفترة التى يغطيها هذا الفصل.

الاستخدام الألمانى منذ ١٩١٩

تسببت الحربان العالميتان فى بروز حاجات جديدة إلى المعلومات لدى المجتمعات وازدادت هذه الحاجات بعد الحرب الثانية ازدياداً كبيرا فى نفس الوقت الذى زادت فيه أعداد المطبوعات التى تنشر يوميا فى السوق. ولقد تضاعفت الببليوجرافيات بالتالى مما أدى إلى زيادة الاحتياج إلى ببليوجرافيات الببليوجرافيات. بيد أن قلة من الناس هم الذين يستطيعون متابعة الببليوجرافيات عندما تظهر ويستفيدون منها كما أن غالبية الناس الراغبين فى المطبوعات الجديدة لا يمكنهم متابعتها. وكلما كان الناس أقل قدرة على معرفة الكتب الجديدة، كلما لجأوا إلى المكتبات العامة ليعرفوا منها الجديد من المطبوعات وما يهمهم منها. وحتى لا تخيب تطلعاتهم فإن تلك المكتبات تعين الأفراد المدربين على استخدام الببليوجرافيات فى كل مجالات المعرفة البشرية.

لقد تقدمت عملية الإعداد المهنى لأمناء المكتبات فى هذه الفترة فى كثير من الدول بعد أن أهملت طويلاً. فنظمت الدورات التدريبية، وأقيمت المدارس ووضعت المناهج ورتبت الامتحانات ومنذ البداية كانت الببليوجرافيا المجال الأساسى فى عملية الإعداد.[٤٠٧] ومهما كانت حدود هذا المقرر فإن هذا المقرر كان يشتمل على دراسة المصادر الببليوجرافية، وأيا كانت طريقة تدريس الببليوجرافيا فإن الكتب المقررة والأدلة الببليوجرافية كانت تنشر للمساعدة فى عملية الإعداد المهنى لأمناء المكتبات وتطبيقاتهم العملية.

من جهة أخرى ولأسباب مشابهة رأى تجار الكتب أن من واجبهم أن يتعرفوا على الببليوجرافيات الهامة. ولذلك أدخل تجار الكتب الألمان مقرراً أو أكثر فى المدارس التى تعد تجار الكتب فى ليبزج وفرانكفورت أم ماين ومقررات تجارة الكتب فى المدارس التجارية العادية ووضعت لذلك مخططات علم الببليوجرافيا التى تدرس فى تلك المدارس.

وكان لمؤلفى الكتب الدراسية والأدلة فى مجال الببليوجرافيا تأثيرها الواضح فى تطوير النظرية الببليوجرافية ومصطلحاتها. وكان أهم مؤلفى الببليوجرافيا فى

ألمانيا فى الفترة المدروسة هو جورج شنيدر وكان أمين مكتبة الدولة البروسية فى برلين. وقد نشر كتابه «**دليل الببليوجرافيا**» لأول مرة سنة ١٩٢٣ فى ليبزج.

- Georg Schneider: Handbuch des Bibliographie. Leipzig, 1923.

وقد اشتمل هذا الكتاب على قسم نظرى وتاريخى وببليوجرافيا بالببليوجرافيات. فى القسم الأول بعد تحديد المصادر وعرضها (الفصل الأول) ناقش شنيدر طبيعة الببليوجرافيا (فصل ٢)، ثم أسماء وأشكال وفئات القوائم الببليوجرافية (فصل ٣)، إعداد القوائم (فصل ٥). أما القسم الثانى فهو مسح نقدى تحليلى لأهم الببليوجرافيات والمصادر الببليوجرافية.[٥٠٨]

وكان هذا الكتاب هو أول عمل يربط النظرية الببليوجرافية مع قائمة منهجية بالببليوجرافيات العامة. ولقد نظر إلى كتاب شنيدر على أنه إضافة هامة ولذلك شهد عدة طبعات ألمانية وترجمة إلى الإنجليزية.

ولقد عرف شنيدر الببليوجرافيا على أنها دراسة سجلات الإنتاج الفكرى.[٥٠٩] وطالما أنها عموما تسمى ببليوجرافيات كان من الممكن أن يقول بأنها دراسة الببليوجرافيات. ولقد استخدم مصطلح ببليوجرافيا بمعناه التقليدى أى وصف الكتب (تسجيل الكتب). وعلى سبيل المثال عندما تكلم عن طبيعة وتاريخ الببليوجرافيا. كما حدث عندما ناقش مفهوم الببليوجرافيا كموضوع للتعليم انصرف إلى المعنى الواسع أى دراسة الكتب والمكتبات ولكنه لم يشر إلى أن ذلك المعنى الواسع نادراً ما حدث فى ألمانيا ولكنه كان منتشراً فى فرنسا والدول التى تبنت المفهوم الفرنسى. وعرض **للببليوجرافيا** فى مفهومها الواسع فى مقابل دراسة قوائم المطبوعات أى الببليوجرافيا فى مفهومها الأضيق.

إن مفهوم شنيدر للببليوجرافيا يتضمن:

(١) نظرية قوائم الكتب وتسجيل الكتب معاً (القسم الأول من دليله).

(٢) معلومات عن قوائم الكتب أى وصف الكتب (القسم الثانى).

والاسم الذى أطلقه على المجال كله «دراسة قوائم المطبوعات» ربما يقود المرء إلى إستنتاج أن وصف قوائم المطبوعات (ببليوجرافيا الببليوجرافيات) هو مجرد ملحق. ولكن ليست هذه فكرة المؤلف. لقد جاء النصف الثانى والوصفى من كتاب شنيدر أكبر كثيرا من القسم الأول حتى فى الطبعات الأولى الثلاثة التى لم تُخضع للتحرير.[٥١٠] أما الطبعة الرابعة (ليبزج ١٩٣٠) فقد تضمنت فقط إلى جانب تاريخ الببليوجرافيا: قائمة موسعة كثيرا بالقوائم الببليوجرافية. أما القسم النظرى فقد أعيدت صياغته ونشر مستقلاً تحت عنوان:

- Einführung in die Bibliographie. Leipzig, 1936.

إن ترتيب الطبعة الأولى يعكس تنظيم الببليوجرافيا نفسها. ومثل كثير من المجالات الأخرى تنطوى الببليوجرافيا على قمسين لهما نفس القدر من الأهمية: جانب عام أو نظرى (يعرض ماهية الموضوع)، وجانب خاص أو منهجى (يسجل المفردات أو المكونات).[٥١١]

ولا يزعم شنيدر أنه أول من قصر مفهوم الببليوجرافيا على نظرية قوائم الإنتاج الفكرى وتسجيل المفردات. ولكنه لم تصل لنا أيضا من قال بذلك المفهوم قبله. ولكنه فقط أشار[٥١٢]: «الببليوجرافيا بالمعنى الضيق فصلت عن هذه [الببليوجرافيا بمعناها الواسع] وعبر عنها **بنظرية قوائم الكتب** أو بمعنى أدق المطبوعات «وربما كان يشير بذلك إلى المختصين الفرنسيين الذين حددوا مفهوم الببليوجرافيا فى مدرسة الوثائق التى كانت تدرس الببليوجرافيا وعلم المكتبات.[٥١٣] كما أنه فند التناقضات والمبالغات التى رآها فى كتابات لانجلوا، ستاين، جراند.[٥١٤] وخاصة إذا فهمت الببليوجرافيا على أنها (دراسة قوائم الإنتاج الفكرى) وهو ما فعله المفكرون الفرنسيون. ولعل الهجوم العنيف من جانب شنيدر على توسيع مفهوم الببليوجرافيا الذى كان شائعا فى فرنسا وليس فى ألمانيا يكشف عن أصول تعريفه، فهو يتجاوب مع تفسير لانجلوا

«الببليوجرافيا بمعناها الضيق هى ذلك الجزء من علم الكتب الذى يتعلق فقط بقوائم الكتب». [٥١٥]

لقد تأثر المؤلفون الألمان الذين كتبوا فى نظرية الببليوجرافيا بعد شنيدر به بطريقة أو بأخرى بل إن بعضهم اعتمد عليه فكيف كان ذلك؟ لقد كان هناك اتفاق على أن الببليوجرافيا تعنى ثلاثة أشياء:

(١) وصف الكتب أو تسجيل المطبوعات كنشاط.

(٢) ثمرة أو ناتج هذا الوصف أى القوائم الفردية بالمطبوعات والقوائم المجموعة بالمطبوعات.

(٣) المجال التعليمى المتعلق بتسجيل المطبوعات وقوائم المطبوعات عموما. أو أية قائمة على حدة وخاصة القوائم الهامة جدا. [٥١٦]

ومع كل هذا لم يحرص كل المؤلفين على توضيح أن المجال يتألف من جانب نظرى وآخر منهجى. كما أنه فى كلام شنيدر لابد وأن نتوقف أمام **النظرية الفعلية** لقوائم الإنتاج الفكرى بعامة **والمعلومات عن القوائم الفردية**. ونتوقف كذلك أمام حقيقة أن المعلومات عن تلك القوائم تشكل الفحوى الأساسية للتعليم الشفوى والتحريرى فى الببليوجرافيا. إذا يحرص مؤلفو كل الكتب الدراسية الحديثة فى المجال على تحليل أهم الببليوجرافيات فى كتبهم ومن هنا تعتبر كتبهم إلى حد ما ببليوجرافيا بالببليوجرافيات. كما أن حصر الببليوجرافيات الفردية عادة ما يُسبق بمقدمة مختصرة تناقش طبيعة وتاريخ تسجيل المطبوعات وفئات وأشكال الببليوجرافيات وتنظيمها. ومعظم الكتب التى تتعرض بإيجاز لخطوات إعداد الببليوجرافيات[٥١٧] تخصص عدة فصول لهذا مثل جراند وستاين (رغم أن لانجلوا كان له رأى مخالف). [٥١٨]

وليس من الصعب شرح هذا الأمر ففى عرض ونقد لكتاب شنيدر اعترض جورج لى Georg Leyh على الجزء الأكبر المتعلق بخطوات إعداد القوائم

الببليوجرافية ورأى أن نظرية الفهرسة هى التى تتعلق بمبادئ وطرق إدخال وترتيب المفردات.(٥١٩) ومؤخرا اتخذ فورستيوس ـ Vorstius ـ نفس الرأى(٥٢٠). وهذا النقد كانت له وجاهته، فالمشكلات التى يواجهها المفهرسون والببليوجرافيون واحدة بصرف النظر عما إذا كانت المداخل ترتب هجائيا أو مصنفا والمبادئ التى ترسى للمفهرسين لا ينبغى تكرارها أو نقضها بالنسبة للببليوجرافيين. وإذا وضعنا هذه الآراء فى الاعتبار فإن الجزء النظرى فى الببليوجرافيا ينكمش والجزء المنهجى (العملى) يزداد.

والمؤلف الوحيد الذى وضع هذه الحقيقة فى اعتباره عند تعريف الببليوجرافيا كان هو فيلهلم كراب زميل شنيدر فى مكتبة بروسيا الوطنية فقد أعلن فى كتابه الدراسى العام عن الببليوجرافيا أن مهمة الببليوجرافيا هى أن تصف **القوائم** الخاصة بالمطبوعات. Wilhelm Krabbe = Bibliographie - وتنظمها (تصنفها) طبقا لأنواعها.(٥٢١) ولم يقل بأن وصف القوائم الفردية يجب أن يسبق بمقدمة عامة ويدل السياق على أنه يرى أنه ليس من مجال الببليوجرافيا تعليم خطوات إعداد القوائم الببليوجرافية.

وفى رد فعله إزاء انتقادات لى Leyh و فورستيوس ناقش شنيدر هذه المشكلة بإيجاز فى المقال الذى كتبه فى الكتاب المحرر (دليل علم المكتبات) بعنوان: نظرية وتاريخ الببليوجرافيا:

Theorie und Geschichte der Bibliographie in Handbuch der Bibliothekswissenschaft edt. by Fritz Milkan. Leipzig. 1931.

وقد قدم فيه نظرية عامة لقوائم المطبوعات وقد أدرج عدداً من القوائم الفردية كنماذج فى نهاية بحثه.(٥٢٢) وعندما قام هانز فندمان Hans Windmann ـ وكان نائب مدير مكتبة جامعة توبنجن ـ بمراجعة وتوسيع مقال شنيدر فى الطبعة الثانية من دليل **علم المكتبات** اختصر عنوان المقال إلى (Bibliographie) فقط وقسمه إلى قمسين: **نظرى** سريع نسبياً ومنهجى (حصر) طويل.(٥٢٣) ونتيجة لذلك جاء التركيز

مرة أخرى على مفردات البيليوجرافيات. وعلى نقيض شنيدر، أراد فندمان للببليوجرافيا أن تفهم ليس على أنها نظرية قوائم المطبوعات ولكن على أساس أنها معلومات عنها ونظرية إعداده، ولكنه عالج هذه الأخيرة بسرعة.

والحقيقة أننى لا أرى فارقا كبيرا بين النظرية والمعلومات عن أى موضوع ولا اعتراض لى إذا أطلق أحد المؤلفين اسم (نظرية) على مجال يتألف من جزء نظرى صغير وجزء عملى كبير(٥٢٤) ولكن من يريد أن يعرف الببليوجرافيا على أنها نظرية قوائم الانتاج الفكرى يجب أن يشير كذلك إلى أنها تشتمل على معلومات عن كثير أو معظم الببليوجرافيات الفردية حتى ولو كانت تلك المعلومات تشكل القسم الأكبر من المجال.(٥٢٥)

إذا استعرضنا كل ما سبق يدرك المرء أنه فى قلب الببليوجرافيا حتى اليوم مازال يعيش التاريخ الفكرى (معرفة الكتب بطريقة خاصة) كما كانت تدرس فى المانيا منذ منتصف القرن السابع عشر . حقا إنه حتى الاختصاصيون ـ باستثناء قلة منهم ـ لم يعودوا واعين بذلك . لقد اتبع شنيدر كلا من جراند، ستاين، وقيل الجميع لانجلوا فى التعريف الذى ذهب إليه.(٥٢٦) وهو مثلهم أراد أن يدخر المصطلح ببليوجرافيا لنظرية (أو المعلومات عن) القوائم وهو مثلهم يرى ألا يسمى علم الكتاب Bibliology أو علم المكتبات بالببليوجرافيا. وقام لانجلوا بعرض الببليوجرافيا فى معناها الأضيق × مقابل الببلوجرافيا بمعناها الواسع. وهذه الأخيرة كانت تعتبر قياسية لأنها كانت تدرس فى مدرسة الوثائق. أما فى ألمانيا فكان من النادر أن يطلق على علم المكتبات أو علم الكتاب اسم الببليوجرافيا. فقد كان للمصطلح هناك مفهوم ضيق جداً. ولقد كان شنيدر مهتما بدحض توسيع مفهوم المصطلح والذى شاع خارج ألمانيا ولذلك لم يجد وقتا للوقوف أمام المفهوم الذى استخدمه أسلافه الألمان.

فبعد أن دخل مصطلح Bibliographie الفرنسى إلى ألمانيا وتبناه من تبناه حتى شاع، كان مفهومه القياسى هو (معرفة الكتب ووصفها). واتباعا للألمانى ايبرت اعتنق الببليوجرافيون الألمان مفهوم (معرفة الكتب) الذى شكل الجانب الأكبر من قسم (الببليوجرافيا) أو (معرفة الكتاب Bücherkunde) الذى جاء فى الفهارس

والببليوجرافيات الألمانية، أى الببليوجرافيات وغيرها من الأدوات المعينة لمعرفة الكتب والتى أطلق عليها بتزهولدت (أدبيات الإنتاج الفكرى فى الببليوجرافيا). (٥٢٧) ومعرفة هذه الأدوات كانت تدرس كموضوع مستقل فى الجامعات الألمانية والكليات حتى مطلع القرن التاسع عشر. ولم يفرق الأساتذة الذين درسوا هذه المقررات بين معرفة الكتب بالمعنى الخاص (من الدرجة الثانية كما يحلو لنا أن نسميها لافتقارنا إلى مصطلح أحسن) وبين المعنى العام. ولم يشر ايبرت إلى أن الببليوجرافيا كعلم ـ وقد اعتبرها علما ـ كانت تتعلق بمعرفة الكتب نفسها فقط ولكن أيضا وعلى وجه الخصوص بالأدوات التى تحقق هذه المعرفة. ولقد كان هناك افتقار إلى تعريف مركز ومصطلح دقيق للببليوجرافيا فى ألمانيا. هذا الافتقار تناقص إلى حد كبير بعد أن قال شنيدر بأن نظرية ومعلومات القوائم هى الببليوجرافيا لأنه بهذه الطريقة فإن معرفة الكتب من الدرجة الثانية حددت وأعطيت اسماً. وأصبح المرء قادراً على تعريف الببليوجرافيا بدرجة دقيقة (تعريفا جامعاً مانعا) إذا قلنا بما قاله لانجلوا «بأن الببليوجرافيا جزء من معرفة الكتب. إنها معلومات عن تلك الكتب (الأدوات، القوائم) التى تحمل معلومات عن الكتب الأخرى، أى معرفة قوائم المطبوعات وغيرها من الأدوات المعينة فى الحصول على معرفة الكتب. (٥٢٨) وللتعبير عن ذلك ببساطة وسحبها على كل الانتاج الفكرى يمكن القول بأن الببليوجرافيا هى جزء من معرفة الانتاج الفكرى والذى يضم الأدوات الموصلة إليه وخاصة قوائم الانتاج.»

ولسوء الحظ لم تستغل هذه الامكانية بالقدر الكافى. ذلك أن شنيدر لم يضع الببليوجرافيا ـ ببليوجرافيته ـ فى علاقتها مع معرفة الكتب. وهو لم يعالج معرفة الكتب كموضوع للتعليم والتدريس ولم يذكر حتى أن معرفة الكتب هى المرادف الألمانى للببليوجرافيا والسبب فى ذلك أنه لم يعر التفاتا لأفكار أسلافه الألمان عن معرفة الكتب. ومن الصعب معرفة السبب فى ذلك. لقد كان كل أستاذ وكل مؤلف يعدد لطلابه أو قرائه مصادر موضوعة ويرغب فى حملهم على معرفة الأعمال الشبيهة. هذه العادة ترجع إلى العصور القديمة وهى المنبع الأول لفكرة

وصف الكتب. والذين أعدوا قوائم مستقلة بالانتاج الفكرى لم يكن لهم هدف أخر سوى تدريس معرفة الكتب. ومن ثم فإن من الصعب ان ننكر أن معرفة الكتب يمكن تدريسها دون أن تكون المعلومات عن قوائم الكتب جزءا أساسياً من معرفة الكتب هذه.

ومعظم المولفين الألمان الذين كتبوا عن الببليوجرافيا بعد شنيدر لم يعالجوا العلاقة بينها وبين معرفة الكتب. ومع هذا فإن اثنين من أمناء المكتبات المهمين هما: فيلهلم فوكس، Wilhelm Fuchs من جوتنجن (الذى مايزال يرتبط بالتاريخ الفكرى التقليدى) وكورت فليشهاك أمين مكتبة فى المكتبة الألمانية فى ليبزج Curt Fleischhack أشارا إلى أن الببليوجرافيا هى جزء من «معرفة الكتب»[٥٢٩] ولكن وجهات نظرهما لم تلفت انتباه أحد. وبالتالى فإنه على الرغم من أن مجال البيليوجرافيا كموضوع للتدريس كان قد استقر لفترة، إلا أن المصطلحات استمرت غامضة لأن العلاقة بين الببليوجرافيا ومعرفة الكتب لم تكن محددة للافتقار إلى التعريفات القاطعة. والآن كما كان الحال من قبل تستخدم مصطلحات «البيليوجرافيا» و«معرفة الكتب» من حين لأخر على سبيل التبادل (أى الترادف). حقا إن المدارس التى تعد أمناء المكتبات للعمل فى المكتبات العامة تقدم مقررات فى الببليوجرافيا (بمفهوم نظرية ومعلومات عن قوائم الانتاج الفكرى) وعن معرفة الكتب (عن أهم الأعمال الفكرية).[٥٣٠] ولكننا لا نعرف هل هذه التفرقة يمكن أن تستمر وترسخ. وفى الوقت نفسه أصبح راسخا جدا فى الاستخدام الألمانى أن تسمى معرفة الكتب، ببليوجرافيا ولم يعد التغيير ممكنا وخاصة أن المتخصصين لم يعيروا التفاتا لوجهات نظر أمناء المكتبات فى التعريف والمصطلح. ومن جهة ثانية فإنه حتى أمناء المكتبات أنفسهم يستخدمون أحيانا تعبير «معرفة الكتب Bücherkunde » ليقصدوا به (الببليوجرافيا) التى هى معلومات عن قوائم الانتاج الفكرى.[٥٣١]

إننا يجب أن نتعايش مع حقيقة أن المصطلحين سوف يستمران يحملان نفس المعنى ويجب أن نستمر فى الحديث عن معرفة الكتب أو البيليوجرافيا من الدرجة

الثانية كما يتحدث المرء عن الببليوجرافيات من الدرجة الثانية (أى ببليوجرافيات الببليوجرافيات) عندما نريد أن نفرق بوضوح بين نظرية (والمعلومات عن) أدوات معرفة الكتب (الببليوجرافيا من الدرجة الثانية) ومعرفة الكتب (الببليوجرافيا) بصفة عامة. إن أهم الببليوجرافيين الفرنسيين فى الوقت الحاضر (لويس - نويل مالكس) Louise - Noëlle Malclés ، كتبت ذات مرة (١٩٥٢) تسمى الموضوع الذى تدرسه الببليوجرافيا الثانوية (أو الثانية) Bibliogaphie Secondaire . [٥٣٢]

فى سنة ١٩٢٣ عندما نشر شنيدر كتابه (دليل الببليوجرافيا) لأول مرة اتفق معظم أمناء المكتبات فى الدول الناطقة بالألمانية على أن كل الموضوعات المتعلقة بالكتب والمكتبات يجب أن تندرج تحت مصطلح (علم المكتبات) -Bibliothek swissenschaft . هذا المجال الجديد الذى يتضمن بطبيعة الحال (الببليوجرافيا) توثق عندما أنشأ فرتز ملكاو معهد علم المكتبات فى جامعة برلين سنة ١٩٢٨ . وأهم منه عندما حرر «دليل علـم المكتبات» -Fritz Milkau: Handbuch der Bib liothekswissenschaft - Leipzig, 1931 - 1942[٥٣٣] .

ففى هذا الدليل عولجت كل مجالات علم المكتبات باستفاضة وعمق عن طريق أخصائيين متميزين كما كتب جورج شنيدر مقالته عن نظرية قوائم الانتاج الفكرى. ولم يذكر أحد ما أهمل ايشلر ذكره من أن العلم الجديد له نفس المجال الذى تعالجه الببليوجرافيات فى معناها الواسع والذى شاع فى فرنسا ودول أخرى.[٥٣٤] كما أن الطبعة الثانية التى حررها جورج لى Georg Leyh . فسبادن ١٩٥٢ ـ ١٩٦٥، لم تذكر ذلك أيضا.

وكان من نتيجة تضمين الببليوجرافيا فى علم المكتبات أن تمزقت علاقتها مع التاريخ الفكرى طالما أن هذا التاريخ الفكرى لم يكن جزءا ن علم المكتبات. هذه العلاقة كانت مجال بحث قام به باحث دانمركى فى مطلع قرننا العشرين هـو Vilhelm Grundtvig فيلهلم جروندتفـج[٥٣٥] فى مقال له بالألمانية كتبها لمجلة Zentralblatt für Bibliothekswesen . وقد احتج Leyh ذات مرة أن شنيدر

أهمل معالجة العلاقة بين التاريخ الفكرى والببليوجرافيا.[٥٣٦] ومن المؤكد أن شنيدر كان يعرف تلك العلاقة[٥٣٧] ولكنه اعتبرها فقط ذات قيمة تاريخية فقد تحلل (التاريخ الفكرى) القديم منذ زمن بعيد وتشتت فى تواريخ العلوم المختلفة والتى حلت جزئيا محله ولم يعد أحد من الطلاب يهتم به ولو حتى من بعيد.

كما أن ريتشارد فيك Richard Fick الذى أكد على أهمية دراسة الببليوجرافيا باعتبارها جوهر علم المكتبات[٥٣٨] تأسف هو الأخر لأن شنيدر لم يحدد العلاقة بين الببليوجرافيا والتاريخ الفكرى. وفى سنة ١٩٢٨ اقترح دراسة تاريخ العلوم كأساس لدراسة الببليوجرافيا ولكنه رأى أنه (أى تاريخ العلوم) يجب أن ينصب على مشاكل البحث الحديث. هذا الاقتراح من جانب مدير مكتبة جامعة جوتنجن ـ التى كان يدرس بها التاريخ الفكرى والببليوجرافيا منذ القرن الثامن عشر باستمرار ـ لم ينفذ حتى الآن.

لم تجر محاولات لتنفيذ أفكار فيك إلا بعد الحرب العالمية الثانية. فاليوم فى مدرسة المكتبات فى فرانكفورت أم ماين تدرس مقدمات فى تاريخ العلوم بواسطة بعض الأساتذة ولقد ارتبط هذا العلم بمناقشة الببليوجرافيات الموضوعية منذ سنة ١٩٦١. بل وحتى قبل ذلك التاريخ فى سنة ١٩٥٥ قام جوريس فورستيوس Joris Vorstius بالقاء محاضرات فى مقرر شبيه فى معهد علم المكتبات فى جامعة همبولدت فى برلين. وفى جزئه الثانى (عن القرن التاسع عشر والعشرون) يتعرض للببليوجرافيات الموضوعية، ولم يكن هناك وقت طويل لمناقشتها حيث كان المقرر قد اشرف على نهايته.[٥٣٩] ولكن كان هناك اتفاق عام مع هذه الفكرة حتى من الاخصائيين الموضوعيين فى الدول الأخرى. وطرحت كتوصية فى المؤتمر الدولى عن مشكلات الاعداد المهنى لأمناء مكتبات الجامعة الذى عقد فى براغ سنة ١٩٥٨. حيث نصت التوصية على أنه «لا يكفى أن تحصر الببليوجرافيات المفردات فقط بل يجب أن تربط بتاريخ العلم وطرق البحث فيه بصفة عامة وبصفة خاصة فى المجالات المتخصصة التى تعالجها القائمة».[٥٤٠]

ومنذ سنة ١٩٤٥ كان علم الكتاب Bibliology وعلم الببليوجرافيا Bibliography يفصلان أحيانا عن علم المكتبات. حيث كان ايشلر يريد أن يسميه بداية باسم (علم الكتب والمكتبات).[٥٤١]

لقد حاول جماعة من الأخصائيين فى «معهد أبحاث علم الكتاب» فى جامعة بون توسيع نطاق علم الكتاب. Forschungsstelle für Buchwissenschaft ـ والذى كان محددا أنذاك بالناحيتين التاريخية والفنية فقط ليشمل كذلك الجوانب الاقتصادية والاجتماعية فى الكتاب.[٥٤٢] وطالما أننا بصدد الحديث عن الببليوجرافيا وهى معنية بهذا الشأن فإننا لابد وأن نتساءل عما إذا كان الجانب الفكرى فيها يذهب خطوة أبعد من مجرد مجال العلم الذى يتعلق بتاريخ ومعرفة الكتب وعلاقاتها الاقتصادية والاجتماعية، فالببليوجرافيا ترتبط فى علاقتها الوثيقة بطرق وتاريخ البحث العلمى وهو الجانب الأهم من الجانب الطباعى.

إن الأنظمة الببليوجرافية المنشورة فى ألمانيا خلال العقدين المنصرمين (١٩٥٠ ـ ١٩٧٠) لا تذكر لا علم المكتبات ولا علم الكتاب. والمطبوعات التى تعالج الكتب والمكتبات تجمع عادة فى القسم الأول وكقاعدة تظهر الببليوجرافيات كشعبة مستقلة تماماً ومن حين لآخر تبدو كمقدمة إلى تاريخ العلوم والبحث العلمى.[٥٤٣] أما التاريخ الفكرى بصفة عامة فإنه يوضع فى قسم مختلف وليس هناك أية إشارة إلى أن هذه المجالات كانت ذات مرة تجمع معاً فى وحدة واحدة تحت (التاريخ الفكرى Historia Literaria). وبالنسبة للألمان والفرنسيين فإن مكان الببليوجرافيا فى تنظيم المعرفة لم يعد مشكلة ذات بال وهذا بالمناسبة ينطبق أيضاً على تنظيم جميع العلوم فهو ليس مشكلة أساسية بالنسبة لهم وإنما فقط هى مسألة تطبيقية أكثر منها نظرية.

الاستخدام الفرنسى منذ سنة ١٩١٩

استمر أساتذة مدرسة الوثائق بعد الحرب العالمية الأولى فى تدريس علم الكتب والمكتبات تحت تسمية (الببليوجرافيا).[٥٤٤] ولكن الباحثين الذين أرادوا

فى فترات محدودة خلال الثلاثينات تعريف وتحديد الببليوجرافيا (مثل بيير فرايدن، هنرى ستاين، فرانز كالوت، بيير كارون[٥٤٥] Pierre Friden, Henri Stein, Franz Calot, Pierre Caron) ، تحديداً تكتيكيا رفضوا فكرة الببليوجرافيا بمعناها الواسع واستخدموا المصطلح طبقا لتعريفه القديم فى معناه الأضيق المطلق: معرفة ووصف الكتب. واتفق الأربعة على جزئية «وصف الكتب». وبطبيعة الحال لم يقصدوا فقط نشاط وصف الكتب أى عملية الوصف فى ذاتها وإنما أيضا ثمرة وناتج هذا الوصف أى القوائم نفسها التى تحصر وتسجل وتصف الكتب. وهم لم يقولوا ذلك بوضوح. ولكن من المؤكد أن فرايدان وكارون وافقا ستاين وكالوت عندما أضافا إلى مناقشاتهم البحتة فى الببليوجرافيا مسحاً بأهم الببليوجرافيات العامة. إن ستاين الذى أصبح مشهوراً فى سنة ١٨٩٨ بدليل الببليوجرافيا العامة Manuel de bibliographie gérnéral وكالوت الذى نشر كتابه المفيد «الدليل العلمى فى الببليوجرافيا» سنة ١٩٣٦ عرفا الببليوجرافيا على أنها معرفة الكتب، دون تفسير للعلاقة بين هذه المعرفة للكتب ووصف الكتب. وقد وافق كالوت مع ستاين على أن الببليوجرافيا هى (علم الكتاب) ولكنه استدرك فى الحال وأكد للقارئ[٥٤٦] أن العلم هنا يعنى «المعرفة فى أوسع وأرحب معنى للمصطلح». وبعد ذلك اقتصر على استخدام التعبير «معرفة الكتب»[٥٤٧] بدلاً من علم الكتاب ووجهة نظره تكمن فى عبارة «لنتكلم بوضوح تتألف الببليوجرافيا من وصف الكتب وتصنيفها لتحقيق أقصى فائدة للمستفيدين». ومع ذلك فإن دليله العلمى لم يتضمن شرحاً فى كيفية وصف الكتب - رغم أن لكتب البريطانية فى الموضوع تفعل ذلك كما سنرى بعد - واكتفى فقط بوصف أهم قوائم الانتاج الفكرى.[٥٤٨] ولم يشر إطلاقا إلى أن أخصائيى الموضوعات لم يطلقوا على الببليوجرافيا «معرفة الكتب ووصفها» وحسب ولكن أيضا أطلقوا عليها تعبير المعلومات عن قوائم الكتب (معرفة الكتب من الدرجة الثانية) وأيضا نظرية تسجيل الكتب. وكارون لم يذكر ذلك أيضاً. حقاً لقد ذكر كل من فرايدن وستاين أن الببليوجرافيا هى وصف الكتب نفسه كما أنها نظرية الوصف أيضاً ولكنهما لم يشيرا إلى أن المختصين المحدثين عالجوا الببليوجرافيا فى أحسن معنى

لها على أنها العلم الذى يدرس قوائم الكتب بينما دار جدل عنيف عما إذا كانت نظرية تسجيل الكتب ووصف الكتب تدخل هنا فى هذا العلم أم لا. ،ومن الغريب كذلك أنهما لم يشيرا إلى ما كان يدرسه لانجلو وخلفاؤه الألمان والفرنسيون لعدة عقود. وبدون شك فإنهما اتفقا مع فكرة هؤلاء الأخصائيين لقد اتفق ستاين ولانجلوا وكانا من بين الأول الذين اتبعوا جراند فى تحديد الوظيفة الرئيسية للببليوجرافيا على أنها مجال دراسة الببليوجرافيات[٥٤٩] حتى بول أوتلت Paul Otlet الذى اشترك فى تأسيس المعهد الدولى للببليوجرافيا فى بروكسل لم يفهم المقال الذى نشره لامير و سوربى سنة ١٨٩٧ بتعليمات من المعهد تحت تأثير النظرية الجديدة التى بلورها جراند وستاين ولانجلوا.[٥٥٠] حقاً لقد شرح يصحح فى رسالة له، بعنوان[٥٥١]: Traité de documentation. Brussels, 1934 أن «الببليوجرافيا هى حصر ووصف الأعمال المنشورة». وهو مثل ايبرت[٥٥٢] بدأ بالمعنى الجامع للمصطلح. أما ماذا تعنى الببليوجرافيا على وجه التحديد فنجده فى تعريفه الآتى :

«إن الببليوجرافيا فى درجتها الأولى هى معلومات عن الكتاب، معلومات دقيقة وكاملة بقدر الإمكان. وهذا الوصف يتخذ شكل البيانات الببليوجرافية. أما الببليوجرافيا من الدرجة الثانية فإنها جمع وعرض هذه البيانات الببليوجرافية على هيئة قائمة بالأعمال الخاصة بموضوع محدد أو مؤلف بالذات أو عن مؤلف معين وعن طريق الاستفادة من هذه القوائم والمعلومات الببليوجرافية تكون القيمة الحقيقية للببليوجرافيا».

ولكنه لم يشر إلى ضرورة معرفة ودراسة القوائم الوصفية للإنتاج الفكرى Littérature Bibliographique على نحو ما وصفها به كل من لامبير و سوربى قبل أن يستخدمها المرء.

ومن بين الببليوجرافيين الفرنسيين المحدثين هناك لويز ـ نويل مالكلس التى عملت لعدة عقود فى مكتبة جامعة السوربون والتى تستحق مكانة أولى بينهم.

وقد درست الببليوجرافيا منذ سنة ١٩٣٣ ولكنها لم تنشر كتبها الشهيرة فيها قبل نهاية الحرب العالمية الثانية. ونحن مدينون لها بدليل أساسى وكتابين دراسيين فى الموضوع وأول عمل فى تاريخ الببليوجرافيا[٥٥٣] ولقد لخصت مالكلس أهداف أسلافها من وراء تضييق مفهوم الببليوجرافيا على العكس مما ذهب إليه مفهوم مدرسة الوثائق. ولقد كتبت فى أهم أعمالها: مصادر العمل الببليوجرافى Les Sources du travail bibliographique (1950)[٥٥٤].

«بصفة عامة تتفق تلك المحاولات فى تعريف الببليوجرافيا فيما بينها فى الجنوح نحو اعتبار الببليوجرافيا علماً أو إن شئنا الدقة والوضوح: دراسة ومعرفة الكتب، حيث أن كلاهما (العلم والدراسة) يبنى على طريقة خاصة تتألف من بحث ووصف وتنظيم المادة واستخدامها». [٥٥٥]

واستطردت لتقدم تعريفها الخاص بالببليوجرافيا فتقول: [٥٥٦]

«الببليوجرافيا هى معرفة كل النصوص المنشورة والمستنسخة. إنها تبنى على البحث والتحقيق والوصف والتنظيم للوثائق بهدف تقديم الخدمات أو إعداد أدوات تيسر العمل الفكرى».

وهكذا فإن مالكلس خلصت إلى أن الببلنوجرافيا هى معرفة كل النصوص التى نشرت أو استنسخت بوسائل الاستنساخ الأخرى غير المطبوعة، فهى فى نظرها ترتكز على جمع ووصف وتفسير وتصنيف هذه النصوص وعناوينها، [٥٥٧] وذلك كله بهدف خدمة المعلومات أو إعداد قوائم الإنتاج الفكرى. وهى زيادة عن أسلافها كانت مهتمة بتحديد الأعمال التى تدرج وتفاصيلها الببليوجرافية، والهدف المطلق من القائمة. ونتيجة لذلك كانت مالكلس أول من عرف تسجيل الإنتاج الفكرى بالمعنى الواسع، بحيث يشتمل أيضاً على الكشافات البطاقية للإنتاج المكتوبة بالخط اليدوى أو الآلة الكاتبة أى ليس بالضرورة مطبوعاً. ولقد حددت العلاقة بين معرفة الكتب ووصفها بطريقة أكثر وضوحاً سنة ١٩٥٦ فى «تاريخ الببليوجرافيا» المعنون[٥٥٨] La Bibliolographie حيث قالت «إنس

البيليوجرافيا هى «معرفة» نتاج العقل، المعرفة المتحصلة من خلال قوائم الإنتاج الفكرى» وعلامات التنصيص قبل وبعد كلمة معرفة تؤكد أن المقصود ليس معرفة الكتب (المحتوى) وإنما معرفة العناوين فقط.

وبينما كررت مالكلس تعريفها للببليوجرافيا (١٩٥٠) مع أقل القليل من الاختلافات فى كتابها الدراسى الأول: دروس فى الببليوجرافيا-Cours de Biblio-graphie سنة ١٩٥٩[٥٥٩] فقد غيرته كثيراً فى كتابها الدراسى الثانى Manuel de Bibliographie «دليل الببليوجرافيا» سنة ١٩٦٣ فقد اتبعت كالوت الذى نشرت طبعة ثانية سنة ١٩٥٠ من كتابه «دليل الببليوجرافيا» حيث ذكرت أن[٥٦٠] «الببليوجرافيا جزء من الببليولوجيا أو علم الكتاب وتنطوى على البحث فى النصوص المطبوعة أو المستنسخة بهدف وصفها أو تصنيفها وهكذا تنتج أدوات فعالة فى خدمة المعلومات تجعل العمل الفكرى أكثر يسراً». فالببليوجرافيا هنا هى معرفة الكتب المبنية على تسجيلها، كما تعرف على أنها تسجيل الكتب كجزء من علم الكتاب. وهذا التعريف فيه من المخاطر مافى تعريف كالوت[٥٦١] لأنه كما نتعلم من دليل الببليوجرافيا كيف نسجل الكتب وكيف تعد قوائم المطبوعات. ولكن مالكلس مثل كالوت كانت تدرس شيئاً مختلفاً: معرفة أهم الببليوجرافيات وأهم أدوات معرفة الكتب. ومن الصعب تفسير هذا التناقض. ويمكن للمرء أن يفترض أن كالوت ومالكلس عندما تحدثا عن وصف الكتب فقد عنيا أيضاً وعلى وجه الخصوص ثمرة الوصف (قوائم الكتب) أى تجسيد معرفة الكتب.[٥٦٢] وبهذا الافتراض يمكن للمرء أن يزعم أن العمل الذى يعالج الببليوجرافيا بهذا المعنى (معرفة الكتب ووصفها) لابد وأن يتضمن الببليوجرافيات (القوائم) كمادة أساسية فيه.

وإلى جانب التعريفات التى أشارت إليها تتضمن كتب مالكلس قضايا أخرى أساسية فى الببليوجرافيا تعالج المواقف العملية الفعلية. وفى مقدمة المجلد الثانى من عملها الكبير شخصت مالكلس وظيفة الببليوجرافى على أنها: إعطاء معلومات عن أهم الأعمال للأشخاص الذين يبحثون عن مطبوعات فى مشكلة

معينة خارج نطاق تخصصهم.[٥٦٣] ولما كانت البيليوجرافيا Bibliographie تعنى معرفة الكتب فإن البيليوجرافى Bibliographe هو الشخص الذى يعرف الكتب: ومن هنا خرج مكتبى المراجع. وهنا تؤكد مالكلس:

«هنا ولد نوع جديد من الببليوجرافيا المتخصصة: معرفة المصادر، وهى بكل تأكيد أقل درجة من ببليوجرافيا المعرفة (أى العامة) معرفة الكتب نفسها. إنها لا توجه للباحث لأنها تبنى على عمله وتخصصه ولكنها من جهة ثانية توجه الباحث إليها».

ومن هذا النص نفهم أن مالكلس تؤكد أنه إلى جانب معرفة الكتب نفسها هناك ببليوجرافيا أخرى، معرفة الكتب فى مستوى أدنى أى المعلومات المتعلقة بقوائم الكتب وغيرها من الأدوات المساعدة فى معرفة الكتب.[٥٦٤] والعمل الذى يدرس هذا النوع من الببليوجرافيا لا يقدم جديداً بالنسبة للأخصائى كما تؤكد مالكلس ولكنه يفيد أمين المكتبة بكل تأكيد.

ولقد وسعت مالكلس هذه الفكرة فى مقدمة كتابها الدراسى الأول عن الببليوجرافيا لطلاب المكتبات وهو Cours de Bibliographie سنة ١٩٥٩.[٥٦٥] وفيه أسفت لأن الناس يخلطون من حين إلى آخر وخاصة فى فرنسا بين معرفة الكتب ومعرفة قوائم الكتب وهى تطلق على هذه الأخيرة الببليوجرافيا المهنية Professional bibliography أو ببليوجرافية الببليوجرافى Bibliography of bibliographer في مقابلة الببليوجرافيا البحثية أو ببليوجرافيا الباحثين Bibliography of scholarship, Bibliography of the scholer وقد ختمت وصفها لهذين النوعين من الببليوجرافيا بهذه الكلمات: إن ببليوجرافيا المعرفة والببليوجرافيا كأداة مهنية مختلفتان جداً بالطبيعة. فإذا كانت معرفة الباحث محصورة فى منطقة محددة جداً فإن الببليوجرافى (المهنى) يجمع مادته من جميع المجالات والتخصصات».[٥٦٦]

ويبدو لى هنا أن مالكلس قد وضعت يدها على نقطة جيدة. فمن الطبيعى أن الببليوجرافى أعنى أمين المكتبة المتمرس بالببليوجرافيا يجب أن يكون على ألفة بالقوائم الكبرى وغيرها من الأعمال المرجعية فى كل مجالات المعرفة كلما أمكن

ذلك. وهذا هو السبب فى أن طلاب المكتبات ـ منذ أضيفت المنهجية على دراساتهم ـ يتعلمون ويتدربون بطريقة منظمة على معرفة واستخدام كل الأدوات الببليوجرافية. وكذلك أيضاً فإن المتخصص (مثلاً فى التاريخ) يجب أن يعرف ليس فقط أهم الكتب فى تخصصه العام (التاريخ) وتخصصه الدقيق (تاريخ القرن التاسع عشر) ولكن أيضاً الأدوات الأساسية فى معرفة الكتب. ولهذا السبب فمنذ ١٨٩٤[٥٦٧] قام لانجلوا بتعليم طلاب التاريخ معرفة قوائم الكتب فى التاريخ، وحذا حذوه كثير من الباحثين والأساتذة. وهكذا فإن معرفة المصادر الببليوجرافية يمكن أن تكون عامة تضم كل فروع المعرفة البشرية أو متخصصة تقتصر على مجال محدد. وبالتالى لا ينبغى أن نصر على أن معرفة الأدوات الببليوجرافية هى احتكار على أمين المكتبة وحده.

وكانت مالكلس على حق عندما أعلنت «أن هناك نوعين من الببليوجرافيا[٥٦٨] فهناك فعلاً نوعان من الببليوجرافيا أو من معرفة الكتب: معرفة الكتب نفسها ومعرفة الأدوات الببليوجرافية. ولذلك فإن بحثنا الحالى قد ميز بين معرفة الكتب من الدرجة الأولى والدرجة الثانية بينما مالكلس اعتبرت المعلومات عن قوائم الكتب معرفة بالكتب من درجة أدنى[٥٦٩] وفى بعض المواضع أشارت إليها على أنها «الببليوجرافيا الثانوية»[٥٧٠] Secondary bibliography وماسمته أحياناً ببليوجرافيا ثانوية أطلقت عليه «القوائم الببليوجرافية Bibliographie». وينسحب هذا الكلام أيضاً على شنيدر وفى النهاية فإن هذا التقسيم إلى نوعين من الببليوجرافيا وهذه الفكرة من جانب الببليوجرافيين العظيمين ترجع إلى تعريف لانجلوا الذى قال «إن الببليوجرافيا فى معناها الأضيق للمصطلح هى ذلك الجزء الخاص من علم الكتب الذى يعالج «قوائم الكتب»[٥٧١].

وعلى خلاف لانجلوا واتفاقاً مع جراند وستاين فإن شنيدر أدرج نظرية تسجيل الكتب أى إعداد قوائم الكتب تحت «الببليوجرافيا».[٥٧٢] وهنا تتفاوت آراء الأخصائيين. وهنا تتفق مالكلس مع لانجلوا (مثل كالوت) ولكنها عبرت عن نفسها بحذر عندما قالت:[٥٧٣]

«وهكذا فإن المرء إذا اعترف بأن إعداد قواعد الفهرسة، وخطط التصنيف تنتمى إلى علم المكتبات على النحو الذى تكشف عنه الحقائق فإن الببليوجرافيا يجب:

(١) أن تطبق هذه القواعد والخطط عند إعداد القوائم.

(٢) تقوم بدراسة منهجية لهذه الأخيرة ولابد لهذه الدراسة أن تكون فى نفس الوقت تاريخية، فنية وعملية»

وهذا الرأى يتمشى مع رأى الأخصائيين الألمان والذى لابد من الاعتراف بأنه لم يتبلور على نحو دقيق فالببليوجرافيا عندهم هى:

(١) وصف الكتب طبقاً لقواعد راسخة من الفهرسة والتصنيف.

(٢) نظرية ومعلومات عن قوائم الكتب.

ومع ذلك يجب أن نتذكر دائماً أن الببليوجرافيا تعنى أيضاً معرفة الكتب ـ فى فرنسا كما هو الحال فى ألمانيا كذلك ـ .

ولسوء الحظ أن مالكلس لم تضع فى اعتبارها مفهوم الببليوجرافيا فى داخل النص، كما حددته فى مقدمة كتابها (دروس فى الببليوجرافيا) فلا نجد فى النص سوى تعريف الببليوجرافيا على النحو الذى اقتبسناه سابقاً: «معرفة الكتب المبنية على وصفها».[٥٧٤] وحتى مقدمة كتابها (دليل الببليوجرافيا) لاتشير إلى أن الببليوجرافيا التى تدرسها مالكلس هي الألفة بأدوات معرفة الكتب. وبدلاً من ذلك فإنها تشير إلى أن الببليوجرافيا هى تسجيل الكتب كجزء من علم الكتاب.[٥٧٥]

هذه التناقضات وعدم الاتساق بطبيعة الحال لا تقلل من قيمة جهودها، إنها تعلم الفرنسيين ماذا تعنى الببليوجرافيا فى معناها الضيق أى: الببليوجرافيا الثانوية، إنها تعلمهم ليس من خلال تعريفاتها ولكن من خلال محاضراتها الرائعة فى الببليوجرافيا وكتاباتها المنشورة. وقبلها بستين عاماً أجل لانجلوا إجابة الأسئلة والتى أصبحت منذ ذلك الحين ملحة :[٥٧٦]

«كيف يصبح فى الإمكان أن يحيط الجمهور نفسه علماً بسرعة ودقة بالمصادر من كل نوع الموجودة فى الإنتاج الهائل الذى فرزه الكتاب على مر العصور فى جميع أرجاء المعمورة، والذى يمثل التراث العلمى والأدبى للبشرية؟ كيف نصف هذا الارث بحيث نجعل كل مهتم يشارك فيه مشاركة كاملة ومريحة بقدر الامكان».

إن إجابة مالكلس على هذه الأسئلة تتضمن الدافع لما تدرسه وتعلمه[٥٧٧] «إن حل المشكلة يكمن في إستغلال هذه الأدوات الخاصة بالإنتاج الفكرى المسماة بالببليوجرافيات أو قوائم الكتب» وهنا يحتاج المرء إلى التعليق البسيط الذى يقول بأن قوائم الإنتاج الفكرى يجب أن تعد قبل أن تستخدم بيد أن هذه مشكلة أخرى.

ولو أنه فى فرنسا الآن حل المفهوم الأوسع للببليوجرافيا محل المفهوم الأضيق فليس من العدل فى نظرى القول - خلافاً لما ذهبت إليه مالكلس - بأن الببليوجرافيا فى نهاية القرن الثامن عشر عندما كان المفهوم الأوسع هو الأوسع إنتشاراً ويأتى فى المقدمة، ضلت الطريق ووجدت نفسها مرة ثانية فقط فى أيامنا هذه.[٥٧٨] وبصرف النظر عن بعض الاعتبارات الشخصية لا نستطيع الإدعاء بأن المجال يتغير لمجرد أن المساحة التى يغطيها قد توسعت أو ضاقت. وأكثرمن هذا فإن الببليوجرافيا فى فرنسا ابتداءً من القرن الثامن عشر فصاعداً كانت تعنى «معرفة الكتب» وفى نهاية القرن أشياء أخرى أيضاً ولكن قبل نهاية القرن التاسع عشر لم تقتصر الببليوجرافيا أبداً على«معرفة قوائم الانتاج الفكرى».

الاستخدام الانجليزى

حتى نهاية القرن التاسع عشر انتشر فى بريطانيا المفهوم الفرنسى الواسع للببليوجرافيا وحده وكان **توماس هارتويل هورن** هو مؤلف العمل الأساسى فى بريطانيا: مقدمة فى دراسة الببليوجرافيا

- Thomas Hartwell Horne: An Introduction to the study of bibliography. London, 1814.

لقد نشر هورن عدة كتب نقدية فى اللاهوت وكان معداً لعدد من الفهارس ثم أصبح أمين مكتبة مساعداً أول فى مكتبة المتحف البريطانى. وكتابه الحالى: ثلاثة أجزاء فى مجلدين ويتعلق الجزء الأول بتاريخ المكتبات العامة فى العصور القديمة وتاريخ الكتابة والكتاب مع تركيز خاص على الطباعة وفنياتها. أما الجزء الثانى فيتعلق بالكتب بصفة عامة، وأنواعها وتقييمها ومظاهر الندرة فيها وتصنيفها. أما الجزء الثالث فهو عبارة عن ببليوجرافية منهجية بأهم المطبوعات فى التاريخ الفكرى والببليوجرافيا ـ وقد استبعد منها الببليوجرافيات الموضوعية ـ وقد شرح هورن فى مقدمته:[٥٧٩]

«الببليوجرافيا لغوياً تعنى وصف الكتب وفى معناها الواسع تعنى معرفة الكتب من حيث:

أولاً :المواد التى صنعت منها.

وثانياً: الموضوعات التى يعرضها المؤلفون للمناقشة فيها.

وثالثاً: معرفة الطبعات المختلفة من الكتب، درجات ندرتها، ملامحها الفارقة، وقيمتها الحقيقية.

ورابعاً: وأخيراً، تحديد مكان كل منها فى نظام التصنيف داخل المكتبة».[٥٨٠]

وفى نظام التصنيف الببليوجرافى الذى وضعه خصص للببليوجرافيا مساحة كبيرة متبعاً فى ذلك نموذج بيجنوت الذى ذكره فى النهاية[٥٨١] فقد وضع فى البداية ـ كمقدمة ـ قسماً بعنوان ببليوجرافيا قسمه إلى عدة شعب هى:[٥٨٢]

١- التاريخ الفكرى.

٢- تاريخ الآداب واللغات.

٣- تاريخ الطباعة.

٤- الأعمال التقديمية فى معرفة الكتب.

٥- الأعمال الخاصة بالكتب النادرة.

٦- الأعمال الخاصة بالكتب المجهولة المؤلف وذات الأسماء المستعارة.

٧- الأعمال الخاصة بالمكتبات وتصنيفها.

٨- فهارس المكتبات الامبراطورية، الملكية وغيرها من المكتبات العامة المشتملة على المخطوطات والكتب المطبوعة على السواء.

٩- فهارس المكتبات الخاص.

١٠- فهارس مبيعات تجار الكتب الهامة

١١- البيليوجرافيات الدورية (الجارية) بما فى ذلك العروض وغيرها من المجلات الفكرية.

١٢- البيليوجرافيات المهنية أو البيليوجرافيات الخاصة.

وهو مثل بيجنوت، لم يستطع هورن أن يعالج كل هذه الفروع من البيليوجرافيا التى حددها فى مقدمته وكما يمكننا أن نلتقط من قائمة المحتويات السابقة فقد أغفل على سبيل المثال التاريخ الفكرى، التطورات الحديثة فى المكتبات والبيليوجرافيا الموضوعية. وإلى جانب التصنيف الذى كان هدف جميع البيليوجرافيين تقريباً فإننا نستشف أنه كان مهتماً جداً بالكتب النادرة وأوائل المطبوعات. وفى دراسته لتاريخ الكتاب وتقنين قوائم المؤلفين وقوائم الإنتاج الفكرى لم يكن له من هدف سوى أن يقدم لجماعى الكتب ومديرى المكتبات معلومات أساسية عن مجموعات الكتب القديمة والنادرة، وإعلامهم بأهم الأدوات المساعدة لهم فى ذلك، لقد كان كتاب هورن علامة على عصره فقد كان العصر الذهبى لجمع الكتب فى بريطانيا(٥٨٥) ويكفى هنا أن نتذكر مجموعة اللورد سبنسر الشيهرة والتى أعد لها توماس فروجنول دبدنThomas Frognall Dibdin ـ الذى كان معجباً بهورن ـ فهرساً بعنوان: مكتبة سبنسر Bibliotheca Spenceriana London - 1814 - 1815 .

لقد أثر دبدن وهورن تأثيراً أساسياً فى الفكرة البريطانية عن البيليوجرافيا حتى

أنه فى مطلع القرن العشرين كان جيمس دف براون يعتقد أن هذين الشخصين هما المسئولان عن اعتناق البريطانيين بأن الببليوجرافيا تتألف فقط من معرفة ووصف الكتب النادرة والقديمة(٥٨٤) ولكن ذلك قد لايكون صحيحاً ومبالغاً فيه ولا يصدق إلا فى دوائر الأرستقراطية الجماعية للكتب bibliophiles.

إن مفهوم الببليوجرافيا فى بريطانيا - وليس فيها وحدها - بمعناه الفرنسى الواسع فى نهاية القرن التاسع عشر تمثل كأوضح مايكون فى كتاب نشر سنة ١٨٩١ فى لندن. وإن لم يكن لمؤلف بريطانى إلا أنه كان ترجمة لكتاب إيطالى من تأليف جيوسبى أوتينو، ونشر أولاً فى ميلانو سنة ١٨٨٥. وقد تظاهر المترجم والتر توماس روجرز بأنه المؤلف ولكن لم تلبث السرقة أن ظهرت وكشفت:(٥٨٥)

- Guiseppe Ottino. Manuale di bibliographia. Milan, 1885. Translated into English by Walter Thomas Rogers.

+ A manual of bibliography, being an introduction to the knowledge of books, library management and the art of cataloguing. London,1891.

هذا الكتاب القيم مازالت له سمعة طيبة فى طبعته الأصلية إذ هو يناقش تطور الكتابة والكتب، والمكتبات مع تركيز خاص على اهتمامات جماعى الكتب من حيث تاريخ الطباعة وأوائل المطبوعات النادرة والثمينة.

وفى مطلع القرن العشرين كان جيمس دف براون James Duff Brown أول رجل انجليزى يعارض هذا المفهوم الواسع للببليوجرافي فقد كان أمين مكتبة حى لندن ايزلنجتون وقد اشتهر فى عالم المكتبات بكتابه «دليل تصنيف المكتبات». لندن، ١٨٩٨. وكتابه الثانى دليل أعمال المكتبات، لندن ١٩٠٣. والذى شهد عدة طبعات بعد ذلك.(٥٨٦)

- Manual of library classification, London, 1898.

- Manual of library economy. London, 1903.

وفى سنة ١٩٠٦ نشر فى لندن كتاباً صغيراً بعنوان «دليل الببليوجرافيا العملية».

- A manual of practical bibliography. London, 1906.

وفى هذا الكتاب دافع بحماس واصرار عن تضييق نطاق الببليوجرافيا الواسع. فقد أعلن(٥٨٧): «فى وقتنا الحديث حيث التخصص أصبح أساس الحياة فمن العبث ضم موضوعات عميقة التخصص مثل الباليوجرافيا، علم المكتبات، والتصنيف والطباعة التاريخية كأقسام فى علم مطلق مثل علم الببليوجرافيا». ومنهنا خلص إلى أنه «لا حاجة بنا إلى محاولة تعريف الببليوجرافيا بنفس الخطوط العريضة مثل بيجنوت، هورن، وهؤلاء الكتاب الذين حاولوا وضع حدود لها. ولأغراض هذا الكتاب فإن تعريف الببليوجرافيا على أنها العلم الذى يعالج وصف وفهرسة وحفظ الكتب، تعريف واسع. وطالما أن براون استبعد علم المكتبات وفضل أن يكون هناك فرق بينه وبين الببليوجرافيا فإن معنى «حفظ الكتب» فى الجملة الأخيرة، غير واضح تماماً، لأن هذه النقطة لم تلبث أن ظهرت وبحق بين موضوعات علم المكتبات.(٥٨٨) وبعد ذلك أعلن براون عن الهدف من كتابه:(٥٨٩) فقد درس موضوع وصف الكتب أكثر من أى فرع آخر من فروع الببليوجرافيا ويبدو أن هذا الوصف يمثل الجانب العملى من الببليوجرافيا الذى يهتم به هذا الكتاب أكثر من غيره.

وقصر الببليوجرافيا على وصف الكتب (تسجيل الإنتاج الفكرى) لم يفت فى عضد مفهوم دبدن للببليوجرافيا (جراف دبدن ـ Didbinographe) كما أسماه براون ذات مرة.(٥٩٠) لقد طلب براون من الببليوجرافيين أن يتخففوا من اهتمامهم بكتب جماعى الكتب والطبعات النادرة الخاصة بالقرون الغابرة وأن يعطوا اهتماماً أكبر لكتب العصر الذى يعيشون فيه، والأعمال النافعة المعنية من كل العصور والدول. لقد سخر من أشخاص مثل برونيه الذين قضوا عمرهم فى وصف كتب لايمكن العثور عليها والتى لم تعد لها قيمة سوى ندرتها والتى لم

تكن لها فى يوم من الأيام سوى قيمة تجارية على حد تعبير براون.[٥٩١] وعرض فى مقابل ببليوجرافيا جماعى الكتب هذه، ببليوجرافيا جديدة هى الببليوجرافيا العلمية [٥٩٢] Scientific bibliography x Bibiliophilic bibliography. أو الببليوجرافيا التى تخدم أهدافاً عملية لمصلحة البشرية، وهو تفكير جديد وعصرى. هذه الببليوجرافيات يجب أن تتعامل مع كل الإنتاج الفكرى:[٥٩٣]

«إن واجب الببليوجرافيا هو أن تأخذ لالها من كل المطبوعات، قديمة أو جديدة، كبيرة أو صغيرة، رخيصة أو ثمينة وأن تصفها وتفهرسها وتكشفها بطريقة واضحة ودقيقة بحيث يوضع كل الإنتاج الفكرى العالمى فى أى موضوع ولأى مؤلف فى خدمة أى مستفيد (أقل المستفيدين مكانة) وبهذه الطريقة يمكن للببليوجرافيا أن تدعم مكانها الصحيح ككشاف ودليل للإنتاج الفكرى من كل العصور والأقطار. وبالتنظيم المنهجى لدراستها والتحديد الدقيق لمجالها فإن الببليوجرافيا العملية يمكن أن تصبح وسيط الوحى اليومى لرجل الشارع بدلاً من تسلية جماعى الكتب. فإذا اعترفنا أن الببليوجرافيا هى فعلاً كشاف ودليل لكل المعرفة الماضية والحاضرة تساعد أى متسائل على أن يجد وبسرعة الكتاب الذى يجيب على تساؤلاته فإن الأمل يمكن أن يتولد فى أن يتبوأ العلم مكانه كمفتاح للمعرفة المختزنة والمختفية فى كثير من الأحيان فى الكتب. ولكن فى الوقت الحاضر لا يمكننا الاعتراف بذلك».

لقد اقتبسنا من براون هذه الفقرات الطويلة بسبب هذه الدفاع العقلانى والاجتماعى عن الببليوجرافيا العملية والذى للأسف لم يلق الاعتراف من أى نوع. ومن الصعب أن نقرر ما إذا كان براون قد أضاف كثيراً إلى تطور الببليوجرافيا الحديثة فى انجلترا ولكنه بكل تأكيد شاهد هام على تغير مفهومها. ووقوفه ضد ببليوجرافيا جماعى الكتب يذكرنا بهجمات نيى وكاموس فى نفس الاتجاه قبيل وبعد الثورة الفرنسية.[٥٩٤] وفى نفس الوقت أحدثت الثورة الصناعية

تغييرات هامة فى بريطانيا، كما أن الديمقراطية التى حدثت فى المجتمع قد انعكست على فكرة براون المثالية عن الببليوجرافيا: الببليوجرافيا كدليل لكتابات كل العصور والأقطار يخدم حتى أبسط المستفيدين وأكثر من هذا الببليوجرافيا مثل وسيط الوحى تجيب على تساؤلات رجل الشارع.

ولم يتوقع براون لأفكاره المثالية أن تتحقق سريعاً رغم أن التطور الحديث فى الببليوجرافيا كان يعطيه بعض الأمل. فقد ذكر على سبيل المثال كتاب لانجلوا دليل الببليوجرافيا التاريخية Manuel de bibliographie historique (والذى نشر فى باريس ١٨٩٦ وطبع ثانية ١٩٠١) وقد أشار إلى الفقرة التى حدد فيها الباحث الفرنسى طبيعة ووظيفة الببليوجرافيا بمعناها الضيق.[٥٩٥] فما أراد أستاذ السوربون تحقيقه على المستوى الأكاديمى، أراد أمين مكتبة ايزلنجتن تحقيقه على المستوى الديمقراطى، وأكثر من هذا كان براون أقل اهتماماً بمعرفة قوائم الكتب التى كان يدرسها لانجلوا ورغم ذلك أكد على أهمية معرفة قوائم الكتب فى العمل داخل المكتبات والبحث العلمى.[٥٩٦]

وفى سياق تعريفه للببليوجرافيا قدم براون فى الجزء الأكبر من كتابه قواعد كثيرة لوصف الكتب وإعداد القوائم. أما الفصول الخاصة بتلك القواعد فهى المعنونة: صفحة العنوان وحرد المتن وعلامات المطابع؛ مكان النشر والكرونوجرامات؛ عدد الصفحات، الملازم، الحجم، التوريق.. تجميع الببليوجرافيات والفهارس؛ التعليقات: قواعد ونماذج لوصف الكتب وتجميع الببليوجرافيات. وطبقاً للمبدأ الذى أرساه للببليوجرافى بحيث يعالج الكتب القديمة والجديدة على السواء فقد ناقش فهرسة الكتب المطبوعة فى القرون الباكرة وتلك المتأخرة مثل المطبوعات الحكومية. والفصل الأخير عن جمع الكتب لا يناسب السياق العام والشيء الوحيد الذى ينسجم فيه مع بقية الفصول هو مناقشته لاستخدام الببليوجرافيات. وهناك فصل عن وصف الكتب المرجعية وآخر عن الأدلة والأدوات الخاصة بالكتب ووصفها وعنوان هذا الفصل يوحى بأنه لم يعتبر الببليوجرافيات الحصرية مجرد أدلة بالإنتاج الفكرى وإنما معينات كذلك فى وصفها للكتب.

وفى خلال القرن العشرين لم يسقط البريطانيون من الببليوجرافيا كل ما لايتعلق بتسجيل الكتب. ولكن رغم ذلك فإنهم ضيقوا داخل هذا الحقل الواسع بعض المجالات. ويمكن لنا البدء من القول بأن الببليوجرافيا تعنى وصف وتسجيل الكتب، والعلم الذى يحمل نفس الاسم والذى لا يختلف عن تطبيقاته هو نظرية: -

(١) وصف الكتب وإعداد قوائم الإنتاج الفكرى.

(٢) إنتاج الكتب وخاصة منذ اختراع الطباعة (الببليوجرافيا التاريخية).

(٣) قوائم الإنتاج الفكرى (الببليوجرافية المنهجية أو الحصرية).[٥٩٨]

وكقاعدة عامة لم يعد علم المكتبات جزءاً من الببليوجرافيا. وبدلاً من ذلك فإنه منذ العقد الأول من هذا القرن دخل إلى الميدان مجال جديد هو: الببليوجرافيا النقدية.

إن الكتاب الدراسى القياسى لأمناء المكتبات فى بريطانيا هو كتاب اروندل ايسديل «دليل الطالب إلى الببليوجرافيا». وقد عمل ايسديل فى المتحف البريطانى. وقد ظهر كتاب ايسديل بعد خمس وعشرين سنة بالضبط من ظهوركتيب براون (لندن ١٩٣١) وصدرت بعد ذلك طبعتان منقحتان (١٩٥٤ و ١٩٦٧) وحرر الطبعة الأخيرة روى استوكز

- Arundell Esdaile: Student's Manual of bibliography. London 1931.

وإذا قورن هذا الكتاب بكتيب براون الذى يمتلئ بروح الديمقراطية الحديثة فإن عمل ايسديل أهم بكثير ويميل إلى المحافظة والأكاديمية والقاسم المشترك بينهما هو أن الببليوجرافيا عندهما هى وصف الكتب. لقد حدد ايسديل مسئوليات الببليوجرافى فى كلمات اينرت التذكارية:[٥٩٩] «إن واجبه هو ببساطة أن يعرض للناس ما كتب ونشر». وايسديل لا يذهب مثلما ذهب براون ولكنه يعلن أن «الببليوجرافيا هى فن وهى علم أيضاً فالفن يتعلق بتسجيل الكتب والعلم هو مالزم لذلك التسجيل انه دراسة صناعة الكتاب وما يحتويه.. ومن المثير للجدل

هو ما إذا كان هذا التعريف موفقاً فقد قصد ايسديل[٦٠٠] إلى أن الببليوجرافيا هى نظرية وصف الكتب وتطبيقاتها، بل وأكثر من هذا نظرية إنتاج الكتاب وما يوجد من قوائم الإنتاج الفكرى. وعناوين الفصول التى أوردها فى هذا الصدد تشير إلى محتوياتها: البردى، الرق، الفلجان، الورق، الطباعة وبنية الكتاب، العلامات المائية فى تاريخ الطباعة والنشر، الايضاحيات، التجليد. معارضة الكتب، وصف الكتب، الببليوجرافيات، تطبيقات وأمثلة على الببليوجرافيات، . ترتيب الببليوجرافيات.

ويبدو لنا من استعراض إنتاج الكتاب منذ اخترع الطباعة حتى الوقت الحاضر أنه يتناقض مع تحديد نطاق الببليوجرافيا على أنها «وصف الكتب» عند ايسديل. ومع هذا فإن استعراض تاريخ الكتاب عند ايسديل والذى يسبق نظرية وصف الكتب ليس غاية فى حد ذاته وإنما يهدف كخلفية تعد لوصف الكتب، وهى فى رأيه خلفية ضرورية.[٦٠١] ومن المؤكد أنه يصدق أكثر مايصدق على الكتب القديمة. وهنا نصادف اختلافاً أساسياً بين براون وايسديل. ذلك أن ايسديل مهتم أكثر بالكتب القديمة فكما نعلم فإن كثيراً من كتب القرون الباكرة هى كتب نادرة وبالتالى فهى موضوع «للببليوفيليا» وقد أنكر ايسديل مع ذلك «أن أهداف أمين المكتبة أو الطالب وجماع الكتب تختلف اختلافاً بينا بحيث تتناقض أهداف الأول (أمين المكتبة والطالب) مع أهداف الأخير (جماع الكتب).العابثة، وهذه الجملة تفسر لنا هجوم براون على ببليوجرافيا جماعى الكتب.[٦٠٢] وقد أشار ايسديل وعن حق إلى وجود بعض التداخلات والتعارضات بينها.[٦٠٤] فالكتب خلافاً للشائع نادراً ما تشترى لندرتها وحدها، إنها الندرة بالإضافة إلى الرغبة هى التى تعطيها قيمة تجارية، إلا أنه على الجانب الآخر فإن الجامع الحقيقى للكتب هو أيضاً أمين مكتبة وهو يستخدم كتبه كما أن أمين المكتبة هو أيضاً جامع كتب لمكتبته».

وطالما أن رغبة ايسديل واهتمامه الأول كان بالكتب القديمة فلا نندهش إذا جاءت قواعده لوصف الكتب مبنية على قواعد فهرسة أوائل المطبوعات

(المهاديات).[٦٠٤] فلم يكن ليشغل باله كثيراً بمشاكل فهرسة الكتب الحديثة. ومع هذا فإنه فى الببليوجرافيا التى ذكرها فى نهاية كتابه أدرج بعض الببليوجرافيات التى تصف المطبوعات الحديثة مثل المطبوعات الحكومية.[٦٠٥]

لقد كان دليل ايسديل موجهاً أساساً لأمناء المكتبات المبتدئين ولعل مقارنته بالكتب الدراسية فى الببليوجرافيا بالقارة تكشف عن اختلاف فى المفاهيم ففى ألمانيا وفرنسا على سبيل المثال كانت القوائم وغيرها من الأدوات المرجعية تمثل المحتوى الأساسى لمقررات الببليوجرافيا.

أما فى بريطانيا فلب الببليوجرافيا هى الببليوجرافيا التاريخية (علم الكتاب) مع التركيز على إنتاج ووصف الكتب القديمة، وبعض المعلومات عن معينات وأدوات معرفة الكتب ووصفها (الببليوجرافيا المنهجية) كخلفية فقط. أما فى القارة فإن تعلم وصف الكتب القديمة المبنى على تاريخ الكتاب لم يكن ليقع ضمن الببليوجرافيا ولا حتى يدخل فى علم الكتاب نفسه. ومن جهة ثانية فإن الجمعية الببليوجرافية ومنظماتها الفرعية تعتبر (علم الكتاب) فرعاً متميزاً جداً من الببليوجرافيا. بل هى الببليوجرافيا ذاتها.

لقد اتبع ايسديل التقليد البريطانى ولكنه أيضاً كان متأثراً بحقيقة أن الفرد وليام بولارد، رونالد برونلسى ماكرو، والتر ويلسون جريج وغيرهم قد حصلوا ـ بالبحث الببليوجرافى فى النصوص الانجليزية القديمة ـ على نتائج فى غاية الأهمية لتاريخ الأدب. فقد كان هؤلاء الباحثون هم أول من طبق الطريقة التى ابتكرها روبرت بروكتور و هنرى برادشو لدراسة المهاديات المتعلقة بالأدب الاليزابيثى وما بعده. وقد نجحوا فى حل عدد من المشكلات بهذه الطريقة. وقد استطاعوا على سبيل المثال تحديد العلاقة بين بعض طبعات كتب شكسبير من الناحية الزمنية والناحية الطباعية ولأن بحثهم انطلق من عمل ببليوجرافى أساساً بالمعنى التقليدى فقد اعتبروا أنفسهم ببليوجرافيين. وبالإضافة إلى ذلك فإنهم فى انجلترا اعتبروا «علم الكتاب ـ الببليولوجيا» جزءاً من الببليوجرافيا، وعلى الرغم

من ذلك فإنهم لم يدرسوا إنتاج أوائل المطبوعات من وجهة نظر التاريخ الفكرى كما حدث داخل القارة أو كما جرت عليه العادة فى بلدهم بمعنى الاعداد لوصف الكتب. وإنما انصبت دراستهم على تحليل الكتب القديمة بهدف إعادة بناء تاريخ انتقال النصوص الفكرية المنقولة ميكانيكياً. ولقد أطلق جريج ـ أهم هؤلاء الباحثين على الاطلاق ـ على هذا النوع من الدراسة اسم الببليوجرافيا النقدية ففى محاضرة ألقيت سنة ١٩١٢ وطبعت ١٩١٤ والتى لخصت البرنامج الكامل للمدرسة الجديدة فى الببليوجرافيا قال[٦٠٦] «الببليوجرافيا النقدية هى علم الانتقال المادى للنصوص الفكرية، وتقصى تقاليد نقل النصوص.. إنه يهدف إلى إعادة بناء خطوات هذا الانتقال لحل مشكلات تلك النصوص» وبعد ذلك بعشرين سنة أى فى عام ١٩٣٣ كتب:[٦٠٧]

«الببليوجرافيا هى دراسة الكتب كأشياء مادية ملموسة إنها تفحص المواد التى صنعت منها والطريقة التى ركبت بها تلك المواد معاً. وتتبع مكانها وأصولها والخطوات التى أجريت عليها. إنها تهتم بالعلاقة بين كتاب وآخر، وقضية أى المخطوطات انتسخ من أى. وأية نسخ من كتاب مطبوع يجب أن تجمع معاً على شكل طبعة وما هى علاقة طبعة بأخرى.

لقد استمر جريج فى الاصرار على أن الببليوجرافيا ـ ويقصد الببليوجرافيا النقدية ـ[٦٠٨] تتعلق بتاريخ انتقال النصوص وهى تشبه إلى حد بعيد نقد النصوص (أو تحقيق النصوص فى عالمنا العربى). وفى الحقيقة فإن بحث جريج وزملائه فيما يتعلق بانتقال النصوص يمكن مقارنتها بجهود علماء اللغة الذين يحاولون تتبع تاريخ النصوص القديمة والوسيطة لبناء كلماتها الأصلية قدر الاستطاعة.[٦٠٩]

ويشكو الباحثون الانجليز الثقاة من أصحاب الانجازات العظمية فى مجال الببليوجرافيا النقدية من أن طريقتهم فى البحث الببليوجرافى لم تلق حتى الان صدى خارج الدول الناطقة بالانجليزية على الرغم من أنها قد أثبتت فاعلية كبيرة[٦١٠] وأحد الأسباب فى ذلك ربما كان المصطلح سئ الاختيار «الببليوجرافيا النقدية»

فلم يكن أحد يتوقع أن يتجاوز المصطلح ببليوجرافيا حدود العبارات الببليوجرافية التى تصف وتسجل العمل الفرد. فلم يتعود الناس أن تتضمن الببليوجرافيا دراسات تاريخية ونقدية لنصوص الكتب المطبوعة. وهجوم جريج على أساتذة اللغة الانجليزية يؤكد أنه حتى طلاب اللغة والأدب الانجليزى لم يفهموا إلا بصعوبة معنى «الببليوجرافيا النقدية» ولكنهم استهجنوا الاستخدام الحديث لمصطلح ببليوجرافيا عبثاً؛ إلا أن نجاح المدرسة الببليوجرافية أكد قبول هذا المصطلح وفى الحقيقة لقد انقلب الموقف الأول إلى الضد. لقد شكا جريج سنة ١٩١٢ من أن الببليوجرافيا قد فهمت فقط على أنها مجرد ببليوجرافيا منهجية (نسقية) ولكنه بعد ذلك اعتبر هو وزملاؤه الببليوجرافيا النقدية هى الببليوجرافيا نفسها ولذلك نبذوا بعد ذلك الصفة «نقدية» عندما تعرضوا لمناقشتها. فالباحث ماكرو على سبيل المثال قد عنون كتابه الرئيسى «مقدمة فى الببليوجرافيا لطلاب الدراسات الأدبية : Mckerrow = An Introduction to bibliography for literary students. Oxford, 1927. (٦١١)

لقد أراد أحد الطلاب الألمان البحث فى هذا الكتاب عن ببليوجرافيات فى التاريخ الفكرى ولكن خاب أمله لأن الكتاب كان مجرد مقدمة فى دراسة ووصف النصوص الأدبية القديمة المطبوعة من وجهة نظر تاريخ ونقد النصوص. وماكرو لم ينظر فكرة الببليوجرافيا ولكنه ببساطة أطلق على المشكلة التى كان بصددها «العلاقة بين الكتاب المطبوع والنص الأساسى الذى وضعه المؤلف». (٦١٢)

أما جون دونكان كاولى John Duncan Cowley فإنه صدَّر كتابه: الوصف الببليوجرافى والفهرسة: Bibliographic description and cataloguing. London, 1939 بأنه كتاب دراسى ذو علاقةوثيقة بكتاب ماكرو مع بعض التفسيرات الأساسية. وهذه التفسيرات كانت ذات أهمية بالغة لأن مؤلفها كان مدير مدرسة المكتبات بجامعة لندن. وقد فرق كاولى بين ثلاثة أنواع من الببليوجرافيا:

(١) الببليوجرافيا النصية وهو الاسم الذى أطلقه جريج على الببليوجرافيا النقدية التى تتعلق أساساً بتاريخ ونقد الانتاج الفكرى المطبوع المبنى على البحث الببليوجرافى.

(٢) الببليوجرافيا التاريخية: أى تاريخ الكتاب (علم الكتاب).

(٣) الببليوجرافيا الموضوعية.

ويقوم باحثون بريطانيون آخرون بمقابلة الببليوجرافيا النقدية والتاريخية بالببليوجرافيا النسقية أو الحصرية أى تسجيل المطبوعات.

والآن أصبحت الببليوجرافيا - إما عامة وإما موضوعية - ولا نعرف السبب الذى من أجله ذكر كاولى الببليوجرافيا الموضوعية فقط. فالأنواع الثلاثة من الببليوجرافيا التى شرحها كاولى تتطلب «وصف الكتب»:[٦١٣]

«الببليوجرافيا الموضوعية تتطلب وصفاً مختصراً لتحقيق كل عمل وطبعته. أما الببليوجرافيا التاريخية والنصية الأولى هى الببليوجرافيا المتعلقة بطرق إنتاج الكتاب فى فترات معينة أو أماكن معينة والثانية تتعلق بطرق انتقال النصوص المطبوعة. وكلاهما ينبثق من الوصف الكامل قدر الامكان».

أما الفروق الأساسية بين الأنواع الثلاثة من الببليوجرافيا كما وردت على لسان كاولى فتكمن فى شئ آخر: إن وصف الكتب فى الببليوجرافيا النصية والتاريخية يختلف عنه فى الببليوجرافيا الموضوعية حيث أن هذه الأخيرة تفحص «ليس الجوانب المادية فى الكتاب.. والظروف المحيطة بنشره.. ولكن الموضوع والأفكار التى تم التعبير عنها فى الكتاب» ومن هذه النقطة خلص كاولى إلى أنه: - «إذا كان النوعان الأولان من الدراسة ببليوجرافيين فإن الثالث بصعوبة شديدة فقط يدخل تحت مصطلح الببليوجرافيا» ورغم ذلك فإنه قد استخدم مصطلح الببليوجرافيا الموضوعية لأن الوقت كان قد تأخر لادخال مصطلح بديل عنه، ذلك أنه فى الواقع اعتقد أن الببليوجرافيا الموضوعية لم تكن ببليوجرافيا على الإطلاق ولكن «تاريخ فكرى».

ومما لاشك فيه أن ثمة علاقة وثيقة بين الببليوجرافيا والتاريخ الفكرى وهى حقيقة جرى التأكيد عليها فى هذا الكتاب. ومن جهة ثانية لايمكن انكار أن الببليوجرافيا الموضوعية تنطوى على وصف للكتب. ومنذ القرن السابع عشر كان جامعو الببليوجرافيات الموضوعية[٦١٤] يحرصون على معالجة ليس فقط الأعمال ذات الصلة بل كذلك كل طبعاتها المطبوعة. ولايمكننا أن نعترض على حقهم - مثل جامعى الببليوجرافيات العامة - في أن يطلقوا على عملهم اسم ببليوجرافيا. ولم يعترض أى أخصائى بريطانى حديث على ذلك. ومع كل هذا فقد كان كاولى على حق عندما أعلن أن نفس مصطلح ببليوجرافيا يجب ألا يستخدم لتاريخ ونقد الانتاج المطبوع (بما فى ذلك تاريخ الكتاب) نفس استخدامه لاعداد قوائم المطبوعات. لأن هذه الأخيرة لاتشترك مع الأولى فى شئ عام إلا فى أنهما يبدأن بوصف مفردات الكتب ويمكننا أن نرى ذلك بوضوح من قراءة المقالات الممتازة عن الببليوجرافيا فى دوائر المعارف الحديثة بالانجليزية[٦١٥] والتى تعالج كلاً من الببليوجرافيا النسقية والنقدية على حدة. ولكن لماذا يتخلى مصطلح استخدم «لوصف الانتاج الفكرى» منذ مطلع القرن الثامن عشر فجأة عن نفسه لمجال آخر دخل حديثاً فقط فى مطلع القرن العشرين، ألم يكن من الأوفق استخدام مصطلح آخر غير الببليوجرافيا النقدية لتاريخ ونقد النصوص الفكرية المطبوعة؟ عندما أدخل جريج هذا المصطلح سنة ١٩١٢ وافق معظم المختصين فى القارة مرحلياً على تحديد نطاق الببليوجرافيا الذى استخدم من حين لآخر فى معناه الواسع إلى مجرد تسجيل الإنتاج الفكرى وكذلك على نظرية المعلومات عن قوائم الإنتاج الفكرى. وبسبب الانجازات الرائدة التى قام جريج وزملاؤه فى مجالات الببليوجرافيا فإنهم لم يعطوا أدنى اهتمام إلى تضييق مفهوم الببليوجرافيا فى القارة بعد تشتت هذا المفهوم فترة طويلة. وهم لم يكتفوا بتوليد نزاعات مصطلحية غير مثمرة فى بلدهم بل أيضاً جعلوا الاتفاق الدولى على المصطلحات المستقرة صعباً للغاية. فما يسمى الان ببليوجرافيا نقدية فى انجلترا لا يعتبر

ببليوجرافيا من أى نوع فى القارة وإنما يدخل فى علم اللغة ولذلك لا نجد ذكراً للببليوجرافيا النقدية فى كتب الببليوجرافيا الفرنسية أو الألمانية الدراسية.(٦١٦)

إن المفهوم الواسع للببليوجرافيا الذى يضم الببليولوجيا وعلم المكتبات والذى ساد انجلترا حتى مطلع القرن العشرين انتقل كذلك إلى الولايات المتحدة. وهناك عاش المفهوم الواسع فترة أطول مما عاش فى بريطانيا ويقف الكتاب الدراسى المعيارى فى الولايات المتحدة. وهناك عاش المفهوم الواسع فترة أطول مما عاش فى بريطانيا ويقف الكتاب الدراسى المعيارى فى الولايات المتحدة والذى وضعه فان هوزن و والتر بعنوان: الببليوجرافيا: العملية، الحصرية، التاريخية. نيويورك ١٩٢٨ شاهداً حياً على ذلك.

Henry Bartlett Van Hoesen and Frank Keller Walter = Bibliography, practical, enumerative, historical. New york, 1928.

هذا الكتاب يعالج - فى ترتيب غير واضح المعالم - الببليوجرافيا العملية(٦١٧) (طرق البحث العلمى) - الببليوجرافيا الحصرية (الببليوجرافيا الموضوعية) - علم المكتبات(٦١٨) - المراجع العامة - ثم مرة أخرى الببليوجرافيا الحصرية (الخاصة(٦١٩) - الوطنية - العالمية) وأخيراً الببليوجرافيا التاريخية (تاريخ الكتابة، الطباعة، المكتبات).

وبينما قام ايسديل فى كتابه الذى نشر بعد هذا العمل بخمس سنوات بالتركيز على الطباعة ووصف الكتب القديمة ونأى تماماً عن نظرية وتاريخ المكتبات فإن فان هوزن و والتر أعطيا الأولوية لمعالجة قوائم الكتب وغيرها من الكتب المرجعية. وهما لم يتطرقا إلى الببليوجرافيا النقدية بالمعنى الذى ذهب إليه جريج، ويبدو لنا أنه فى ذلك الوقت فى الولايات المتحدة وعلى الرغم من اسمها أنها لم تكن جزءاً من الببليوجرافيا. ولكن الوضع لم يلبث أن تغير حين قام فردسون بورز Fredson Bowers أكبر مدافع عن «الببليوجرافيا النقدية» فى الولايات المتحدة بكتابة مقاله «ببليوجرافيا» فى دائرة المعارف البريطانية سنة

١٩٦٢ وفى هذه المقالة سوى بورز بين الببليوجرافيا الحصرية والنقدية فى الرتبة ويقفان جنباً إلى جنب. وعلى خلاف جريج وكاولى يستخدم بورز مصطلحات مختلفة فما يجمع جريج وكارولى تحت الببليوجرافيا النقدية أو النصية ـ يقوم بورز بتقسيمه ـ دون الالتفات إلى ما هو مستخدم فى القارة ـ إلى :

١- تحليلية (أو نقدية)

٢- وصفية

٣- نصية

فالببليوجرافيا التحليلية هى الفحص النقدى للكتاب المطبوع أما الببليوجرافيا الوصفية فهى تسجيل نتائج هذا الفحص أما الببليوجرافيا النصية فهى تقييم تاريخ ونقد النص.

إن تجديداً آخر دخل إلى الولايات المتحدة له أهمية خاصة فى هذا البحث. فمنذ القرن السابع عشر قام بعض الباحثين الجادين من حين لآخر بنشر ببليوجرافيا الببليوجرافيات. وكانت ببليوجرافية بتزهولدت: المكتبة الببليوجرافية. ليبزج ١٨٨٦ ، كانت أطول واحدة فى هذا الصدد Bibliotheca bibliografica. ولقد قام أمين مكتبة درسن مثل من جاء قبله ومن جاء بعده يجمع العديد من الببليوجرافيات التى رأى أنها مفيدة للباحثين. ولقد شهد النصف الثانى من القرن التاسع عشر المزيد من ببليوجرافيا الببليوجرافيات. ولقد قامت بعض المكتبات بدءاً من المتحف البريطانى سنة ١٨٥٩ بطبع فهرس للمراجع الموجودة فى قاعة المطالعة. هذه الفهارس لم تساعد الباحثين فى هذه المكتبة فقط ولكنها جاءت أداة هامة تعطى معلومات أساسية عن الكتب المرجعية فى كل المجالات لكل الناس خارج تلك المكتبات. حقاً إن تلك الفهارس لم تحصر كل الكتب فى المجال ولكنها غطت أساسيات كل مجال.

لقد اهتم أمناء المكتبات العامة فى الولايات المتحدة بتجمع الكتب المرجعية لأنهم اعتبروا العمل المرجعى من أنبل الوظائف والواجبات المهنية. ففى مطلع

هذا القرن نشر اتحاد المكتبات الأميريكية قائمة مشروحة بالكتب المرجعية الأساسية توفرت عليها أليس برتا كروجر بعنوان: دليل دراسة واستخدام الأعمال المرجعية. شيكاغو ١٩٠٢.

Alice Bertha Kroeger: A guide to the study and use of reference works. Chicago, 1902.

وهذه القائمة كانت تعتبر نموذجاً لاعداد مكتبة مراجع وأداة معينة لمرشد المراجع ودليلاً لتدريب أمناء المكتبات. ولأن هذا العمل أثبت فائدته وفاعليته تمت مراجعته وتنقيحه وتوسيعه عدة مرات تحت رعاية ـ بعد كروجر ـ ايزادور جلبرت مدج ـ كونستانس وينشل ـ ثم أخيراً ش شيهى ـ. وتدخل الكتب الدراسية الببليوجرافية فى دليل المراجع هذا بين ببليوجرافيات الببليوجرافيات. ولكنه كما يدل عليه عنوانه يدرج ليس فقط الببليوجرافيات ولكن أيضاً كل أنواع الأعمال المرجعية التى تقدم معلومات مختلفة مثل الأدلة والموجزات الارشادية ـ المعاجم اللغوية ـ دوائر المعارف.. باختصار كل الأدوات التى يحتاجها أمين المكتبة فى إجابة استفسارات القراء.

واحتذاء للنمط الأمريكى وأيضاً لأدلة الإنتاج المتخصص لجأ مؤلفو الأدلة الأوربيون ومؤلفو كتب الببليوجرافيا إلى اعتبار كل الأدوات المساعدة فى الحصول على المعرفة مثل الببليوجرافيات. هذه الأدوات رغم أنها ليست ببليوجرافيات تقدم معلومات هامة عن المطبوعات.[٦٢٠] وهكذا فإن مجال الببليوجرافيا لم يعد يقتصر على دراسة القوائم على الأقل لفترة، بل ربما أخذ ذلك على أنه جانب من نظرية قوائم المطبوعات.

استخدام المصطلح فى مناطق أخرى

فى القرن التاسع عشر كما كان الحال فى القرن الثامن عشر لم يتقدم الأخصائيون من الدول الأخرى باقتراحات جديدة سواء بالنسبة لنظرية الببليوجرافيا أو مصطلحاتها. ولقد قبلوا إما المفهوم الألمانى الأضيق أو الفرنسى

الأوسع.[٦٢١] ولقد بنى خلفاؤهم فى القرن العشرين على تلك القاعدة. وباستثناء الببليوجرافيين السوفيت استمروا فى الحفاظ على المفهوم الألمانى أو الفرنسى أو الانجليزى - الأمريكى الذى بنى على النمط الفرنسى. كثير من المنظرين اتبع شنيدر بعد الحرب العالمية الأولى وملكلس بعد الحرب العالمية الثانية. ومنهم من لم يقبل المفهوم الواسع للببليوجرافيا، ذلك المفهوم الذى يشمل كل شئ يتعلق بالكتب والمكتبات. ذلك أن معظم الأخصائيين من الدول الأخرى يفضلون قصر مصطلح الببليوجرافيا على وصف الإنتاج الفكرى وقوائم الإنتاج إلى جانب نظرية ومعلومات القوائم على الرغم من أن التعريف فى معظم الوقت لم يكن مرضياً.

ومع كل هذا فإن الببليوجرافى الهولندى ج ف. فاندرهايدين عندما أعلن فى سنة ١٩٤٩ - خلافاً لبيان كارون سنة ١٩٣٩ - أن هذا هو المفهوم المقبول عموماً فى القارة للببليوجرافى[٦٢٢] قد نسى أن الببليوجرافيا قبل ذلك كانت تعنى فى ألمانيا وفرنسا معرفة الإنتاج الفكرى.

لقد كان الببليوجرافيون السوفيت نشطاء جداً خلال العقود الماضية (قبل سنة ١٩٧٠) فقد دارت نظرياتهم الببليوجرافية حول المفهوم الضيق للببليوجرافيا ولكن التركيز كان على أن تخدم الببليوجرافيا الحزب الشيوعى. ولقد تم التعبير عن أفكارهم فى عدة مقالات ممتعة ترجمت إلى الألمانية ونشرها المعهد المركزى لشئون المكتبات فى برلين الشرقية تحت عنوان بعض المشكلات الببليوجرافية:

Zentralinstitut für Bibliothekswesen in East Berlin: Zu neuen Problemen der Bibliographie. Leipzig, 1955.

ولا يمكن شرح النظرية السوفيتية فى الببليوجرافيا بدقة إلا من خلال كلمات المحرر فى هذه المجموعة بالمقدمة:

«إن الببليوجرافيا السوفيتية تعتبر من بين واجباتها النبيلة أن تختار من بين الأعمال المتزايدة التى تنشر باستمرار الانتاج الصالح للعلم والبحث والتطبيقات

العملية فى الإنتاج الصناعى والزراعى وأن تضع هذا الانتاج الفكرى فى خدمة الدولة من خلال التجميعات الببليوجرافية المختلفة. إن الببليوجرافيا السوفيتية لها أهمية خاصة فى جعل كتب الاجتماع والأدب متاحة لقوى الشعب العاملة. وفى قرار سنة ١٩٤١ للجنة المركزية للحزب الشيوعى بالاتحاد السوفيتى عن النقد الأدبى والببليوجرافيا اعتبرت هذه المجالات (النقد الأدبى والببليوجرافيا) أدوات هامة للدعاية والتربية الشيوعية. ولقد جرى التأكيد على أهمية الببليوجرافيات الخاصة بالإنتاج المختار لتحسين المستوى السياسى والثقافى والتكنولوجى للمجموع. كما جرى التأكيد المشدد على دور العمل الببليوجرافى النقدى فى إعادة البناء الاشتراكى. لقد عرف علم المكتبات البورجوازى مفهوم الببليوجرافيا على إطلاقه على أنه الحصر الشامل والوصف والتسجيل لكل الأعمال المنشورة. وهذا المبدأ يؤدى إلى الإدراج الموضوعى غير النقدى للمطبوعات التافهة وغير البحثية. وعلى النقيض من هذه الممارسة فإن الببليوجرافيا السوفيتية تستهدى بمبدأ «الانتقائية» أى الاختيار الواعى للإنتاج الفكرى من وجهة النظر البحثية. وبهذه الطريقة يتم التركيز على ببليوجرافيا «الأعمال الموصى بها» و«الببليوجرافيا الانتقائية».

هذه العبارات ليست فيها حدة مقالة «ببليوجرافيا» فى دائرة المعارف البلشفية السوفيتية (موسكو ١٩٥٠).

"Bibliografija" in Bol'saja Sovetskaja enciklopedija, Moscow, 1950.

كما أنها ليست العبارات الأخيرة. إنها تقصد فقط قوائم الإنتاج الفكرى التى تنتجها المكتبات العامة (مكتبات الجموع فى التعبير السوفيتى Mass Libraries). بهدف التعريف بالإنتاج الفكرى ولا تتعلق بالببليوجرافيات الوصفية الشاملة التى تهدف فى كل مكان وحيث حرية المطابع والنشر إلى الحصر الشامل ومن ثم تحصر حتى الإنتاج الفكرى الهابط. كما أن هذه العبارات لا تمس الببليوجرافيات الموضوعية البحثية التى يتم تجميعها فى جميع أنحاء العالم من

خلال تطبيق معايير نقدية على العناوين المدرجة. وفى الظروف الراهنة فى الاتحاد السوفيتى لا نندهش للتقدير العالى الذى يمنح للببليوجرافيات الانتقائية «الأعمال الموصى بها». وهذه الببليوجرافيات غير معروفة فى الغرب حيث أن الاختيار والتوصية لا يحكمهما معيار واحد وانما العديد من المعايير فى مجتمع ديمقراطى.

ولقد ساد المفهوم السوفيتى للببليوجرافيا فى كل دول أوربا الشرقية[٦٢٣] بحيث كان من بين الأهداف التى طرحت للنقاش فى المؤتمر الثانى لمدارس علم المكتبات فى جامعات الدول الاشتراكية والذى انعقد فى معهد علم المكتبات بجامعة همبولت فى برلين الشرقية مايو ١٩٦٢:[٦٢٤]

«الببليوجرافيا هى نظرية قوائم الانتاج الفكرى، وطرق إعدادها، واستخدامها وأهميتها للمكتبات والبحث العلمى». ومع ذلك فقد حدد المؤتمر طبيعة وواجبات الببليوجرافيا على النحو الآتى: «الببليوجرافيا تجمع وتصف وتقيم الانتاج الفكرى بحيث تسهم فى تنمية الأيديولوجية الماركسية والتطوير المطلق للعلوم والتكنولوجيا، واشباع الحاجات الثقافية والتربوية العامة لطبقات الشعب العاملة». وهذا التعريف الثانى يختلف عن الأول ليس بسبب محتواه السياسى ولكن فى إشارته إلى الببليوجرافيا باعتبارها «وصف الإنتاج الفكرى» أما الأول فإنه يرى الببليوجرافيا كمجال للتعليم يتعلق «بقوائم الإنتاج الفكرى».

ولقد أعلن تودور بوروف Todor Borov ـ وهو واحد من أهم المختصين البلغاريين وكان أحد المؤتمرين فى المؤتمر سابق الذكر والذين وصفوا الببليوجرافيا على أنها مجال للتعليم على مستوى الجامعة ـ أعلن أن تعليم الببليوجرافيا يجب أن يصاحبه مقرر مختصر فى تاريخ وتنظيم العلوم.[٦٢٥] ولقد وافق على ذلك أعضاء «المؤتمر الدولى عن مشاكل الاعداد المهنى الجامعى لأمناء المكتبات» المنعقد فى براغ مارس ١٩٥٨.[٦٢٦] ولكن للأسف كان من الصعب أن نجد أساتذة متخصصين فى هذا النوع من المقررات.

تسميات البيليوجرافيات

كشفت عناوين القوائم التى نشرت فى خلال القرن التاسع عشر عن أن الببليوجرافيين لم يكونوا راغبين فى هجر التقاليد القديمة فتواترت التسميات المشتقة من كلمة ببليوجرافيا من حين لآخر كما رأينا سابقا[٦٢٧] ولكن مع ذلك وحتى منتصف ذلك القرن كان هناك عدد كبير من العناوين اشتق من كلمة «مكتبة Bibliotheca». وهذا أمر مدهش لأن هذه المصطلحات لها عدة معانى وعلى سبيل المثال فإن (مكتبة النبات) Bibliotheca Botanica يمكن أن تكون ببليوجرافيا عن النبات أو دورية متخصصة فى علم النبات أو مجموعة مطبوعات فى النبات. وفى نهاية القرن التاسع عشر فقط أصبحت كلمة ببليوجرافيا ومرادفاتها فى اللغات الأخرى هى المفضلة فى تسمية كل أنواع قوائم الإنتاج الفكرى.[٦٢٨] ولم تعد العلوم فى المجتمع الصناعى الحديث تسمح بالعناوين الغامضة بعد. واستخدام مصطلح ببليوجرافيا فى أيامنا هذه بصفة مستمرة هو استخدام من فترة قصيرة. وقد قبل فى نفس الوقت أن يستخدم المصطلح الدال على القائمة للدلالة على المجال كذلك بحيث يستخدم لنظرية المعلومات عن قوائم الإنتاج الفكرى.

ويصدق ذلك على ألمانيا كما يصدق على الدول الأخرى. ولقد حاول كريستيان جوتلوب كايزر- Christian Gottlob Kayser - استبدال كلمة ببليوجرافيا[٦٢٩] فى عنوان قائمة كتب بكلمة «معرفة الكتب Bücherkunde» فسمى الببليوجرافية الوطنية الراجعة التى نشرها فى ليبزج وقدم لها فردريش ادولف ايبرت «معرفة الكتب الألمانية ١٨٢٥-١٨٢٧» Deutsche Bücherkunde وربما شجعه ايبرت على ذلك لأن هذا الأخير قد أسف علناً لأن التعبير الألمانى «معرفة الكتب Bücherkunde» قد حلت محله كلمة ببليوجرافيا Bibliographie. ولكن من الواضح أن عنوان هذه القائمة لم يلق قبولاً ولم يكن دالاً. وعلى أية حال فإن كايزر قد اختار للطبعة الثانية من عمله (ليبزج ١٨٣٤-١٨٣٦) عنواناً استخدمه سلفه فيلهلم هينزوس من أربعين عاماً قبله وهو معجم الكتب Bücher - Lexikon.

وفيما تبقى من عقود القرن التاسع عشر لم تستخدم كلمة معرفة الكتب إلا مرتين فى تسمية قائمة بالإنتاج الفكرى.(٦٣٠) وهما:

- Karl Christoph Stiller: Deutsche Bücherkunde der Freimaure rei, Rostock, 1830.

البيليوجرافية المعمارية

- Reinhold Taute: Maurerische Bücherkunde. Leipzig, 1885.

أما فى قرننا العشرين فقد تردد استخدامها ويعزى ذلك إلى تأثير عنوان إحدى البيليوجرافيات عندما استخدم فيكتور لووى اسمه الحقيقى فى عمل نشر أصلاً تحت اسم مستعار هو ف. فورستر - F. Förster - بعنوان: الدليل النقدى إلى الإنتاج الفكرى التاريخى لطلاب وأصدقاء علم التاريخ. برلين ١٩٠٠، وعندما نشره سنة ١٩٠٣ سماه «معرفة كتب التاريخ الألمانى».

- Bücherkunde der deutschen Geschichte. Berlin, 1903.

وتحت هذا العنوان الجديد شهد العمل أربع طبعات أخرى. وقد شرح المؤلف فى المقدمة أنه باختياره لأهم المطبوعات عن التاريخ الألمانى والتعليق عليها كان فى ذهنه هدف آخر بخلاف جامعى البيليوجرافيات النموذجية الدائمة مثل التى أعدها دالمان فيتز Dahlmann - Waitz(٦٣١) (وعنوانها: معرفة مصادر التاريخ الألمانى Ouellenkunde der deutschem Geschichte . ولا نعتقد أن لووى كان لديه الفكرة الخاطئة بأن مجرد عنوان العمل يمكن أن يدل على خصائص (معرفة الكتب Bücherkunde) وانما جاء تأثير هذا الكتاب من النحو الذى فهم به المصطلح بمعناه الضيق المحدود.

بيد أن روبرت ف. ارنولد Robert F. Arnold الذى نشر كتابه :

- Allgemeine Bücherkunde zur neueren deutschen Literaturgeschichte. Strassburg, 1910.

أى بيليوجرافيا الإنتاج الفكرى الألمانى العام لتاريخ الأدب.

لم يفكر فى معرفة الكتب بهذا المعنى الضيق كما فعل الباحثون المتأخرون. وقد أعلن فى مقدمة عمله هذا «أن القسم الأول منه والذى يحصر فيه الكتب الموسوعية فى مجاله موجه بالدرجة الأولى إلى طلاب الجامعة، بينما الأقسام الأخرى ـ كملاحق للكتب الدراسية ـ ذات نفع للزملاء فى المجال بصرف النظر عن السن أو الخبرة». ولكن منذ العشرينات مال الببليوجرافيون الألمان إلى استخدام مصطلح معرفة الكتب Bücherkunde كعنوان لقوائم الإنتاج الفكرى أو الأدلة الدراسية الموجهة أساساً للمبتدئين أو للعامة والتى تسجل أعمالاً مختارة فقط والتى يمكن أن تكون مشروحة بقدر الامكان.[٦٣٢] وأصبح الانسان يشير إلى «معرفة الكتب» كما يشير إلى «الببليوجرافيا» بل وكان المرء يسمع من حين إلى آخر مصطلح «معرفة الكتابات» Schrifttumskunde.[٦٣٣] ولكن لم يكن من المعتاد عموماً تسمية قوائم الإنتاج الفكرى باسم «ببليوجرافيا» تلك القوائم الموجهة للمتخصصين والتى تجنح نحو الشمول فى التغطية. وكان الميل إلى استخدام معرفة الكتب Bücherkunde للقوائم المختارة فى مجال معين مثل أدلة مطبوعات طلبة الكليات أو الجمهور العام. ولو أن هذه أصبحت القاعدة لكان تقليد عنوان لووى Loewe قد أنتج نتيجة غريبة. ومن هنا نستطيع تفسير أن Bücherkunden (أدلة الإنتاج الفكرى) هو نوع من الببليوجرافيات ولكن الببليوجرافيا (كموضوع علمى) هى نوع من معرفة الكتب Bücherkunde. وسيكون ذلك نقطة هامة فى تاريخ مصطلحات الببليوجرافيات الملئ فى الواقع بالمفاجآت والعجائب.[٦٣٤]

واليوم ليس هناك سوى عدد محدود من الببليوجرافيات التى يطلق عليها اسم «مكتبة» Bibliotheca. أما التعبيرات الأخرى التى استخدمت ذات مرة كعناوين لقوائم الإنتاج الفكرى لم تعد مستخدمة وبدلاً من ذلك دخلت تسميات أخرى وعلى سبيل المثال فى فرنسا Bulletin و répertoir وفى مصر «نشرة» وجامعة الدول العربية «نشرة».

أما المصطلح كشاف Index ففضلاً عن استخدامه فى:

فلم يستخدم لفترة طويلة وبعد دخوله إلى الخدمة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فإنه دخل ليدل على معنى محدود للغاية. أما اليوم وبسبب الاستخدام الأمريكى فإنه يستعمل عادة للأداة التى تحلل محتويات الدوريات وقد بدأ هذا النوع من الأدوات ويليام فردريك بول William Fredrick Poole سنة ١٨٤٨ وما بعدها.(٦٣٥) وقد استخدم المصطلح بعد ذلك ليدل على فئة على قدم المساواة مع الببليوجرافيات. هذا المصطلح فى الانجليزية وغيرها من اللغات يقابل فى الألمانية المصطلح الألمانى Register.

الخلاصة

إن نتائج هذا البحث تكشف عن الحاجة إلى دراسات أخرى تكميلية عن دول أخرى. فأنا لم أقصد أن أكتب تاريخاً للببليوجرافيا، ولكننى عمدت إلى الإجابة عن سؤال مستخدماً البحث التاريخى عن المعانى المختلفة لمصطلح ببليوجرافيا. وقد غطيت النقاط الآتية على وجه الخصوص:

١ - أصول مصطلح «ببليوجرافيا»

دخل المعنى الحديث للمصطلح إلى الإستخدام العلمى سنة ١٦٣٣ على يد جابرييل نوديه وخلال القرن السابع عشر كان المصطلح يعنى وصف الكتب، قائمة بالكتب، وعلى وجه الخصوص ـ احتذاء للأعمال الناجحة التى تحمل فى عنوانها كلمة ببليوجرافيا ـ أدلة الإنتاج الفكرى، أو قائمة بالمطبوعات الجديدة عرضت بطريقة علمية. واعتباراً من القرن الثامن عشر وبعده كان المصطلح يعنى كذلك وصف الكتب بعامة وجميع أنواع قوائم الإنتاج الفكرى، حيث أطلق على معظم قوائم الكتب حينئذ كما كان الحال فى القرن السادس عشر والسابع عشر بالنسبة لمصطلح مكتبة Bibliotheca ـ ولم يقبل عنوان ببليوجرافيا على نطاق واسع إلا فى القرن التاسع عشر.

٢- تطور مفهوم الببليوجرافيا

كان وصف الكتب فى القرن السابع عشر جزءاً من (التاريخ الفكرى Historia Litteraria) بمعناه المزدوج (التاريخ ومقدمة فى البحث أو المعرفة). وكانت قوائم الكتب لذلك تعتبر إضافة ليس فقط إلى تاريخ العلوم ولكن أيضاً أدوات لتحصيل المعرفة عن الكتب Notitia librorum.

إن معرفة الكتب من الدرجة الثانية أى المعلومات عن القوائم وغيرها من أدوات معرفة الكتب كانت تدرس فى الجامعات والكليات الألمانية فى زمن مبكر فى القرن السابع عشر جزئياً بمبادرة وتحريض من كونرنج ولكنها لم يكن لها اسم محدد تعرف به بنفسها.

٣- تسمية مفهوم الببليوجرافيا

كان مارشاند هو أول من لحم كلمة ببليوجرافيا بمفهوم الببليوجرافيا في سنة ١٧٠٩، انسجاماً مع كلمة جغرافيا: وصف ومعرفة الأرض استخدم مارشاند كلمة ببليوجرافيا بمعنى وصف الكتب مرادفاً للمصطلح اللاتينى notitia rei librariae. وفى نفس الوقت وسع المفهوم أكثر من مجرد معرفة الكتب ليضم علم الكتاب (ببليولوجيا Bibliology) وفى سنة ١٧١١ أى بعد سنتين قام مارتان بتحديد مكان لهذه «الببليوجرافيا» فى نظام تصنيف مكتبات باريس كشعبة من قسم (التاريخ الفكرى). وبدون التقيد بحدود مارشاند لمفهوم الببليوجرافيا، أعطى مارتان تعبيراً لفظياً للحدود الموضوعة للمصطلح هو «معرفة ووصف الكتب». ومن ثم فإن المصطلح الذى كان يستخدم فقط كعناوين للقوائم أصبح تسمية لمجال له مكانه فى تصنيف المعرفة البشرية، لقد ضم مجال الببليوجرافيا - إلى جانب الكتابات عن الكتب بعامة والكتابات عن المكتبات أيضاً - وصف الكتب التى يقصد بها الببليوجرافيات والفهارس وغيرها من الأدوات المعينة على معرفة الكتب.

٤- توسيع وتضييق الببليوجرافيا في فرنسا

خلال القرن الثامن عشر في فرنسا وتحت تأثير من جمع الكتب- Bibliophily- نشأت الببليوجرافيا الطباعية التي تتعلق أساساً بالكتب النادرة والثمينة المطبوعة. وتعايش معها على طول الخط معرفة (ببليوجرافيا) «فكرية» بالكتب ووصفها تلك الجوانب النافعة والبحثية. وفي ختام القرن الثامن عشر التحم الفرعان الخاصان بمعرفة الكتب ووصفها ومتطلباتهما الضافية في دنيا العلوم وتاريخ الكتب تحت الاسم «ببليوجرافيا». ونتيجة لذلك فإن المصطلح عملياً ضم كل ماكان يندرج من موضوعات في (التاريخ الفكري) القديم. هذا الاستخدام في النهاية يرجع إلى دنيس Denis ولكنه لاقى قبولاً أوسع بعد استخدام بيجنوت له. ورغم ذلك فإن مؤلفي ومدرسي الببليوجرافيا في معناها الواسع أهملوا تاريخ العلوم والانتاج الفكري والبحث لحساب تاريخ الكتب والمكتبات. ومن هنا فإن برونيه Brunet في سنة ١٨١٠ اعتبر محتويات الببليوجرافيا هي:

(١) معرفة الكتب والمكتبات في الماضي والحاضر على السواء.

(٢) معرفة الكتب ووصفها، وعلى هذا النحو اعتبرت الببليوجرافيا (بمعناها الواسع) هي العلم الخاص بأمين المكتبة ودرست على هذا الأساس منذ ١٨٦٩ في مدرسة الوثائق بباريس. وفي نهاية القرن التاسع عشر بدأ طلاب سابقون في مدرسة الوثائق هذه، أهمهم على الإطلاق جراند Grand (١٨٨٨) ولانجلوا Langlois (١٨٩٦) في تضييق مفهوم الببليوجرافيا أكثر وقصروه على المعنى الضيق ألا وهو: نظرية ومعلومات قوائم الكتب فقط.

٥- مفهوم معرفة الكتب والببليوجرافيا في ألمانيا

في خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر قبل الباحثون الألمان التفسير الذي وضعه مارتان لمصطلح ببليوجرافيا. ومنذ ذلك الحين تفهم الببليوجرافيا في ألمانيا على أنها ليس فقط «وصف للكتب» وإنما أيضاً «معرفة الكتب». ومع ذلك فإن الاستخدام[٩] الجديد للمصطلح الذي دخل إلى ألمانيا من فرنسا في نهاية القرن

الثامن عشر لم يعتمده كل من ايرش Ersch و ايبرت Ebert واللذين كانا من بين البيليوجرافيين الألمان الثقاة فى مطلع القرن التاسع عشر. ولقد انتشر فى ألمانيا استخدام مصطلحين هما «البيليوجرافيا Bibliographie» و «معرفة الكتب Bücherkunde» لتسمية البيليوجرافيا بمعناها الواسع وكان المعنى الفرنسى الضيق استثناء فى ألمانيا. وكوحدةفدراسية أطلق عليه اصطلاح (تاريخ الكتب Ges-chichte des Bücherwersens) وبعد ذلك (علم المكتبات Bibliothekswissens-chaft). أما البيليوجرافيا بمعناها الضيق فقد أدخلها شنيدر سنة ١٩٢٣: نظرية ومعلومات قوائم الكتب ووصفها، بما يتفق مع معرفة الكتب من الدرجة الثانية، وكما درست فى الجامعات والكليات الألمانية منذ القرن السابع عشر وحتى القرن التاسع عشر فى إطار مقررات (التاريخ الفكرى). والآن تعتبر مجالاً قائماً بذاته له قيمة خاصة بالنسبة لأمناء المكتبات وتجار الكتب.

٦- البيليوجرافيا فى الاستخدام الانجليزى

ساد فى انجلترا حتى القرن العشرين وتحت تأثير «جمع الكتب» المفهوم الذى كان مقبولاً في فرنسا وهو مفهوم بيجنوت. وفى نفس الوقت تم تضييق معنى البيليوجرافيا، (وحتى فى معناها الواسع ضمت البيليوجرافيا البريطانية علم الكتاب (ببليولوجيا) بما فى ذلك تاريخ الكتاب. وهكذا فإنه فى انجلترا كان المحتوى الأساسى للبيليوجرافيا كمجال علمى يدرس لأمناء المكتبات هو وصف الكتب وما يتطلبه ذلك من نقاط خاصة بعلم الكتاب وخاصة تلك المتعلقة بوصف الكتب القديمة المطبوعة: مثل تاريخ فن الطباعة ـ ولقد أطلق على العلم الجديد: البيليوجرافيا النقدية (تاريخ ونقد النصوص الفكرية المطبوعة). هذا العلم لم يكن له علاقة مشتركة مع البيليوجرافيا التقليدية. هذا بينما فى الولايات المتحدة كان لب البيليوجرافيا عند أمناء المكتبات الأمريكية هو نظرية ومعلومات قوائم المطبوعات وغيرها من الأدوات المعينة لمعرفة الكتب كالمراجع على الرغم من أن تلك النقطة ليست بذات قيمة كبيرة لدى البريطانيين.

وفى سنة ١٩٣٩، خلص كارون إلى أن معنى مصطلح ببليوجرافيا يختلف من بلد إلى بلد بينما فى سنة ١٩٤٩ قال فاندرهايدين بأن ثمة مفهوماً أوربياً موحداً عاماً للببليوجرافيا. وربما كان هذا الادعاء مبتسراً حينئذ. أما باستقراء العقود الثلاثة الأخيرة (١٩٤٠-١٩٧٠) فإننا نلاحظ نوعاً من الاتفاق العام على المفهوم ـ على الرغم من اللون السياسى الذى تضيفه دول أوربا الاشتراكية الشرقية. ويصدق ذلك أيضاً على الألمان والفرنسيين الذين كانت لهم آراء متعارضة. أما اتفاقهم الذى يبدو فى الوقت الحاضر فإنه يذهب إلى أبعد من مجرد التعريفات التي شكلوها والتي لاتدل دلالة قاطعة على آرائهم الفعلية. فى ألمانيا وفرنسا تعنى الببليوجرافيا اليوم: وصف الكتب وغيرها من المطبوعات (وصف الإنتاج الفكرى) وعلى وجه الخصوص تسجيل الكتب وقوائم الكتب، كما تعنى أكثر معرفة الكتب وأخيراً نظرية ومعلومات قوائم الكتب وغيرها من أدوات معرفة الكتب.[٦٣٦] ونفس هذا الرأى يشيع فى دول أخرى فى أوربا القارة. والمحتوى الرئيسى للمجال الذى يسمى بالببليوجرافيا هناك ـ كما فى الولايات المتحدة ـ هو نظرية ومعلومات المطبوعات.

هذه «الببليوجرافيا» للتأكيد ليست علماً فى حد ذاتها ولكنها تخدم كل فروع المعرفة البشرية. ومن ثم فإن تطورها وتطور تسجيل الكتب (الضبط الببليوجرافى) ينتمى إلى تاريخ البحث العلمى الحديث.

* * *

الحواشي والاستشهادات

Numerals in parentheses after authors' names cited in the notes refer to the bibliography at the end.

1. Cf. Caron and Jaryc (23), p. 24/15.
2. Cf. Malclès (112). The important work by Simon (161) on foreign bibliography (Moscow 1963) did not come to my attention before the completion of this study. The Soviet author described the development of bibliography (in its narrow sense) during the nineteenth and twentieth centuries in more detail than Malclès did. He did not deal with the subject of this paper.
3. Cf. Ebert (38), p. 47.
4. This may not always be easy because *Schrifttum* [writings] is a German expression for literature, and this in turn is understood as the totality of learned and literary works. In the meantime most people are used to the term, since all the works printed and published in Germany are listed in the annual bibliographies of the Deutsche Bücherei in Leipzig as *deutsches Schrifttum*.
5. In German library terminology, catalogs organized alphabetically by author and title are called alphabetic catalogs; subject catalogs are not designated this way, even though they too have an alphabetical arrangement according to subject headings.
6. Cf. Schneider (155), pp. 1–2.
7. Ebert (38), p. 47, mentioned an Italian printer of the early sixteenth century who used the title of bibliographer; James A. H. Murray (126) gave an example of the humanistic use of the terms bibliographer and bibliography in seventeenth-century England; cf. David Murray (125), p. 3. An example of a quite unusual use of the adjective *bibliographical* occurs in Thomas Tenison's *Baconiana* (London 1679), which is entitled, Baconiana, or Certain Genuine Remains of Sir Francis Bacon ... in Arguments Civil and Moral, Medical Theological, and Bibliographical. What is meant here can be gathered clearly from the book itself: material concerning Bacon's own literary activity (his writing of books). Schneider (155), p. 4, listed an Italian work of 1926 in which authors of literary works are called bibliographers. This wrong usage, imitating antiquity, will be passed over here.
8. A certain Telephos of Pergamon, according to Suidas, compiled at the time of the emperor Hadrian a work dealing with books and entitled it *βιβλιακὴ ἐμπειρία*. In it he discussed which works would be worthwhile to have. Cf. Birt (8), p. 362, and Wendel (190), p. 145, for information about this and similar works.

9. Cf. Schneider (156), 4th ed., p. 2; Besterman (6), pp. 13–18; Malclès (112), p. 9.
10. Those works, for instance, that one would want to recommend to a lover of books for purchase; cf. note 8, *supra.*
11. Cf. Widmann (192), cols. 617–18.
12. Cf. particularly Besterman (6), p. 19, and Blum (13), pp. 235–37 (9–11 resp.); furthermore, the article of Christel Steffen (163) on the first modern bibliographer, Johannes Trithemius, author of the *Liber de scriptoribus ecclesiasticis.*
13. The title for the first part serves also as the title for the whole work.
14. Cf. chapter 3.
15. Cf. chapter 3.
16. Cf. chapter 3.
17. Cf., for example, Sixtus Senensis, *Bibliotheca sancta ex praecipuis catholicae ecclesiae auctoribus collecta* (Venice 1566); Margarinus de La Bigne, *Sacra Bibliotheca Sanctorum Patrum* (Paris 1576).
18. Authors of almost all works on libraries and literary history published during the seventeenth and eighteenth centuries discussed the various meanings of *Bibliotheca*; Jugler (88), T. 1, p. 130, dealt with it in the most detail.
19. Cf. Taylor (176), p. 5. The title that Jodocus a Dudinck had considered for his work is frequently wrongly cited as *Bibliothecographia*. The correct and complete title is: *Bibliothecariographia, hoc est Enumeratio omnium autorum operumque, quae sub titulo Bibliothecae, Catalogi, Indicis, Nomenclatoris, Athenarum etc. prodierunt.* The term *Bibliothecographi* was used during the eighteenth century by Christian Wilhelm Kestner in his *Bibliotheca medica* (Jena 1746). A short list of bibliographers can be found in a work as early as Franciscus Sweertius's *Athenae Belgicae* (Antwerp 1628), pp. 56–58: "List of Those Who Have Written and Published Bibliographies [Libraries], Maxims, Portraits, and Biographies of Men Famous in Literature."
20. Cf. Menestrier (120), I. 1, p. 27; Krüsike (98), p. 27; Fabricius (48), p. 661.
21. This was also the name of the major part of the *Corpus iuris*, also referred to as *Digesta*. It is likely that with this title Gesner wanted to point to the all-embracing character of his work as well as to the systematic organization of this part. Emperor Justinian's *Pandectae* were divided into seven *Partes*; Gesner called his *Pandectae: Partitiones universales*. Michael Neander promised in 1565 a work that he never completed, and that he intended to call *Pandectae*. With it Neander hoped to push the second part of Gesner's work into the background; cf. Morhof (122), Lib. I, cap. 18, II. As far as I know, the title *Pandectae* was used only once more in the bibliographic area, by Christoph Hendreich, the author of the *Pandectae Brandenburgicae*, an enormous universal bibliography, arranged alphabetically, which began publication in Berlin in 1699 but did not go further than the letter *B*. The adjective *Brandenburgicae* was not meant to reflect the content of the work, but was intended as homage to the ruling elector,

for Hendreich was the librarian of the Electoral Library at Berlin. Cf. Paunel (138), p. 19; also Kurt Tautz, *Die Bibliothekare der Churfürstlichen Bibliothek zu Cölln an der Spree* (Leipzig 1925) (Zentralblatt für Bibliothekswesen. Beiheft 53), p. 130.

22. During the early and high Middle Ages, the Bible frequently was referred to as *Bibliotheca*, besides, although rarely as *Pandectes*; cf. Wattenbach (187), pp. 152–56.
23. Cf. Possevino (143), pp. 4–5.
24. Cf. Ziegler (196), especially col. 684, I and 718, I.
25. Cf. Ziegler (196), col. 726, and Gesner (67), I. I, p. 562, s.v. "Photius."
26. Gesner remarked in the passage cited in note 25, "In Venice I saw two Greek volumes of Photius the Patriarch's description and listing of all the authors he had read. . . ."
27. Since the chapters of the Byzantine work resembled the reviews published in the *Journal des Savants* and similar journals, Photius was considered the first journalist. Thus Leibniz referred to him in his justification of a plan for a *Nucleus librarius*; cf. Widmann (193), cols. 624–25; cf. Struve (171), p. 78.
28. Cf. Besterman (6), p. 64, note 120.
29. Such motivations are part of the literary style of the humanist scholars and do not need to be taken literally. Naudé had thoroughly studied political writings available—not as a librarian, but as an author; his major work, *Considérations politiques sur les coups d'état*, printed in 1639, was then very likely already completed in manuscript form; cf. Bissel (9), p. 14.
30. Cf. Fabricius (48), p. 671; Heumann (82), 7th ed., p. 432. Photius and Gesner were considered the most eminent *critics of writers*, as well as Baillet with his *Jugemens des sçavans sur les principaux ouvrages des auteurs*; cf. also p. 70.
31. Cf. chapter 3.
32. Bissel (9) was the first to analyze the contents of the *Bibliographia politica* (selection and evaluation of authors listed by Naudé as the expression of his political views). He achieved remarkable results but went too far when he summarized on page 88, "The *Bibliographia politica* . . . has proven to be a handbook of practical statecraft, characterized by special bibliographic references to the literary history of politics, which are sometimes in the background and sometimes stressed." Certainly, references to literature sometimes take second place to Naudé's own expositions, but what is beyond bibliography in this work belongs to the realm of methodology of study, an area overlooked by Bissel and, as will be demonstrated later, decisive for the character of the *Bibliographia politica*.
33. An enumeration of all editions of the *Bibliographia politica* may demonstrate the dissemination and popularity of the work. Latin texts: Venice 1633; Wittenberg 1641 (edited by August Buchner); Leyden 1642; Amsterdam 1645 (in *Dissertationes de studiis instituendis*) (Hugo Grotius et al.); Helmstedt 1663 (edited by Hermann Conring, together with Gaspar Scioppius's *Paedia politics*);

Frankfurt am Main 1673 (reprint of the preceding edition in Conring's *Opera*); Cambridge 1684 (after *Relectiones hyemales de ratione et methodo legendi utrasque historias, civiles et ecclesiasticas* of Diggory Whear); Halle 1712. French translation: Paris 1642 (Charles Challine, translator).

34. Cf. Naudé (129), p. 45 and (131), pp. 246–56.
35. Cf. Erman and Horn (43), vol. 1, pp. 288 ff. and 383 ff.
36. He later edited Leonardus Aretinus's (Leonardo Bruni's) *De studiis et litteris* (Paris 1642) and Thomas Campanella's *De libris propriis et recta ratione studendi* (also Paris 1642).
37. In the preface to his edition of Battista Guarini's *De ordine docendi et studendi* (Jena 1704).
38. Older guides to the literature of law even warn of a too extensive preoccupation with subject literature. Cf. Fuchs (58), pp. 16–17.
39. In the appendix to his edition of Tacitus's *Germania*.
40. The titles are listed in: the two bibliographies of Georg Draud, Bibliotheca classia (2d ed. Frankfurt am Main 1625) and *Bibliotheca librorum germanicorum classica* (Frankfurt am Main 1611); Henricus Pantaleon's *Prosopographia heroum atque illustrium virorum totius Germaniae* (Basel 1565) (P. I.: *In hac personarum descriptione . . .*); Otto Cosmannus's *Angelographia sive de angelis* (Frankfurt am Main 1597); Nicolaus Reusnerus's *Aenigmatographia, hoc est Sylloge aenigmatum* (Frankfurt am Main 1602); Henricus Winandus's *Ecclipsiographia, Beschreibung aller Finsternusse* (Cologne 1602); Elias Reusnerus's *Stratagematographia sive Thesaurus bellicus* (Frankfurt am Main 1609); and Johannes Tolde's (Thölde's) *Haligraphia, Beschreibung aller Salzmineralien* (Leipzig 1613).
41. The text was also reprinted in the collection *De eruditione comparanda Tractatus* (Leyden 1699), edited by Thomas Crenius.
42. This was established by Johann Gottlieb Krause, who edited the 1715 Leipzig edition; cf. also Reimmann (145), pp. 490–92; then Petzholdt (142), p. 71; Holzmann and Bohatta (83), no. 6615. Besterman (6), p. 78, is mistaken when he cites the *Bibliographia historico-politico-philologica curiosa* as a work by Samuel Schottel, printed in Düsseldorf.
43. Reprint in the collection *De eruditione comparanda* (cited in footnote 41) in the edition of Georg Schubart (Jena 1698); cf. Jugler (88), T. i., p. 66.
44. Cf. Reimmann (145), p. 491.
45. So for instance Conring's *Dissertatio de civili prudentia eiusque optimis ac praecipuis scriptoribus* (Helmstedt 1673), Bose's *Schediasma de comparanda notitia scriptorum ecclesiasticorum* (Jena 1673) and his above mentioned *De comparanda prudentia civili deque libris et scriptoribus ad eam rem maxime aptis Dissertatio*, entitled *Bibliotheca politica contracta* by Schottel.
46. The thirteen editions in chronological order, are:
Naudé's *Bibliographia politica* (Wittenberg 1640); Scheurl's *Bibliographia moralis* (Helmstedt 1648); Naudé's *Bibliographia politica* (Helmstedt 1663); Naudé's *Bibliographia politica* (Frankfurt am Main 1673); Boecler's *Bibliographia historico-politico-philogica*

(Germanopolis [= Frankfurt] 1677); Naudé's *Bibliographia militaris* (Jena 1683); Scheurl's *Bibiliographia moralis* (Helmstedt 1686); Boecler's *Bibliographia historico-politico-philologica* (Germanopolis [= Frankfurt] 1696); Gottschling-Fidler's *Bibliographia ethica* (Leipzig 1701); Meyer's *Bibliographia physico-medica* (Lüneberg 1704); Naudé's *Bibliographia politica* (Halle 1712); Fabricius's *Bibliographia antiquaria* (Hamburg 1713); Boecler-Krause's *Bibliographia critica* (Leipzig 1715).

47. Murray (125), p. 7, mentioned this booklet, which is now no longer cited. The author, Gottfried Wegner, professor at Königsberg, was a prolific writer on theological and philosophical subjects; he is mentioned by Jugler (88) T. 1, p. 86, and in biographical dictionaries. Georg Finwetter is an anagram of Gottfried Wegner; only the *d* in Gottfried is not used in the pseudonym. His *Biblidion* is a worthless compendium. Only his suggestion that the German librarians should establish a society to promote the sciences, enhance their status, improve their salaries, and direct and control book production (p. 74) is worthy of note.
48. Cf. Wegner (188), p. 61.
49. Cf. Vogler (181), pp. 52–55.
50. Cf. chapter 3.
51. Cf. chapter 5 (German Usage). Struve himself mentioned this in his *Bibliotheca philosophica*, p. 132. Very likely he was also familiar with Daniel Hartnaccius's study and literature guide entitled *Anweisender Bibliothecarius der studirenden Jugend durch die vornehmsten Wissenschaften sammt der bequemsten Methode, wie dieselbe zu erlernen von einem zukünfftigen Theologo, Jurisconsulto und Medico, bei welcher jeder ein kurtz- und ordentlicher Catalogus derer besten Bücher an hängt* (Stockholm and Hamburg 1690).
52. Struve cited in his *Introductio*, p. 153, Louis Jacob's *Bibliographia Parisina*, and, in his *Bibliotheca philosphica*, p. 134, Cornelis van Beughem's *Bibliographia juridica et politica*. Regarding the latter he remarked, "But it consists only of a bare listing of titles." In another passage of his *Bibliotheca juris selecta*, p. 3, he significantly called Beughem's work, incorrectly, *Bibliotheca juridica et politica*. He further wrote about him in his *Introductio*, p. 126, "For he [Cornelis van Beughem] . . . excepts libraries in certain fields. . . ."
53. Cf. chapter 7 (Marchand's *Bibliographia: Notitia rei librariae*).
54. Cf. chapter 8 (Designations of Bibliographies [German Usage]).
55. Cf. Reimmann (146), vol. 1, pp. 218, 226, and 245.
56. Cf. Blum (131), pp. 265–95 or 39–69 respectively.
57. This work, of course, could be related to Jacob's earlier intention; it provided current supplements, covering publications of French authors, to the national dictionary of writers he had planned.
58. A *Bibliotheca Belgica manuscripta sive Elenchus universalis codicum mss. in celebrioribus Belgiae coenobiis, urbium ac privatorum hominum bibliothecis adhuc latentium* compiled by Antonius Sanderus appeared in the same publishing house and the same year as Doresmieulx's list (Lille: Toussaint Le Clerc 1641).

59. Cf. chapter 3.
60. *Bibliographia Kempensis sive Eorum qui dissertationibus aut libris editis Thomae Kempensis causam adversus Gersenistas tuendam susceperunt Syllabus alter*. Naudé took part in the famous dispute regarding the authorship of the *De imitatione Christi*; he was with those who attributed it to Thomas à Kempis. The adjective *Kempensis* then was customary to identify this faction. The *Bibliographia Kempensis* was published as an appendix to Georg Heser's work *Adversus Pseudo-Gersenistas Praemonitio nova . . . Juxta editionem factam Ingoldstadii* . . . 1650 (Paris 1651). Heser had reprinted: *Biography and Listing of All the Works of Thomas à Kempis . . . Written by an Anonymous, but Contemporary, Author (Vita et syllabus operum omnium Thomae á Kempis . . . ab auctore anonymo, sed coaevo . . . conscripta)*. This explains the subtitle of Naudé's list, *Syllabus alter*.
61. Murray (125), p. 4, mentioned editions of 1669, 1676, and 1681, all published in Lyon. I myself saw at the Bibliothèque nationale in Paris a supplement to the 1676 edition (Lyon 1684) which was entitled *Bibliographia Anissonianae Supplementum sive Index librorum qui in officina fratrum Anisson, Joan. Posnel et Claudii Rigaud, bibliopolarum Lugdunensium, ab anno 1675 ad annum presentum 1684 ex diversis Europae partibus collecti, reperiuntur, ita ut fere omnes istius Indicis libri noviter his septem ultimis annis editi sunt.* The Bibliothèque nationale is also in possession of the *Bibliographia Anissoniana*, Lyon 1702.
62. To the 1677 annual volume was added a 140-page alphabetical list of unreviewed books that had been published since the publication of the *Journal des Savants* in 1665.
63. Cf. Besterman (6), pp. 61 ff.; Malclès (112), pp. 48 ff.
64. In the introduction to his *Bibliographia juridica et politica*, Beughem gave a survey of his bibliographical projects. The titles of the lists he planned do not indicate a clear differentiation between *Bibliotheca* and *Bibliographia*. The following pair is interesting, though: *Bibliotheca Belgica*, a list of books published by Belgians, and *Bibliographia Belgica*, a list of books printed in Belgium, analogous to the *Bibliotheca Gallorum omnium qui scriptis claruerunt* and the *Bibliographia Gallica universalis* of Father Louis Jacob. Beughem did not indicate that he would continue his planned *Bibliographia Belgica*, and was therefore following not the periodical but the territorial idea in Jacob's work.
65. According to Jugler (88), T. 1, p. 89, Beughem issued continuations; no copy, however, can be traced. I gratefully acknowledge the assistance of the Koninklije Bibliotheek, The Hague, as well as of the university libraries of Amsterdam and Leyden. Since copies of the four *Bibliographies* cited in this text are available in many Dutch and other libraries, it is possible that the editions mentioned by Jugler were never published. Very likely the statements of his informants were based on advance notices. His assertion that the *Bibliography of Mathematics and Crafts (Bibliographia mathematica et artificiosa)*, published in 1688, had been issued as early as 1685, and reissued in

(Germanopolis [= Frankfurt] 1677); Naudé's *Bibliographia militaris* (Jena 1683); Scheurl's *Bibiliographia moralis* (Helmstedt 1686); Boecler's *Bibliographia historico-politico-philologica* (Germanopolis [= Frankfurt] 1696); Gottschling-Fidler's *Bibliographia ethica* (Leipzig 1701); Meyer's *Bibliographia physico-medica* (Lüneberg 1704); Naudé's *Bibliographia politica* (Halle 1712); Fabricius's *Bibliographia antiquaria* (Hamburg 1713); Boecler-Krause's *Bibliographia critica* (Leipzig 1715).

47. Murray (125), p. 7, mentioned this booklet, which is now no longer cited. The author, Gottfried Wegner, professor at Königsberg, was a prolific writer on theological and philosophical subjects; he is mentioned by Jugler (88) T. 1, p. 86, and in biographical dictionaries. Georg Finwetter is an anagram of Gottfried Wegner; only the *d* in Gottfried is not used in the pseudonym. His *Biblidion* is a worthless compendium. Only his suggestion that the German librarians should establish a society to promote the sciences, enhance their status, improve their salaries, and direct and control book production (p. 74) is worthy of note.
48. Cf. Wegner (188), p. 61.
49. Cf. Vogler (181), pp. 52–55.
50. Cf. chapter 3.
51. Cf. chapter 5 (German Usage). Struve himself mentioned this in his *Bibliotheca philosophica*, p. 132. Very likely he was also familiar with Daniel Hartnaccius's study and literature guide entitled *Anweisender Bibliothecarius der studirenden Jugend durch die vornehmsten Wissenschaften sammt der bequemsten Methode, wie dieselbe zu erlernen von einem zukünfftigen Theologo, Jurisconsulto und Medico, bei welcher jeder ein kurtz- und ordentlicher Catalogus derer besten Bücher an hängt* (Stockholm and Hamburg 1690).
52. Struve cited in his *Introductio*, p. 153, Louis Jacob's *Bibliographia Parisina*, and, in his *Bibliotheca philosphica*, p. 134, Cornelis van Beughem's *Bibliographia juridica et politica*. Regarding the latter he remarked, "But it consists only of a bare listing of titles." In another passage of his *Bibliotheca juris selecta*, p. 3, he significantly called Beughem's work, incorrectly, *Bibliotheca juridica et politica*. He further wrote about him in his *Introductio*, p. 126, "For he [Cornelis van Beughem] . . . excepts libraries in certain fields. . . ."
53. Cf. chapter 7 (Marchand's *Bibliographia: Notitia rei librariae*).
54. Cf. chapter 8 (Designations of Bibliographies [German Usage]).
55. Cf. Reimmann (146), vol. 1, pp. 218, 226, and 245.
56. Cf. Blum (131), pp. 265–95 or 39–69 respectively.
57. This work, of course, could be related to Jacob's earlier intention; it provided current supplements, covering publications of French authors, to the national dictionary of writers he had planned.
58. A *Bibliotheca Belgica manuscripta sive Elenchus universalis codicum mss. in celebrioribus Belgiae coenobiis, urbium ac privatorum hominum bibliothecis adhuc latentium* compiled by Antonius Sanderus appeared in the same publishing house and the same year as Doresmieulx's list (Lille: Toussaint Le Clerc 1641).

59. Cf. chapter 3.
60. *Bibliographia Kempensis sive Eorum qui dissertationibus aut ilbris editis Thomae Kempensis causam adversus Gersenistas tuendam susceperunt Syllabus alter*. Naudé took part in the famous dispute regarding the authorship of the *De imitatione Christi*; he was with those who attributed it to Thomas à Kempis. The adjective *Kempensis* then was customary to identify this faction. The *Bibliographia Kempensis* was published as an appendix to Georg Heser's work *Adversus Pseudo-Gersenistas Praemonitio nova . . . Juxta editionem factam Ingoldstadii* . . . 1650 (Paris 1651). Heser had reprinted: *Biography and Listing of All the Works of Thomas à Kempis . . . Written by an Anonymous, but Contemporary, Author (Vita et syllabus operum omnium Thomae á Kempis . . . ab auctore anonymo, sed coaevo . . . conscripta)*. This explains the subtitle of Naudé's list, *Syllabus alter*.
61. Murray (125), p. 4, mentioned editions of 1669, 1676, and 1681, all published in Lyon. I myself saw at the Bibliothèque nationale in Paris a supplement to the 1676 edition (Lyon 1684) which was entitled *Bibliographia Anissonianae Supplementum sive Index librorum qui in officina fratrum Anisson, Joan. Posnel et Claudii Rigaud, bibliopolarum Lugdunensium, ab anno 1675 ad annum presentum 1684 ex diversis Europae partibus collecti, reperiuntur, ita ut fere omnes istius Indicis libri noviter his septem ultimis annis editi sunt*. The Bibliothèque nationale is also in possession of the *Bibliographia Anissoniana*, Lyon 1702.
62. To the 1677 annual volume was added a 140-page alphabetical list of unreviewed books that had been published since the publication of the *Journal des Savants* in 1665.
63. Cf. Besterman (6), pp. 61 ff.; Malclès (112), pp. 48 ff.
64. In the introduction to his *Bibliographia juridica et politica*, Beughem gave a survey of his bibliographical projects. The titles of the lists he planned do not indicate a clear differentiation between *Bibliotheca* and *Bibliographia*. The following pair is interesting, though: *Bibliotheca Belgica*, a list of books published by Belgians, and *Bibliographia Belgica*, a list of books printed in Belgium, analogous to the *Bibliotheca Gallorum omnium qui scriptis claruerunt* and the *Bibliographia Gallica universalis* of Father Louis Jacob. Beughem did not indicate that he would continue his planned *Bibliographia Belgica*, and was therefore following not the periodical but the territorial idea in Jacob's work.
65. According to Jugler (88), T. 1, p. 89, Beughem issued continuations; no copy, however, can be traced. I gratefully acknowledge the assistance of the Koninklije Bibliotheek, The Hague, as well as of the university libraries of Amsterdam and Leyden. Since copies of the four *Bibliographies* cited in this text are available in many Dutch and other libraries, it is possible that the editions mentioned by Jugler were never published. Very likely the statements of his informants were based on advance notices. His assertion that the *Bibliography of Mathematics and Crafts (Bibliographia mathematica et artificiosa)*, published in 1688, had been issued as early as 1685, and reissued in

1688 enriched with new additions is not supported in the *Bibliographia* itself.

66. The wording *Bibliographia eruditorum* corresponded exactly to the title of Labbé's *Bibliographia Reverdorum Patrum S. J.*; cf. chapter 5 (French and Dutch Usage).
67. Cf. Blum (13), p. 295 and 69 respectively.
68. Cf. Morhof (122), p. 179: "A new type of journal they call universal, because they review all books of every nation, field, and language; [and they call it] historical because, content with mere description, they refrain from all criticisms."
69. The list of journals enumerated by Fabricius (48), pp. 853 ff. (1752) shows that the terms *Bibliotheca* and *Acta* were most frequently used as titles, *Bibliotheca* twice as often as *Acta*, about sixty times.
70. Marchand's name does not appear in the *Bibliotheca Bigotiana*, but in his 1709 *Catalogus librorum Bibliothecae Domini Joachimi Faultrier* he cites it as his work.
71. It was not unusual to entitle a section that included bibliographies *Bibliographi*. In old catalogs, one may find as designations for the individual sections the names of either the respective fields (e.g. *Theologia*) the subject specialists (*Theologi*), or the subject literature (*libri theologici*). Sometimes these various principles are used in the same list.
72. Cf. chapter 7 (Marchand's *Bibliographia: Notitia rei librariae*).
73. Gesner's system had been discussed several times and reprinted in excerpts. Samurin dealt with it with most detail (148), vol. 1, pp. 116–27. The Soviet scholar's work—in spite of its party-oriented outlook—surpasses all earlier works on library and bibliographical classification. The particular problems discussed in this paper were only rarely touched by Samurin.
74. The expositions and remarks that Gesner added here and there for the purpose of assisting the scholar should be considered as substitutes for literary references in these areas. Had he known books or passages in books dealing with these, he would have cited them.
75. Cf. Zeltner (195), pp. 177–94, particularly p. 178.
76. Cf. Hottinger (86), p. 81; Christ (25), pp. 67; 75, 2, 76.
77. Cf. Possevino (143), p. 63; also cf. chapter 6. In the work of the conservative Claudius Clemens, *Musei sive bibliothecae . . . extructio* (Lyon 1635), reference works, including lists of authors (*Lexica, Dictionaria, Thesauri, Apparatus, Delectus Latinitatis, Nomenclatores*), complete the listing under grammar, which itself is the next-to-last item. The last group comprises devotional books, cf. Clemens (26), p. 363.
78. Regarding Doresmieulx and Jacob, cf. Blum (13), pp. 278–92 or 52–66 respectively.
79. The library of the Abbé Jean de Cordes, who had died in 1642 (Naudé in his *Advis pour fresser une bibliothèque* called him *des Cordes*), contained besides theological works the more important ones of all other disciplines. This catalog was the first printed list of an important private collection and was much admired because of its organization

and exactness, and because of its length and scope it was for a long time valued highly as a source of reference, almost like a general bibliography; cf. Taylor (174), Index 1 s.v. "Cordes." The catalog was to serve in the sale of the collection, but on Naudé's recommendation Cardinal Mazarin bought it en bloc.

80. Cf. chapter 3.
81. Because of their title *Bibliotheca*, handbooks and collections are also listed; cf. chapter 3.
82. Gottlieb Stolle, *Anleitung zur Historie der Gelahrtheit* (Jena 1718). Like his predecessors and followers, Stolle dealt with the art of poetry according to the customary concept expressed by Bacon (2), lib. 2, cap. 13, in these words: "Poetry is a kind of instruction." Cf. Lempicki (105), pp. 110 and 206–8.
83. Cf. Lempicki (105), pp. 98–117.
84. Cf. Bacon (2), lib. 2, cap. 4.
85. Cf. *ibid*.
86. Cf. Blum (10), pp. 224–27.
87. Cf. the indexes to Reimmann (146) and Stolle (169), 4th ed.
88. Cf. Struve (171), pp. 131 f.; 2d ed., pp. 3 and 25–27. The somewhat polemic text (p. 131: "Since Naudé is highly regarded because he taught the Germans literature as a subject . . .) has been enlarged in Jugler's edition of Struve's work (88), pp. 20f.; it goes as follows: "The French, indeed, made note of Gabriel Naudé as being among the first to teach them literature as a subject. Nor should his praise be diminished for his promotion and systematization of the pursuit of love of books among his countrymen, and especially for his application of the critical art to his system. Meanwhile he had German predecessors, viz. Conrad Gesner, Michael Neander, George Braudius and others who were his superiors in age; and, what is more, it should be said that he was aroused by the industriousness of the Germans to present the subject of literature more exactly. However, in his tracks there stepped successively among us Aug. Buchnerus, Petr. Lambecius, Herm. Conringus, Jo. Henric Boeclerus, Joh. Andr. Bosius, Da. Ge. Morhofius, Otto Menchenius, Conr. Sam. Schurzfleischius, Casp. Sagittarius, Ge. Schubartus, Martin Hanckius, Val. Henr. Voglerus, Vinc. Placcius, Henric. Meibomius, Christ. Thomasius, Guil. Br. Tenzelius and also Joh. Reiskins." (Most of these scholars have already been mentioned in this paper or will be mentioned later.) Johann Gottlieb Olearius opposed Struve's "nationalistic" viewpoint without mentioning his name in his work *De utilitate rei literariae in jurisprudentia* (Königsberg 1713). Fuchs (58) cited from this work the following passage: "Literature as a subject had its beginning in the not-too-distant past—indeed it was in the age of Gabriel Naudé that it had its infancy and not from Conrad Gesner, Michael Neander, and Geo. Braudius—thus the literary history of law is taken from almost the same sources. But I understand it to be the critical and learned study of literature, and not the historical examination of books of law, which indeed it meant before Naudé."
89. Concerning Lambeck, cf. Stock's compilation of literature (167), p. 207.

90. This is confirmed, for example, through the title of the enormous literary-historical work composed by the Fathers of the Congregation de St. Maur: *Literary History of France in Which Is Treated the Beginning and Progress, the Decline and Revival of the Sciences among the Gauls and the French, the Inclination and Talent of the Former and the Latter for the Literature of Every Century; Their Old Schools, the Establishment of Universities in France, the Major Colleges, the Academies of Sciences and Arts, the Major Old and Modern Libraries, the Most Famous Printing Houses, and of All That Which Relates to Literature; Together with the Historical Praises of the Gauls and French Who Have Gained Some Reputation, the List and Chronology of Their Writings, Historical and Critical Observations about the Principal Works, the Enumeration of the Different Editions, All Documented with Citations from the Original Authors. By the Benedictine Order of the Congregation of St. Maur.* (*Histoire littéraire de la France, ou l'on traite de l'origine et du progres, de la décadence et du rétablissement des sciences parmi les Gaulois et parmi les François, du gout et du génie des uns et des autres pour les lettres en chaque siècle, de leurs anciennes écoles, de l'établissement des Universitez en France, des principaux Collèges, des Academies des Sciences et des Belles Lettres, des meilleurs Bibliothèques anciennes et modernes, des plus célèbres imprimeries et de tout ce qui a rapport particulier a la littérature, avec les éloges historiques des Gaulois et des François, qui s'y sont fait quelque réputation, le catalogue et la chronologie de leurs écrits, des remarques historiques et critiques sur les principaux ouvrages, le dénombrement des différents éditions, le tout justifié par les citations des auteurs originaux. Par les Religieux Bénedictins de la Congrégation de St. Maur*) (Paris 1733–63).
91. Cf. Struve (171), 2d ed., pp. 5 and 7.
92. Cf. *ibid.*, p. 43: "Nor does it [the *res literaria* or rather *notitia rei litterariae*] yet consist in books only, but also in the knowledge of libraries, the study of manuscripts, discerning the wishes of the learned, their disputes, and new ideas."
93. ". . . which are of service to the condition of the republic of letters." Cf. Bacon's passage cited in chapter 6: "which pertain to the condition of literature."
94. Cf. Heumann (82), 7th ed., p. 1, footnote a.
95. Cf. Struve's reference to the modern opinions of scholars, cited in note 92.
96. Cf. Blum (1), p. 209.
97. Cf. chapter 2 and note 8. Labbé (99) praised s.v. "*Dominicus a SS. Trinitate*" the merits Father Louis Jacob gained with his bibliographies for the βιβλιακὴ ἐμπειρία, and praised at the end, s.v. "*Philippus Labbé*," the advantages that would result for βιβλιακὴ ἐμπειρία from the printing of his own, still unpublished bibliographical works. Conring (27), p. 14, referred to Conrad Gesner, the author of the first universal bibliography κῆς ἐμπειρίας βιβλιακῆς, as "the greatest craftsman and first among teachers."
98. Cf. Boecler (14), par. 27; also chapter 5 (German Usage). Concerning

dating: the organization of the *Artes* that Boecler (who died in 1672) had followed in his lectures goes back to Gerhard Johannes Vossius and had been published in Vossius's posthumous work *De philologia* (Amsterdam 1650). Vossius followed Bacon in the organization of history as sacred, secular, and literary history.

99. *Literary History, or, the Arrangement of Books of All Faculties and Arts According to Subjects, Compiled by Simon Paulli of Strasbourg for the Use of Book Lovers* (*Historia litteraria sive Dispositio librorum omnium facultatum ac artium secundum materias in usum philobibliorum congesta a Simone Paulli Bibliopola Argentoratensi*). Cf. Taylor (174), pp. 72 f.; Reimman (146), vol. 1, p. 189, criticized the title as a designation for a list of books.
100. Reprinted in Koeler's *Sylloge* (173), pp. 5–112. The section *Historia litteraria* is on pp. 78 f.
101. Cf. chapter 6.
102. Cf. chapter 3.
103. Cf. Hottinger (86), pp. 7–12.
104. Garnier (63), p. 6, listed Labbé among the famous people residing at the Collège de Clermont.
105. Cf. *Dictionnaire de biographie Française* T. 6. Paris 1954, s.v.; also Klaiber (93), p. 812, footnote 6.
106. The organization of details in the catalog is confused. Some groups are identical, such as "Libraries of Several Professions" and "Catalogs of Books of Several Professions." Also, some titles occur twice. It is likely that Boulliau was in the process of reworking this section of the catalog when he separated himself from the de Thou family.
107. Nevertheless Boulliau repositioned the numerous catalogs and libraries of ecclesiastical authors by placing them at the end of the class *Theologia*, before *Haereseologia*.
108. Concerning Baillet, cf.—besides the biographical dictionaries and the *Lexikon des gesamten Buchwesens*, vol. 1 (Leipzig 1935), edited by Karl Löffler and Joachim Kirchner—Taylor (176), p. 31, and Malclès (112), pp. 43 f. Concerning Garnier's system, cf. Baillet (4), T. 2, 1, p. 275.
109. Cf. note 27.
110. In the *Epître* and *Avertissement*.
111. Originally he had planned to include critical notes only in the catalog of the *Bibliotheca Lamoniana*. The works discussed were assumed to be known and bibliographical data were rarely given.
112. Cf. Baillet (4), T. 2, 2, p. 5.
113. Baillet's own judgments predominate in this section. Very likely he considered himself here competent as librarian. Furthermore, many of the works he criticized had never before been discussed by a scholar.
114. Cf. Baillet (4), T. 2, 1, pp. 15 f.
115. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Historia litteraria*).
116. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Historia litteraria*).
117. Hottinger (86) printed on pp. 80–88 two versions of his system. In the second, he added *Oeconomici*, which is omitted in the first. It is,

however, not placed after the *Politici* where it belongs, but after the *Scholastici*; this was evidently an oversight.

118. Cf. Voss (185), p. 71 of the Amsterdam edition (1660); also Peter Lambeck (with reference to Voss) in the *Praefatio* of his *Prodromus historiae literariae* (Hamburg 1659). *Historia scholastica* means history of learning (*scholasticus* = learned). The explanation in *Cohors Musarum*, p. 2, published in 1715 in Utrecht under the name of Johann Georg Graevius (cf. note 171) is not pertinent: "Literary history is otherwise customarily called scholastic because it pertains especially to those employed in schools." Evidently this expression was introduced by Reiner Reineccius in his *Methodus legendi cognoscendique historiam* (Helmstedt 1583); cf. Scherer (150), p. 113.
119. Lomeier's work is reprinted in Johann Andreas Schmidt's collection *De bibliothecis accessio altera collectioni Maderianae adiuncta* (Helmstedt 1705).
120. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Historia litteraria*).
121. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Historia litteraria*).
122. Actually it has been one of the oldest Hestern scholarly traditions to refer to any predecessor in an introduction, but in academic instruction this was neglected until the early modern period.
123. One example only: the *Bibliographia moralis* of the Helmstedt professor Johann Heinrich Scheurl, a teacher of Conring, published in 1648 and discussed in chapter 5 (German Usage).
124. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Historia litteraria*).
125. Conring and his pioneering accomplishments in other areas are discussed in the articles in the *Allgemeine Deutsche Biographie*, vol. 4 (Leipzig 1876), and in the *Neue Deutsche Biographie*, vol. 3 (Berlin 1957).
126. Cf. Conring (27), p. 13: *Catalog of the Descordes Library* "published through the efforts of that incomparable expert in building libraries and ever my friend of loving memory, Gabriel Naudé."
127. Cf. Struve (171), p. 131: "Since Naudé is highly regarded because he taught the Germans literature as a subject." Also see note 88.
128. Cf. Reimmann (145), pp. 117 and 119. Johann Wilhelm Goebel, who is responsible for the complete edition of Conring's works, simply reprinted in part T. 5 (Brunswick 1730) the text of Krantz, since he realized that the Reimmann manuscript had only insignificant differences.
129. Cf. Conring's *Introductio ad universam artem medicam* (first published in Helmstedt in 1654) and his *Dissertatio de civili prudentia eiusque optimis ac praecipuis scriptoribus* (first published in Helmstedt in 1673).
130. Cf. chapter 5 (German Usage).
131. Cf. Vogler (181), preface: "In this subject along with others I was afterwards greatly helped by more than one teacher of the Julian Academy, whence I began to work hard at these pursuits: first by publicly examining books in the lecture hall with faculty permission, and indeed explaining them for this purpose; then at another time, as needed, recommending them; then everything of the arts and of

certain sciences that constituted them for the handling of the individual, distinct parts by those who were expecially expert already in those matters; having prefaced it all with a fair review."

132. The learned baron, who is also discussed in the *Allgemeine Deutsche Biographie*, vol. 3 (Leipzig 1876), was then a minister of the elector of Mainz. After his downfall in 1664, he dedicated himself to learning; allegedly he planned a work *De universa re litteraria*; cf. Jugler (88), T. 1, p. 36. His important library was for a short time administered by Leibniz, whom he patronized from 1668 on.
133. Cf. Blum (13), p. 278 or 52 respectively. The mention of the *Messkataloge* indicates that Conring was anxious to keep his knowledge of books up to date.
134. *Ibid.*, p. 15.
135. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Notitia librorum*).
136. Vogler and his followers use *boni libri, boni scriptores*, and *auctores* interchangeably.
137. Concerning the *scriptores judiciorum*, cf. note 30.
138. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Historia litteraria*). Hottinger's, Garnier's, and Vogler's arrangements of lists in bare outline are as follows:

Hottinger (1664)	*Garnier (1678)*	*Vogler (1670)*
General lists		library catalogs
		book trade catalogs
		general lists
Special lists:		Special lists:
authors of individual	authors of indiv.	authors of individual
disciplines	disciplines	disciplines
nations	nations	nations
orders	orders	orders
		females
library catalogs	library catalogs	
book trade catalogs	book trade catalogs	

139. Cf. Vogler (181), pp. 6 f.
140. According to Jugler (88), T. 1, p. 49.
141. Cf. Vogler (181), p. 15.
142. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Historia litteraria*).
143. Cf. Boehmer (15), Prolusio VI. Taylor (176), p. 11, compared Labbé's *Bibliotheca* and Vogler's *Introductio* with regard to their size and distribution. In both regards, the latter, because of its origin and dissemination, ranks behind the former. Nevertheless Vogler's work was not given due consideration by Taylor; it was unknown outside the area of northern German universities. One copy was in the library of the Abbé J. Faultrier, a scholarly Parisian book collector, sold in 1709. Cf. chapter 7 (Marchand's *Bibliographia: Notitia rei librariae*).
144. Cf. Vogler (181), p. iii: "The plan is entirely the same for the noble arts and sciences of every type. Indeed, the origins, progress, growth, decrease, as well as the vicissitudes and general trend of all these individual subjects are learned likewise, to be sure, not just from the recorded literature alone. At the same time, it is necessary to know

with what and by whom the filling out of the individual subjects is to be accomplished, what is to be assailed, what is to be defended. The discovery of all these facts most often aids also in the search for truth. . . ." "Thus, moreover, it is very unworthy of an otherwise liberal man of genius to be ignorant of what went on before him; and especially in the arts and sciences it is quite shameful to be unable to distinguish ancient and modern learning. But if a man has an exact perspective of the ages and, at the same time, directs his attention to what is outstanding from the hands of a famous and learned man, what is to be more fully honored, what should be assailed, what should be defended; thereby he will have at the same time the complete picture of the general trend and condition of each and every field. How noble and how rewarding this work can be, each in his wisdom will easily determine from the beginning; then, having arrived at expert knowledge, they know it best. Exact knowledge differs as much from that which is unskilled and obviously disorganized, as does a bright light from a shaded one, or from darkness itself. The value of the knowledge of each branch of knowledge, its origins, progress, growth, and also decrease, as well as all its vicissitudes, are to a large extent unknown."

145. Cf. the two passages cited above, for instance p. iii: "the origins, progress, growth, decrease, as well as the vicissitudes and general trends . . . of the arts and sciences."

146. Cf. Friedrich Paulsen's *Geschichte des gelehrten Unterrichts* (3d ed., Leipzig 1919), vol. 1, book 3. In modern times it has been claimed that knowledge of books was the result of the courtly educational ideal; cf. *Geschichte der Universität Jena* (Jena 1958), p. 189. But the realization of the necessity of knowledge of books is much older.

147. Scherer mentioned the instruction in *Historia litteraria* several times (150). It appears that such instruction existed in only a few countries besides Germany (The Netherlands, Denmark, Sweden) before the middle of the eighteenth century.

148. Concerning Morhof, cf. von Liliencron's article (107) as well as Kern's work (91), and Lempicki (105), pp. 117–20.

149. Cf. Thomasius (177), p. 275.

150. The citations are from the second edition (Lübeck 1714). Further editions were published in 1732 and 1747.

151. Cf. Holler's *Prolegomena*, pp. 71 f.

152. Cf. Fabricius (48), p. 686: "Morhof's *Polyhistor*, which . . . found general approval and is indeed excellent, belongs to the works on literary history that follow the synthetic or technical method and stress the knowledge of books rather than learned things, persons or history. . . ."

153. Cf. Morhof's *Praefatio* of 1683 (in Moller's edition): "Furthermore I have also added to the history of writers those very subjects, a knowledge of which I believe useful to youth before other subjects."

154. Julius Solinus's *Collectanea rerum memorabilium* is entitled, in editions of the sixteenth and seventeenth centuries, according to more recent manuscripts, *Polyhistor*. Morhof, by the way, used this term

only once in the text, I 1, c. 6, 12: "We proceed to libraries themselves, which a *Bibliothecarius* i.e. a well-read person or *Polyhistor* ought to know."

155. Cf. Morhof, c. 1, 3 and c. 1, 11–12.
156. Cf. Moller's *Prolegomena*, p. 71.
157. Cf. c. 16, 3.
158. Cf. c. 18, 2; 18, 72, and 75.
159. Cf. Vogler (181), p. 25; cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Notitia librorum*).
160. Cf. c. 16, 32–50.
161. See also note 131.
162. Cf. c. 6, 12.
163. Morhof himself listed at the beginning of the book the various meanings of *Bibliotheca*; cf. c. 3, 2. As we already mentioned in note 18, similar references can be found in all related works. Unfortunately neither von Liliencron (107) nor Kern (91) took into consideration that in the *Polyhistor* the term *Bibliotheca* means, not only book collection, but also list of books; therefore, they arrived at strange conclusions.
164. In the chapter "Writers of History" (*Polyhistor practicus, Liber* IV) the literary historians are not mentioned at all.
165. Cf. Moller's *Prolegomena*, p. 71.
166. Rudolf Bülck had nothing to report on Morhof's library activity in his *Geschichte der Kieler Universitatsbibliothek* (Eutin, 1960).
167. Cf. c. 20, 3.
168. Cf. c. 16, 2.
169. The young Goethe, who had studied the *Polyhistor* before entering the university, referred, in a letter dated February 13, 1769, to the *Bibliothecaria notitia*, highly valued by Morhof; cf. Blum (12).
170. Cf. c. 20, 4–12.
171. A similar expression, *Historia bibliothecalis*, was used by the author or editor of a once severely attacked work that was published in Utrecht in 1715 under the name of the philologist Johann Georg Graevius: *Cohors Musarum sive Historia rei litterariae nec non Historia bibliothecalis. . . Accurante Wolpherdo van Bueren*. The edition includes, on pp. 172–357, a section entitled "Library History. Introduction to the Knowledge of Authors and Books, Especially in Philology." The author of this section is Ludolf Küster (died 1716) who, on page 301, listed a book published in 1696 as his work. Cf. Heumann (82), p. 10; Jugler (88), T. 1, pp. 59 f.; Bouginé (17) vol. 1, p. 24. Evidently the untimely death of Küster prevented him from protesting against the Utrecht edition.
172. Johann Burkard May, Morhof's successor in the Kiel chair, also used the term *subsidia* in his lectures on the knowledge of books. For the summer term of 1716, he announced them as follows: "He [May] would continue his lectures on the knowledge of books for students interested in this subject, and to make it easier he would treat the subject under four special headings: (1) the origin, development, and present status of literary studies; (2) information on books in particular

and the necessary aids that pertain to it; (3) reading, selecting, and evaluating books; their best and most outstanding editions; (4) the more prominent libraries of Europe and their scribes; likewise, the equipping and furnishing of a library in accordance with its particular goals." Cf. Scherer (150), p. 149, note 8. (The catalog of classes is extant; the university library at Kiel has kindly provided me with a photocopy of the relevant page.)

173. Cf. *Geschichte der Universität Jena* (65), pp. 181 and 188–90, particularly p. 189.
174. *Ibid*., p. 159. Concerning a lecture of Sagittarius, *De Bibliothecis et historia litteraria* (about 1680), cf. Fuchs (58), p. 27.
175. Cf. chapter 5.
176. Cf. Struve (171), *Praefatio*.
177. The interweaving of the two areas comes to the fore in Struve's work: in the chapters on the use of libraries he dealt with criteria for good books (II, 3 ff.), and, like Morhof, after the general literature on the knowledge of books, he discussed the literature on library and bibliographical classification (III, 39 and 41).
178. Cf. Reimmann (145), p. 466.
179. A scholar who had to deal with older books, some of which were rare, indeed had to be familiar with the printed products of earlier centuries and with their peculiarities.
180. Vogler and Morhof had simply dealt with the literature on printing together with that of the other *artes illiberales*.
181. Cf. chapter 6 (*Bibliotheca* and *Historia litteraria*).
182. Cf. Struve (171), p. 4: "In the fields where we are engaged it will not be appropriate to stick to outworn notions of teachers; one must go farther. One is always coming across those who, after renouncing former prejudices, have progressed to more advanced conceptions."

    Concerning the designation of the *Historia litteraria* as *res litteraria*, cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Historia litteraria*).
183. Concerning Reimmann, cf., besides the biographical sources of reference, the article by Krieg (97).
184. Contemporary critics valued this part less than the part entitled "Literary History of the Germans"; cf. Jugler (88), T. 1, pp. 55–58.
185. Cf. Reimmann (146), pp. 188–477. The following is based on pp. 190–201.
186. He also used the term *βιβλιακὴ ἐμπειρία* but preferred *βιβλιογνωσία*.
187. Reimmann did not identify the historical knowledge of books with that of the book dealer, the critical with the scholarly. Unlike Struve, he did not differentiate between the book knowledge of the book dealer and that of the scholar.
188. Concerning Heumann, cf.—besides the biographical dictionaries—Lempicki (105), pp. 203–6.
189. Cf. Heumann (82), p. 2.
190. Cf. Davillé (30), pp. 347–50; 364 f.
191. Cf. Wolff (194), cap. 10, par. 9; also Lempicki (105), pp. 192–94.
192. Cf. chapter 5 (French and Dutch Usage). Marchand as well as Martin have articles in the renowned biographical sources of reference. Con-

cerning their reputation in Germany, cf. note 218. Regarding the change in the Parisian antiquarian book trade, cf. Peignot (139) s.v. "*Catalogues de livres*" and "*Libraire*." Modern histories of the book trade do not mention this.

193. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Notitia librorum*). The catalog of the Thou library was published only because of the impending sale of the books; was therefore the catalog almost a sales catalog.
194. Cf. Brunet (20), 5th ed., vol. 6, p. vi.
195. Cf. chapter 5 (French and Dutch Usage).
196. In this organization, theology, according to tradition, would have belonged at the end.
197. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Notitia librorum*).
198. Martin explained, "literary diaries."
199. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Historia litteraria*; *Bibliothecae* and *Notitia librorum*).
200. Marchand's *Bibliographia instructiva* cannot be considered a systematic bibliography because the other bibliographers who precede the *bibliographi simplices* (mere bibliographers) were for the most part compilers of lists of authors and literature without annotations. Of course, a list in this group can also have annotations. Further, one cannot equate the instructive bibliographers with the bibliographic prolegomenists because then there would not be any others besides the *bibliographi simplices*.
201. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Notitia librorum*).
202. Cf. chapter 7 (Marchand's *Bibliographia: Notitia rei librariae*).
203. Cf. Taylor (176), pp. 64–82, particularly p. 65 f.: "How does this break in the cultural tradition make itself apparent? A full answer in Paul Hazard's *La Crise de la conscience europêene 1680–1715*. A brief answer can only suggest those characteristics which are pertinent to the present inquiry. In fact, form, and substance the cultural tradition is broken. In fact, the Renaissance bibliographies cease to be reprinted or brought up to date. They are no longer current scholarly authorities. In form, the new bibliographies, which become more and more frequently works in the vernacular, list contemporary rather than older books and employ modern categories in literary history, social science or science. . . . In substance, bibliographers come to treat authors of the past, specially of the remote past, as sources, not authorities . . . there is clearly a change about 1700. The date as I give it is a round number and need not be regarded too strictly, but the fact remains that within a range of a few years scholars discarded or neglected the old tools."
204. Cf. Blum (10), p. 226.
205. Cf. chapter 5.
206. For example, the annual list of works discussed in the *Journal des Savants*.
207. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Notitia librorum*).
208. Cf. Marchand's principle, cited in chapter 7 (Marchand's *Bibliographia: Notitia rei librariae*), to organize the books in each field from the viewpoint of literary history and then describe them in this

sequence. The verb *repraesentare* appears with a similar meaning in the title of Labbé's *Bibliographia anni MDCLXI RR. PP Societatis Jesu in Regno Franciae, libros omnes ab illis eo anno editos repraesentans* (Paris 1622), cited in chapter 5 (French and Dutch Usage).

209. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Notitia librorum*).
210. Cf. Conring (27), p. 41, concerning August Duke of Braunschweig's catalog of his Wolkenbüttel library: "Not only does the compilation of the indexes show unusual care, but the indexes themself evidence skill. I myself do not recall who wrote that work of skill, although Naudé has pursued all the rest of the library technique in his excellent little book."
211. At that time, of course, there was not yet any literature on cataloging.
212. Also the German expression *Bücherbeschreibung* had these two meanings. However, the nouns *Verzeichnung* and *Verzeichnis*, both deriving from *verzeichnen*, allow a differentiation between the activity and the result.
213. The collective usage of the term is particularly clear in French in Otlet's definition (cf. chapter 9 [French Usage since 1919]), and in German in Ebert's (cf. chapter 9 [German Usage to 1918]).
214. Cf. his schedule, reprinted in chapter 7 (Marchand's *Bibliographia: Notitia rei librariae*).
215. Cf. chapter 7 (Marchand's *Biblipgraphia: Notitia rei librariae*).
216. Cf. Peignot (141), p. 39: "From that time on almost all the booksellers ... who have published catalogs have followed the same division."
217. Very likely, particularly in the *Bibliographie*, mistakes occurred. Cf. note 229.
218. Cf. Klaiber (93), pp. 812 f. Both Marchand's *Catalogus librorum Bibliothecae Domini Joachimi Faultrier* and Martin's *Bibliotheca Bultelliana* were highly appreciated by German scholars, which is demonstrated by the fact that they were reviewed in the *Acta Eruditorum*; cf. Jugler (88), T. 1, p. 109. Both catalogs as well as Marchand's *Bibliotheca Bigotiana* were in the library of Count Bünau; cf. Francke (53), T. 1, pp. 859–63.
219. Abbé Girard's system was reprinted in the article "*Catalogue*" of the *Encyclopédie* edited by Diderot and D'Alembert (Paris 1751). Almost the whole article deals with classification.
220. Cf. chapter 7 (Marchand's *Bibliographia: Notitia rei librariae*).
221. The willful usage of an individual was even less successful. Thus Francke (53), T. 1, p. 860, listed a *Bibliographia sive Catalogus librorum Principis Bournonvillii*, published in Paris in 1706. According to the British Museum catalog (s.v. "Bournonville") the title reads as follows: *Fato functi Principis Bournonvillii Bibliographia. Catalogue des livres de feu M. le Prince de Bournonville*. This is reminiscent of the *Bibliographia Anissoniana* which in turn imitates the title of the *Bibliographia Cramosiana*; cf. chapter 5 (French and Dutch Usage).
222. Concerning *bibliographie* and *bibliographe* In French dictionaries, cf. Malclès (114), pp. 243 ff.
223. Cf. Malclès (112), p. 6. The definition of bibliography in the *Encyc-*

lopédie is even more peculiar, if one considers that the article "*Catalogue*," which deals with classification, describes the system of Gabriel Martin and renders his explanation of bibliography, which was almost universally recognized: history and description of books. Abbé Girard, whose system is also reprinted, explained bibliography in a similar manner; cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).

224. This is also true for the definition of *Bibliografia* in Vincenzo Coronelli's *Biblioteca universale*, T. 6 (Venice 1706); cf. note 429.

225. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).

226. Cf. Ebert (40), p. 5.

227. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789). Concerning Guillaume François Debure (le Jeune) and his business partner and cousin Guillaume Debure (l'Aîné). see Stoewesand (168), p. 36, besides the biographical dictionaries.

228. The work appeared from 1763 to 1768 in seven volumes. Two supplementary volumes were published in 1769 under the title *Supplement to the Instructive Bibliography or Catalog of the Books in the Collection of Louis Jean Gaignat (Supplément à la Bibliographie instructive ou Catalogue des livres du Cabinet de Louis Jean Gaignat)*. A tenth volume was issued in 1782 by Jean François Née de La Rochelle; it is entitled *Instructive Bibliography . . . Volume Ten, Containing a Table Designed to Facilitate the Search for Anonymous Works That Were Announced by H. de Bure the Younger in His Instructive Bibliography, to Supply What Has Been Omitted in the Tables, and to Be a Continuation of Gaignat's Catalog; This Is Preceded by a Discussion on Bibliographic Science and the Tasks of the Bibliographer (Bibliographie instructive . . . Tome dixième, contenant une Table destinée à faciliter la recherche des livres anonymes qui ont été annoncés par M. de Bure le Jeune dans sa Bibliographie instructive, à suppléer à tout ce qui a été omis dans les Tables, et faisant suite au Catalogue de Gaignat, précédée d'un discours sur la science bibliographique et les devoirs du bibliographe . . .)*.

229. Debure printed the classification schedule of the whole work in the first volume following the preface; in addition, the schedule for each individual field preceded that field. The two versions of the organization of the *Histoire littéraire, académique et bibliographique* differ a little from each other; the second, in volume six, can be considered the correct one. In the first volume, it reads, *Bibliographie ou Description de livres*, in the sixth, *Bibliographie ou Histoire et descriptions de livres*, just as in Martin's work, except for the plural form in *descriptions*, which may be a printing error. One reads further in the first volume, *Prolégomènes bibliographiques, bibliographie instructive et traités particuliers des livres en général* . . . ; in the sixth volume, *Prolégomènes bibliographique ou traités singuliers de livres en général*, following Martin word for word. The words *bibliographie instructive* inserted (by mistake?) following *Prolégomènes bibliographiques* in the first volume are absent in the sixth. *Bibliographie instructive*, indeed, did not belong to the *Prolégomènes bibliographiques*.

230. Cf. chapter 8 (Designatione of Bibliographies [French Usage]).

231. Cf. Cailleau's "*Essai de bibliographie*" in the third volume of his *Dictionnaire bibliographique* (Paris 1790); concerning the "*Essai*" itself, cf. chapter 8 (French Usage up to 1789). Cailleau differentiates, *loc. cit.*, p. 543:

Systematic catalogs or instructive bibliography.
Book selection or the art of establishing a library.
Mere bibliographers, that is, library catalogs, catalogs of booksellers.

As early as 1704, Ménestrier had used the adjective *instructif* to characterize a guide to literature that was called *Bibliothèque*. See also note 20.

232. Cf. chapter 7 (Marchand's *Bibliographia: Notitia rei librorum*).
233. Cf. Taylor (175), pp. 17–22.
234. Cf. Brunet (20), 5th ed. s.v. "Debure." Taylor did not do justice to Debure. He mentioned him on p. 32 only in passing because he had listed other books besides those that were rare. But Jean Baptiste Osmont, of whom he gives a detailed evaluation on pp. 25–27, did the same in his *Dictionnaire typographique, historique et critique des livres rares* . . . (Paris 1768). With regard to the first stage of the *Bibliographie instructive* Debure's *Musaeum typographicum* of 1755, cf. Taylor (175), p. 24.
235. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Notitia librorum*).
236. Concerning the simultaneous change in the Parisian antiquarian book trade, see chapter 7 (Marchand's *Bibliographia: Notitia rei librariae*).
237. Concerning Jean Joseph Rive, see, besides the biographical dictionaries, Peignot (139), *Supplement*, p. 277.
238. See also note 186.
239. Peignot (139), T. 1, p. 49, wrote s.v. "*Bibliognoste*": "This word, taken from the Greek, is attributed to the Reverend Rive and signifies an expert bibliographer who thoroughly knows the history of books, their titles, dates of different editions, places of publication, names of editors, printers. . ." A detailed definition, including the history of the content of books, can be found in the *Supplément*, p. 35, s.v. "*Bibliognosie.*"
240. The history of this science is still to be written.
241. It is customary, as Stoewesand (168), p. 36, remarked, to consider this work as the beginning of modern book science. Or more precisely, with this work began the bibliographic compilation of writings in book science.
242. Armand Gaston Camus, who did not appreciate bibliography in the service of bibliophily, described the two kinds of book knowledge in his memorandum of 1789, cited in chapter 8 (French Usage 1789–1815): "One is solely confined to external characteristics, the form of the book. [This type of book knowledge] appreciates the date, the type of printing, the presence of certain notes, all the properties that rank [a volume] among the rare or unique books and that determine its financial value. The other knowledge is to be aware of the book with the most appropriate informational content, in which the subject is most clearly presented and most thoroughly discussed, works that help to get to the source of learning, to follow its develop-

ments, and to reach the present point of perfection." His understanding of the literary-historical task of scholarly bibliography is here of particular interest.

243. Cf. Malclès (112), pp. 51, 60–62, 75–76. One should, however, not talk of a bibliophile "epoch" of bibliography.

244. As will be demonstrated later, at the turn of the eighteenth century French librarians declared took science to be the major content of their specialized knowledge.

245. Cf. chapter 3.

246. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).

247. Concerning Cailleau, see—besides the biographical dictionaries—Taylor (175), pp. 32–34. French bibliographers believe that the *Dictionnaire* in essence is the work of Abbé R. Duclos. (Also the *Catalogue général* of the Bibliothèque Nationale does not supply the first name of the Abbé.)

248. Cailleau was quite concerned and upset over the results of July 14, 1789. He disapproved of the "disastrous" freedom of the press that made possible the printing of numerous "obscene and seditious books." Cf. his *Dictionnaire* vol. 3, p. 499, notes 1 and 2.

249. Brunet began his career as a bibliographer in 1802 with the publication of a *Supplément* to Cailleau's *Dictionnaire*.

250. Concerning Née, cf. the biographical dictionaries. His *Biographia et Bibliographia Aldina* was never published.

251. Cf. Née (132), *Advertissement*, p. 5.

252. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).

253. Once Naudé too had inserted bibliography after theology, in his catalog of the *Bibliotheca Cordesiana*. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Historia Litteraria*).

254. The *Discours* introduces—as mentioned in note 228—a *Table des livres anonymes*, numbered volume X in Debure's *Bibliographie instructive*. I saw this table only as volume VIII of the *Bibliographie instructive*, reprinted by Deterville, Paris 1793, a reprint not listed either in the catalog of the Bibliothèque Nationale or that of the British Museum.

255. Cf. Schneider (155), pp. 2 f.

256. Peignot, who thought of bibliography in the same broad meaning as did Née, said in the passage cited in chapter 8 (French Usage 1789–1815), "Bibliology (which is the theory of bibliography) . . . unfolds the records of the literary world in order to follow step by step the progress of the human mind."

257. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Historia litteraria*).

258. Marchand is listed here, not as a book dealer, but as the author of the *Histoire de l'origine et des premiers progrès de l'imprimerie* (The Hague 1758–59).

259. Cf. chapter 8 (French Usage 1789–1815).

260. Cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).

261. Cf. Née (133), p. xxiii and xxviii.

262. Cf. chapter 3; chapter 6 (*Bibliothecae* and *Historia litteraria*); chapter 7 (Marchand's *Bibliographia*: *Notitia rei librariae*).

263. As early examples, the bibliographies in mathematics of Johann Ephriam Scheibel, cited in chapter 8 (Designations of Bibliographies [German Usage]) can be mentioned. The description of the works in these lists of literature are similar to those in bibliophile bibliographies.

264. For the following material, cf. Klaiber (93), pp. 708 ff. Most people listed in this section also made a name in politics. For more details the reader is referred to biographical dictionaries.

265. In a report submitted by Dom Poirier to the *Commission temporaire des arts* on July 3, 1794, concerning the book treasures of the confiscated libraries of the clergy, the expression *Bibliographie* is used in an unusual manner. Dom Poirier understood by this term—according to the original meaning of the word—the copying and reproducing of books and also the employing of type through mechanical means, namely typography. After a general comment about the many incunabula and early prints in the libraries of the monasteries, he remarked that the former Franciscan Recollects of Zabern were rich in this kind of bibliography; cf. Robert (147), p. 30; cf. note 7, in which a printer is called a bibliographer.

266. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).

267. Gabriel Peignot, *Essai de curiosités contenant une notice raisonnée des ouvrages plus beaux dont le prix a excédé 1000 francs dans les ventes publiques* (Paris 1804); and by the same author: *Bibliographie curieuse ou Notice raisonnée des livres imprimés à cent exemplaires au plus* (Paris 1808).

268. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789). Daunou's work was never published; cf. *Bulletin du bibliophile*, 1840, p. 402.

269. Cf. François (54), T. 1, pp. 257 ff. François was considered one of the most important French ministers of the interior; in fact, he was almost the creator of the modern Ministry of the Interior. His tasks included several fields, such as education, that later were assigned their own ministry. Concerning the central schools and their libraries, see Klaiber (93), p. 721.

270. Napoleon too recognized the value of bibliography. Malclès (112) p. 58, cited a letter of the Emperor dated April 19, 1807, in which he says, among other things, that it would be most useful to establish in Paris a special school of history and to offer there a course in *bibliography*.

271. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Notitia Librorum*).

272. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Notitia Librorum*).

273. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).

274. Concerning Laire, see—besides the biographical dictionaries—Peignot (139), T. 1, p. 330, and T. 2, p. 234. Among Laire's works a bibliography of incunabula is of special importance: *Catalogus librorum ab inventa typographia ad a. 1500 chronologice dispostus cum notis historiam typographico-litterariam illustrantibus* (Sens 1791). Cf. Haebler (78), p. 8.

275. Charles Schmidt (152) reprinted excerpts together with the program. During each ten-day period, Laire presented three hours of instruc-

tion, of which he used half for dictation. The whole course was intended to extend over two years.

276. Laire meant a history of scholarly literature, including belles lettres.
277. In Germany he was preceded by Michael Denis; cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).
278. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Historia litteraria*).
279. Cf. Peignot (139), T. 2, pp. 230 f. Concerning Coste, see the biographical dictionaries.
280. Concerning Peignot, see the biographical dictionaries.
281. Cf. Peignot (140), p. 209.
282. In the text, *histoire*, by mistake, is followed by a comma.
283. One can find there, among other things, a list of the works to consult in each course of the central schools, which is introduced with an excerpt of Peignot's speech of November 1, 1798, mentioned above. Peignot later transformed the *Manuel bibliographique* into a *Traité du choix des livres* (Dijon 1817) and this in turn into a *Manuel du bibliophile* (Dijon 1823).
284. In his *Dictionnaire raisonné de bibliologie* Peignot defined bibliography in its narrow meaning as follows: "The science that consists of knowing books, of describing them well, and of classifying them methodically."
285. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).
286. Cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).
287. According to Peignot (139), *Supplement*, s.v. "*Bibliologie*", Abbé Rive had already used the term with this meaning. Peignot affirmed, "Abbé Rive defined bibliology as the art of discussing books—talking about them pertinently with regard to either their content or their history." Peignot was not always reliable in such statements; cf. his report on Coste, cited in chapter 8 (French Usage up to 1789). Maybe the Abbé had defined bibliography or—what is more likely—bibliognosy this way. I am unfortunately unable to check Peignot's statement since he did not indicate where Rive had expressed this definition. However, the term *bibliologie* indeed had been used in France by the author of a little-known selective bibliography of anonyma. The term was used only in the title and with the meaning of, not book science, but rather knowledge of books. The rare work, cited by Murray (125), p. 9, had the title *Bibliologie abrégée ou Essai sur les livres, considérés tant en eux-mêmes que par rapport à leur partie typographique et à leur valuer. Par M*. . . (The Hague 1778). According to Barbier its compiler was the Abbé Augereau, and it was not printed at The Hague but in Nantes. I saw the copy at the Bibliothèque Royale at Brussels. The text is set in three columns: (1) evaluation, (2) title, (3) price. Stereotype evalulations are abbreviated: *c* = *curieus* (curious), *i* = *impie* (impious), *m* = *mauvais* (bad), *s* = *scavant* (scholarly), etc. According to Charles Schmidt (152), the first lecture of the fourth section of Laire's course in *bibliographie* was entitled *De la bibliologie*. The Bibliothèque Municipale at Besançon was kind enough to inform me that this statement is erroneous. The word in the copy of that library is not *bibliologie* but *théologie*, and the lecture indeed deals with theology.

288. Peignot could not yet abandon his original plan. In order to facilitate the methodical study of his *Dictionnaire*, he indicated in his foreword which articles would correspond to which chapters of his not-yet-printed *Manuel du bibliothécaire*.
289. Cf. Peignot (139), p. viii.
290. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).
291. In the appendix to the *Supplément*. The organization of bibliography in the *Dictionnaire* itself, T. 2, pp. 271 ff. is so unsatisfactory that it will not be dealt with here.
292. What is really meant is the composing of books, even though this does not belong here. Achard differed here; cf. note 307.
293. Here is also inserted the history of academies, libraries, etc.
294. Cf. Peignot (141), pp. viii–xv.
295. Cf. chapter 7 (Marchand's *Bibliographia: Notitia rei librariae*).
296. Cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).
297. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).
298. He in fact did so in his *Repertoire des bibliographies spéciales, curieuses et instructives* (Paris 1810), which, however, was not a bibliography of subject bibliographies; it included methodologically presented information on (1) works of small editions, (2) books printed on colored paper, etc.
299. The editors of the *Catalogue général* of the Bibliothèque Nationale were unable to establish his first name. Šamurin (148), pp. 222 f. is the only modern scholar who deals with him in more detail because of his classification system.
300. Cailleau too had defined bibliography as knowledge and love of books; cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).
301. Cf. Parent (136), pp. 7 f. Following an encomium to the eighteenth century, one reads there, "Who could deny that many improvements are attributable to the development of bibliography?" and anticipating a rosy future, "We can count on having the prodigals of an abundant mind poured out through bibliographies." Concerning the French Revolution, Parent wrote on p. 19, "Let us pause here to praise the French Revolution for one of its most valuable benefits: to have accorded to bibliography all the range and freedom that philosophy has long demanded for it." Parent also paid homage to Bonaparte, "friend of learning and scholars, who has consolidated the French Republic and brought peace to Europe."
302. The intended title leads one to assume that Parent, contrary to his initial explanation "writing on books," p. 5, 2) later thought of bibliography as the composing of books.
303. So did Debure and Grégoire; cf. chapter 8 (Designations of Bibliographies [French Usage]). According to Peignot (139), *Supplément*, p. 36, Dupuy, a member of the academy (probably Louis Dupuy) had called bibliography "the science of the informed bookseller." Unfortunately Peignot did not indicate where this definition could be found.
304. The *Traité élémentaire de bibliographie* of the Parisian book dealer Martin Silvestre Boulard (Paris 1804), cited in chapter 8 (French

Usage 1789–1815), could not be considered a textbook of bibliography as Achard understood the term.

305. Cf. Achard (1), vol. 1, pp. 29–31.
306. Cf. *Ibid.*, p. 32.
307. Achard meant by *composition des livres* their production and not, like Peignot, their writing; see note 292.
308. Cf. Achard (1), vol. 1, p. 10. He later admitted (vol. 3, p. 213) that, following the publication of Barbier's *Dictionnaire* (Paris 1806), the list of anonyma and pseudonyma was superflous.
309. Cf. Achard (1), vol. 3, pp. 55–73.
310. In Laire's system, which Peignot discussed (139), T. 2, pp. 234–35, bibliography is not mentioned.
311. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).
312. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).
313. Cf. Cotton des Houssayes (28), p. 3. Cotton contrasted the "healthy and wise knowledge of books with an, as it were, insane knowledge of books" (p. 5, not defined more closely), which in the French translation is "a vain and incomplete science that only attaches itself to the superficial." Cotton, by the way, planned a *bibliographie raisonnée* of literary history; cf. *Journal des Savants* 1781, pp. 398 ff.
314. For the following, cf. Šamurin (148), pp. 212–52.
315. According to Petzholdt (142), p. 38, the treatise appeared in the *Mémoires de l'Institut National des Sciences et Arts. Littérature et Beaux-Arts*. 2. Paris an VII (1799), p. 477 ff., also later than the treatise of Camus cited in note 317. I am familiar only with the excerpts that Achard reprinted (1), vol. 1, pp. 252–78. Concerning Ameilhon, who by the way organized the first book depositories in Paris, see the biographical dictionaries.
316. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Historia litteraria*).
317. According to Petzholdt (142), p. 37, it appeared in the *Mémoires de l'Institut National des Sciences et Arts. Littérature et Beaux-Arts. 1.* Paris an VII (1798), pp. 643 ff. Of this treatise, too, I know only the excerpts reprinted by Achard (1), vol. 1, pp. 197–215. Concerning Camus, see—besides biographical dictionaries—Peignot (139), T. 1, pp. 35–37 and *Supplément*, p. 80, as well as Malclès (112), pp. 46 and 57 f. Camus had added to his frequently reedited *Lettres sur la profession d'avocat* of 1772 a selective legal bibliography which was considered exemplary.
318. His characterization of the two branches of bibliography has been indicated in note 242.
319. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).
320. Camus points to Marchand's system in an addendum only.
321. Cf. Petzholdt (142), p. 39. Excerpt in *Bulletin du Bibliophile*, (1840), pp. 402–7.
322. It is apparently not known when Daunou constructed the classification system that formed the basis of the catalog of his library. The catalog was printed 1841 on the occasion of the auction of the collection.
323. Cf. Peignot (139), T. 1, pp. 135–37; T. 2., pp. 218–20 and 235 f.
324. Cf. Peignot (139), T. 2, p. 271.

325. Cf. chapter 8 (French Usage 1789–1815).
326. Cf. Achard (1), T. 2, p. 163.
327. Cf. Peignot (141), p. vii.
328. Cf. chapter 8 (French Usage 1789–1815).
329. During Napoleonic times, when clerical book collections were secularized, librarians in other countries, for example Germany, were in a similar position.
330. Cf. Klaiber (93), p. 716.
331. See also note 321. The excerpt from the *Bulletin du Bibliophile* does not make it clear whether the sentence cited here originates from Daunou's *Mémoire* of 1800.
332. Cf. Boulard (18), p. 7.
333. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).
334. 1. Of bibliographers in general. 2. Of amateurs. 3. Survey of the major works that should form the basis of a good library. 4. Of librarians. 5. Of the rarity of books. 6. Of the evaluation of books. 7. Of the choice of editions and titles. 8. Of binding. 9. Of booksellers. 10. Reflections on public auctions. 11. Of inventory methods, appraisal, and the preparation of a review. 12. Of catalogs. 13. Of the system of dividing and subdividing a catalog.
335. When Brunet, in the preface to the fifth and last edition of his *Manuel* (Paris 1860), called bibliography a branch of the *Histoire littéraire*, he returned unintentionally, and in contradiction to his own organization of *histoire*, to an earlier idea. The preface begins: "Bibliography, properly so called, is that branch of literary history that is so essential, and nowadays so expanded, which has as its purpose the knowledge of books in all their minute details. . . ."
336. In later editions Brunet shifted the history of writing, not to *bibliographie*, but to the *histoire littéraire*, after the history of languages.
337. Cf. chapter 7 (Marchand's *Bibliographia*: *Notitia rei librariae*) and chapter 8 (French Usage 1789–1815).
338. Cf. the title of Vogler's *Introductio* (1676), cited in chapter 6 (*Bibliothecae* and *Notitia Librorum*).
339. Caspar Gottschling composed a *Einleitung in die Wissenschaft guter und meistentheils neuer Bücher . . . vor die Anfänger in Historia litteraria* (Dresden, Leipzig 1702. 2d ed 1713). Gottschling was the coauthor of the *bibliographia ethica* cited in chapter 5 (German Usage). Stolle at the beginning of his *Discours* (cited in note 350), talked of the *Historie der Gelahrtheit und Kundschafft* guter Bücher. Johann Gottlieb Krause, the editor of Boecler's *Bibliographia critica* (cited in chapter 5 [German Usage]), published a *Umständliche Bücher-Historie oder Nachrichten und Urtheile von allerhand alten und neuen Schriften* (Leipzig 1715–16). *Bücher-Historia* occurs also as a subtitle of Füldener's *Bio- et bibliographia Silesiaca* (Breslau 1731), cited in chapter 8 (Designations of Bibliographies [German Usage]).
340. Cf. Fabricius (48), par. 145.
341. For example, *Bücherkenntnis* appears in Scheibel's *Einleitung zur mathematischen Bücherkenntnis* (Breslau 1796), cited in chapter 8

(Designations of Bibliographies [German Usage]); *Bücherkunde* in Johann Traugott Müller's *Einleitung in die ökonomische und physikalische Bücherkunde* (Leipzig 1780).

342. I will discuss later what Denis meant by knowledge of books in its narrow and broad meaning, in contrast to the French concept. Cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).

343. Concerning Frobes, cf. *Allgemeine Deutsche Biographie*, vol. 8 (Leipzig 1878).

344. "Everyone knows that the knowledge of books and its servant, bibliography, or the properly arranged review of writers, offers manifold and noble applications." In the index to his *Compendium der Wolffschen Logik*, Frobes explained the term *Bibliographia* as "a description of books."

345. Cf. Matthiae (119).

346. Cf. Fuchs, "Zur Würdigung von Matthiaes Ordo Catalogi librorum Materialis," *Zur Theorie und Praxis des Realkatalogs* (Göttingen, 1941), Appendix (59). In his *Project*, Matthiae (119) usually said *Bibliographi*; once in col. 850, he said *Bibliographien*.

347. Cf. Fuchs (59), Appendix, pp. 11 ff., and Supplement, pp. 6 f. and 15. According to information from its director, the Göttingen University library then already had in its possession Denis's *Grundriss* of 1775, in which *Bibliographie* and *Bücherkunde* for the first time were used with the same meaning; cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).

348. Cf. chapter 8 (French Usage 1789–1815).

349. Cf. Gesner (66).

350. Cf. Gottlieb Stolle's *Discours von dem Nutzen der Historiae et Notitiae literariae*, presented in 1714. Stolle then was director of the Hildburghausen gymnasium; later he became a professor at Jena. The *Discours* was reprinted in the appendix to his *Anleitung zur Historie der Gelahrtheit* (169).

351. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Notitia librorum*), also Schelhorn (149), vol. 1, p. 313.

352. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Notitia librorum*).

353. Cf. Frobes (56), p. 152. Concerning Wolff's *Logik*, cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Notitia librorum*).

354. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Notitia librorum*).

355. Cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]) and Petzholdt (142), pp. 32 f.

356. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Notitia librorum*).

357. Reprinted in part by Petzhold (142), pp. 31 f.

358. Cf. Petzholdt (142), pp. 30 f. In the shorter of the two drafts, it simply reads, "literary history and the subject of book collections"; in the longer one, "the subject of libraries and book collections" is explained as a "universal resource." This wording expresses the concept of the time quite well: the *Bibliothecae*, that is, the bibliographies, represent in their totality the universal source for all literature.

359. See also notes 345 and 346. In the *Projekt*, the *Historia litteraria* is followed by *Miscellanea*.

360. Francke reversed the sequence: *Historia litteraria*, *Philologia*, *Historia*.
361. See also note 347.
362. Cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).
363. The first three "arts" in Francke's system were distributed as follows: the art of speaking was placed under *Philologia*, those of writing and printing with *Historia librorum*, a new subsection of the *Historia litteraria*; cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).
364. Cf. Matthiae (119), col. 797 f.
365. Cf. Jugler (88), vol. 1, p. 3: "Literary history is divided into general and special, and each is of the sciences strictly so called or of learned men or, finally, of books published by them." See also the remark of Johann Matthias Gesner, cited in chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]). Some authors, such as Francke, placed the *Historia (Notitia) librorum* second; cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).
366. Also, Francke listed the bibliographies in two different places; cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).
367. Cf. chapter 7 (Marchand's *Bibliographia*: *Notitia rei librariae*) and chapter 8 (French Usage 1789–1815).
368. Concerning Schütz, cf. *Allgemeine Deutsche Biographie*. vol. 33, (Leipzig 1891), and Šamurin (148), pp. 254–56.
369. Cf. Ersch (46).
370. Cf. chapter 8 (Designations of Bibliographies [German Usage]).
371. Friedrich Schlegel, in his 1812 Vienna lecture (printed in 1815), *Geschichte der alten und neuen Literatur* (151), still defined *Literatur* as the essence of a nation's intellectual life. Therefore, it is wrong to interpret *Literatur* in the title of the *Allgemeine Repertorium der Literatur* as *literature*. It is a repertory of knowledge in its totality. Cf., for instance, *Repertorium für Kunstwissenschaft*.
372. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Historia litteraria*).
373. Cf. chapter 8 (French Usage 1789–1815).
374. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).
375. Concerning Denis, cf. the bibliography of literature by Stock (167), pp. 211 f.
376. Cf. Denis (34), T. 1, p. 225.
377. *Ibid.*, 325.
378. Concerning the relationship of literary history to philology, cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).
379. Cf. Denis (34), T. 1, p. 273.
380. Denis meant works concerning documents. For works on writing also belonging here, and rightly here, he pointed, *op. cit.* p. 395, to linguistics, to which he had joined the art of writing (*Graphik*).
381. What are meant here are catalogs of libraries and the book trade, that is, inventory lists. Other lists of books that give information on publications, the *Bibliotheken*, form the third subsection of literary history.
382. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).
383. Cf. Denis (34), T. 1, p. iv: "Scholars have produced various works on the development of the field of knowledge, the art of writing, manu-

scripts, printing, about good, rare and pernicious books, on libraries and authors . . . but only a few embrace all the branches of knowledge of books that I have enumerated."

384. Only in one place, T. 2, p. 331, the term *Bücherkunde* remained as an explanation of Denis's "bibliography".
385. Cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).
386. Cf. Wachler (186), vol. 1, pp. vi and 8 ff.
387. An Italian translation of the *Einleitung* was published in 1846 in Milan.
388. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).
389. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).
390. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).
391. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).
392. Cf. Peignot (141), p. 381.
393. The noun *Bibliographia* to stand for *Bücherkunde* was used in Germany (as explained in chapter 8 [The Concept and the Term, German Usage]) only after the adjective *bibliographicus* (*bücherkundlich*) had been accepted. That the same thing happened in Italy is demonstrated by Francesco Tonelli's *Bibliotheca bibliographica* (Guastalla 1782). Grand (70), p. 634, considered Tonelli's work, like Petzholdt's work of the same title (Leipzig 1866), indeed the first modern bibliography of bibliographies. In reality it is a dictionary of authors alphabetically arranged and oriented towards literary history and knowledge of books. Cf. Grundtvig (77), p. 406, note 2. Murray (125), p. 8, note 7, pointed to the fact that there is in fact a section *Bibliographia et historia literaria* in a 1796 London antiquarian book catalog, edited in Latin; evidently it followed the Parisian pattern.
394. Contrary to this Marchand, who had introduced this usage, cf. chapter 7 [Marchand's *Bibliographia*: *Notitia rei librariae*], gathered later, after his emigration, lists of book titles under the name *bibliographies*—for example, in his *Dictionnaire historique* (The Hague 1758–59).
395. Planque had only pages 1–624 printed (*Abdomen* to *Catalepsis*)—incidentally, at his own expense. I saw the copy in the possession of the Bibliothèque nationale. Concerning the author, cf. the biographical dictionaries.
396. The *Epitre* of this anonymous work is signed P.J.D. Since the text also contains a treatise in the form of a letter of M. Du Monchaux, the physician of the university at Douay, he is credited with the authorship.
397. Cf. chapter 8 (The Concept and the Term [French Usage up to 1789]. Stolle (169), 4th ed., p. 119, also called Anselmo Banduri's *Bibliotheca nummaria* (Paris 1718) a treatise. It is a different story to apply the term treatise to a guide to literature in essay form that is entitled *Bibliographia*. For instance Heinrich Lohalm Meyer called his *Bibliographia physico-medica* a treatise; cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).
398. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).
399. Cf. chapter 5 (French and Dutch Usage).

400. Cf. Taylor (175), pp. 27 ff. Unfortunately Taylor mistakenly referred to the work in his text as *Bibliothèque instructive*.
401. Concerning Bellepierre, cf.—besides the biographical dictionaries—Barbier (5), s.v. "Bibliographie Parisienne." According to Barbier, the Parisian book dealer Ruault published in 1774 a supplement to the *Bibliographie Parisienne* for the year 1769. Because of an undetected printing error in the *Bibliographie Parisienne*, the *Catalogue général* of the Bibliothèque nationale lists this publication under Dellepierre. Malclès (112), p. 74, erroneously called Bellepierre the editor of the *Catalogue hebdomadaire*, the so-called *Feuille de Despilly*; concerning this, cf. Delalain (32), p. 229.
402. Grégoire did so in his *Rapport*, pp. 12 and 16, cited in note 404.
403. Cf. note 264 and chapter 8 (French Usage 1789–1815). The major source is Urbain Domergue's *Rapport fait au Comité d'instruction publique sur la Bibliographie générale* from 1793, reprinted in *Procès-verbaux du Comité d'instruction publique de la Convention nationale*, published by M. J. Guillaume, T. 2 (July 3–November 20, 1793) (Paris 1894), p. 795. Domergue was the chief of the *Bureau de Bibliographie* which edited the *Bibliographie française* under the supervision of the Commission or Section de Bibliographie of the Comité d'instruction publique.
404. Grégoire's *Rapport sur la bibliographie* (75) has been reprinted several times; I quote from the Paris edition of 1873. It is not concerned with bibliography in general, as is frequently claimed, but with the projected *Bibliographie française*. Schneider's (156) and Malclès's (112) remarks on the *Rapport* are not correct, nor are some of Klaiber (93). Grégoire wanted the titles of the anonymous publications organized by catchwords, evidently in one alphabet with the authors.
405. Cf. Grégoire (75), p. 14.
406. Cf. chapter 8 (French Usage 1789–1815).
407. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).
408. Cf. Delalain (39), chap. 1, "*Les Sources*."
409. In the beginning the *Bibliographie de la France* did not have this particular characteristic of a bibliography.
410. Cf. chapter 7 (Marchand's *Bibliographia*: *Notitia rei librariae*).
411. A few examples may suffice. Johann Michael Francke's *Catalogus Bibliothecae Bunavianae*, T. 1. (Leipzig 1750), p. 1, 3, 2: *De libris bibliothecarum nomine inscriptis*; Johann Andreas Fabricius's *Abriss einer allgemeinen Historie der Gelehrsamkeit* (Leipzig 1752), par. 119, "*Von den sogenannten Bibliotheken*." At the same time, Fabricius also used the expression *Bibliographien*. The compilers of bibliographies were occasionally called *Bibliothecographi*; Christian Wilhelm Kestner used this term in the table of contents of his *Bibliotheca medica* (Jena 1746). In the text he nevertheless called them *Bibliographi*. Heinrich Wilhelm Lawätz's *Handbuch für Bücherfreunde und Bibliothekare*, 2 vols. (Halle 1788), chap. 63, section 4, refers to *Bibliographien* only.
412. Cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).
413. Cf. Blum (11), p. 229.

414. As mentioned in chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]), Frobe's *Bibliographia logica* supplemented Wolff's *Logik*, except that the latter was not a literary-historical presentation.
415. Scheibel transcribed the titles very carefully, as was then customary only with objects of bibliophily; see also note 263. Concerning Scheibel, see *Allgemeine Deutsche Biographie*, vol. 30 (Leipzig 1890).
416. The German mathematical and astronomical bibliographies again were resumed by Jerome de La Lande: *Bibliographie astronomique avec l'histoire de l'astronomie depuis 1781 jusqu'à 1802* (Paris 1802); cf. Petzholdt (142), p. 538, and chapter 8 (Designations of Bibliographies [French Usage]).
417. Cf. chapter 8 (Designations of Bibliographies [French Usage]).
418. Christian Ehrenfried Weigel's *Einleitung zur allgemeinen Scheidekunst* (Leipzig 1788) includes an "*Allgemeine Bücherkunde der Chemie*."
419. Fabricius as early as 1752 (cf. note 411), Matthiae in 1755 (see also note 346).
420. Cf. Lawätz (104), vol. 2, chap. 63, section 4.
421. Cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).
422. Schneider's remark (156), p. 28, is not correct. He says, "The expression *Literatur* in this sense is hardly used in Germany; however, the French *littérature* is encountered quite frequently." The facts were different. Concerning the use of *littérature-bibliographie* in France and Belgium, cf. Grand (70), p. 599).
423. Cf. chapter 8 (Designations of Bibliographies [German Usage]).
424. Cf. Johann Stephan Pütter's *Litteratur des deutschen Staatsrechts* (Göttingen 1776); Friedrich Christoph Jonathan Fischer's *Litteratur des germanischen Rechts* (Leipzig 1782); Friedrich Wilhelm August Murhard's *Litteratur der mathematischen Wissenschaften* (Leipzig 1797); Karl Friedrich Burdach's *Litteratur der Heilwissenschaft* (Gotha 1810).
425. Cf. Heinrich Johann Otto König's *Lehrbuch der allgemeinen juristischen Litteratur* (Halle 1785); Johann Andreas Ortloff's *Handbuch der Litteratur der Philosophie* (Erlangen 1798).
426. Cf. Kayser (90), p. xii; Ludwig (109), p. vii.
427. Cf. Meusel (121), vol. 1, p. 131. He did not use the term *Bibliographien* in the 200-page bibliography of literature preceding his once highly valued *Leitfaden zur Geschicte der Gelehrsamkeit* (Leipzig 1799–1800).
428. Cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).
429. Vincenzo Coronelli affirmed in his *Biblioteca universale* T. 6 (Venice 1706), s.v. "*Bibliografia*," "[this] is the only designation for those books that contain a guide to many other books." This is true neither for the seventeenth nor for the eighteenth century.
430. James Douglas: *Bibliographiae anatomicae specimen sive Catalogus omnium pene auctorum qui ab Hippocrate ad Harveum rem anatomicam ex professo vel obiter scriptis illustrarunt, opera singulorum et inventa iuxta temporum seriem complectens* (London 1715; 2d ed. Leyden 1734). Michael S. Joseph: *Bibliographia critica sacra et profana* (Madrid 1740) (a universal bibliography).

431. Cf. Angelo Comolli's *Bibliografia storico-critica dell'architettura civile ed arti subalterne* (Rome 1788–92); Luigi Ranghiaschi's *Bibliografia storica della città e luoghi dello Stato Pontifico* (Rome 1793).
432. Cf. chapter 8 (Designations of Bibliographies [German Usage]).
433. Cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).
434. *Bibliographe* and *Bibliothécaire* are almost interchangeable in Namur's writings.
435. Cf. Namur (127), p. 245–49.
436. Cf. Namur (127), p. 1.
437. In early scholarly usage, the term *nomenclatura* and its derivations frequently served as designations for a simple list of titles, a bibliography without annotations; cf. chapter 3.
438. The idea of Ariadne's thread was used as early as 1789 by François, in 1802 by Peignot (for both, cf. chapter 8 [French Usage up to 1789], and then in 1923 by Schneider (156), p. 21.
439. Cf. Namur (127), pp. 16 f. and note 29.
440. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789).
441. Cf. Malclès (112), pp. 11 f. and 82.
442. Cf. Mortet (123); also, *Livre du centenaire* (108), vol. 1, pp. 40 and 59–62. Malclè's (112) presentation on pp. 12 and 82 suffers from a mistake in chronology. Mortet was not the first professor of bibliography at the École des Chartes and he did not make his inaugural speech in 1869 but in 1897.
443. From 1846 on, the diploma of an *Archiviste paléographe* of the École des Chartes admitted its owner to the higher library career in the French civil service; cf. Mortet (123), p. 79.
444. Cf. Mortet (123), p. 80.
445. Cf. Mortet (124), p. 24, and (123), p. 83.
446. Mortet announced as early as 1897 that, in the third part of his course, he would give a survey of the development of libraries, particularly of French libraries; as can be gathered from his 1920 report, he carried this out.
447. At the same time an analogous course of instruction was established for archival services. Cf. Mortet (123), p. 82.
448. Mortet (123), p. 86, gave an incomplete survey of bibliographic works compiled by former students of the École des Chartes; cf. *Livre du centenaire* (108), vol. 2, pp. 97–99.
449. Mortet did not list Grand (intentionally?) in the above-mentioned survey; but his title of *Archiviste paléographe* identifies him as a student of the École des Chartes. Cf. *Livre du centenaire* (108), vol. 2, p. 71.
450. Malclès (112), pp. 11 f., indicated 1885 as the year of publication of Grand's article. The *Grande Encyclopédie* began publication that year, but volume 6 presumably did not come out before 1888. Unfortunately the volumes do not carry dates, but Grand himself cited a book published in 1887, and a separate print of his article "*Biographie*" in the possession of the Bibliothèque Nationale is dated 1888.
451. Cf. Langlois (103), p. viii.
452. Cf. Stein (165), p. 5.

453. In order to avoid confusion between the two terms, during the last quarter of the nineteenth century, bibliography in its narrow meaning was declared—as once Peignot did—bibliography, properly so called. That for instance was the title of the bibliography of bibliographies added to the *Compte rendu* of the Congrès bibliographique international (Paris 1879 and 1889); cf. Langlois (103), 2d ed., p. 73, 1.
454. Cf. chapter 9 (French Usage to 1918).
455. Toward the end of the nineteenth century, it was no longer correct to speak only of books and lists of books, since dependent publications such as articles in journals and contributions to collections gained ground; cf. chapter 1.
456. The term bibliography itself did not seem to present a problem to the founders of the Institut International de Bibliographie; for them the term meant description of books, that is, in modern usage, description of literature. One can read in the statutes of the Institut, "Its purpose is (1) to promote the progress of the catalog of publications, the classification and description of the products of the human mind." Cf. *Bulletin de l'Institut international de Bibliographie* 1 (1895), p. 12. A similar wording was used by Paul Otlet in his *Traité de documentation* (Brussels 1934); cf. chapter 9 (French Usage since 1919).
457. Cf. Langlois (103), p. viii.
458. Cf. chapter 6 (*Bibliothecae* and *Notitia librorum*).
459. Cf. chapter 8 (French Usage up to 1789; French Usage 1789–1815).
460. Cf. chapter 8 (French Usage 1789–1815).
461. Cf. chapter 9 (French Usage to 1918).
462. More precise statements must be reserved for a future research paper.
463. Cf. Grand (70), p. 639.
464. Cf. Langlois (103), p. vii.
465. Cf. Lameere and Sury (101).
466. Cf. Lameere and Sury (101), pp. 239 f. There one reads: "The course in bibliography will embrace two sets of lessons. In the first set the students will be initiated into the theory of bibliography, its history, and the rules related to its external organization. Different points dealt with in these lessons will include a discussion of the various kinds of lists, by subject and names of authors, an examination of the different situations encountered in the organization of names, the arrangement of anonymous works in bibliographies . . . the organization and function of services set up in various countries to assemble, preserve, and publish bibliographic information, the transcription of titles, bibliographic classifications, the editing and arranging of entries. The second set of the bibliographic course will deal with literature of bibliography. Its purpose will be to acquaint the students of École du Livre with the important national and international lists of books and all the works one must know in order to become a bookseller, librarian, or bibliographer. It is necessary that this course be a practical one."
467. Cf. Mortet (123), p. 84, 2.
468. In the Brussels edition of the *Classification Décimale*, "*Bibliographie*" was preceded by a section entitled "*Prolegomena.*"

469. Cf. Ebert (39), pp. 117 f.
470. Cf. Schneider (156), 4th ed., p. 17.
471. Cf. chapter 7 (Martin's *Bibliographia: Librorum historia et descriptio*).
472. Ebert understood *literarische Cultur* to include both scholarly publications and belles lettres.
473. Ebert surely did not mean that bibliography (the description of books as a process) was an indicator of the extent of literary culture; it was its effect that was for him an instrument for evaluating the extent of literary culture. The meaning of the metaphor of the *Codex diplomaticus* can be gathered from some sentences Ebert wrote during the same year in another work (39) about the subject knowledge expected of a bibliographer. He said there, on p. 107: "If he [the bibliographer] needs a comprehensive encyclopedic knowledge at all, a thorough familiarity with history, particularly literary history, is necessary above all. Someone wishing to compile archival material and official publications that resulted from the Schmalkaldic War would need to know the history of 1546 and 47 and the preceding years. Is bibliography anything other than the *Codex diplomaticus* of literary history?"
474. Cf. chapter 9 (German Usage since 1919).
475. Cf. Schneider (156), p. 9, and (155), p. 3. Schneider cited Ebert incorrectly; he said "*Erkenntnis der schriftstellerischen Erzeugnisse* ..." [cognition of literary products] instead of "*Kenntnis*" [knowledge]. Because of this, the sentence sounds more pretentious than intended.
476. When Ebert talked of a bibliography in the broad sense, he did not mean the concept prevalent in France but the science as he had defined it—in contrast to the description of the individual book, the individual list of titles.
477. Cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).
478. Ebert's expositions do not imply that he assigned bibliography the task of dealing comprehensively with the intellectual aspects of literature also, as Schneider affirmed (155), p. 4.
479. Issued as a preface to Christian Gottlob Kayser's *Deutsche Bücherkunde*.
480. Cf. chapter 9 (German Usage to 1918).
481. Ebert planned to write a textbook of bibliography. In a letter of 1832 addressed to Brockhaus, he said that he wanted to begin with the part that dealt with libraries; cf. Schreiber (158), p. 9. From this one cannot conclude that, during the last years of his life, Ebert enlarged his concept of bibliography to include library science; rather one should consider that the section *Bücherkenntnis* (knowledge of books) was subdivided in Schütz's and Ersch's system as (1) *Bibliothekenkunde* (knowledge of libraries) and (2) *Eigentliche Bibliographie* or *Bücherkunde* (bibliography proper or knowledge of books); cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]). Presumably Ebert's intention was to deal with libraries first, because like Schütz and Ersch he thought of library catalogs as not only the oldest but also the most important lists of books and aids to the knowledge of books.

482. According to a remark by Fick (50), p. 553, Karl Dziatzko's teaching activity as professor of library science at the University of Gettingen effected a change in the customary concept of bibliography, so that it was understood primarily as information about old books. The concept, as far as I can see, was not held outside of Göttingen.
483. Cf. Ebert (39), p. 105.
484. Cf. Malclès (112), p. 90.
485. Cf. Namur (127), p. 18, note 32.
468. Lameere and Sury used the expression *Littérature bibliographique* in 1897 in the same way; cf. chapter 9 (French Usage to 1918).
487. Cf. Graesse (69), vol. 1, par. 12.
488. Cf. chapter 8 (The Concept and the Term [French Usage 1789–1815; German Usage]).
489. Cf. *Die Stadtbibliothek in Frankfurt am Main* (162), pp. 155–58.
490. Cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).
491. Cf. Seizinger (159), p. 163.
492. Cf. Fuchs (59), Appendix III, p. 3.
493. Cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).
494. Cf. chapter 9 (French Usage to 1918).
495. Cf. Hartwig (80).
496. Cf. Hartwig (80), *Vorbericht*, p. 15: "I hope there are no objections that I gave the division 'knowledge of books and general publications' the first place among the twenty divisions . . . At most one could disagree on the designation given to this group."
497. For example, see the German foreign language dictionaries of the late nineteenth century: Joh. Christ. Aug. Heyse's *Allgemeines verdeutschendes und erklärendes Fremdwörterbuch*, 17th ed. (Hannover 1896); Friedrich Erdmann Petri's *Handbuch der Fremdwörter*, 21st stereotype ed. of the 13th ed. (Gera 1899).
498. Cf. chapter 8 (The Concept and the Term [German Usage]).
499. Cf. chapter 9 (French Usage to 1918).
500. A parallel can be seen in the terminology of Friedrich Clement Ebrard. When he reworked the system constructed by Böhmer for the Stadtbibliothek Frankfurt am Main (cf. chapter 9 [German Usage to 1918]) during the eighties, he combined into one group printing, the book trade, and general bibliography, and entitled it *Notitia librorum*; cf. *Die Stadtbibliothek in Frankfurt am Main* (162), p. 158. He did not go as far as Hartwig with his *Bücherkunde*, which also included literary history, but *Notitia librorum* was also unusual as a designation for that group. The term in general meant knowledge of books and aids to knowledge of books. Could it have been a translation of the French term *Bibliographie* which, when understood in its broader meaning, must be translated "knowledge of books as a subject"?
501. According to the kind information of Dr. A Brauer, the archivist of the Börsenverein des Deutschen Buchhandels, Kleemeier had worked for the Hinrich publishing house in Leipzig.
502. Cf. Graesel (68), pp. 8 f. In the end, Graesel's *Handbuch* was based on Julius Petzholdt's *Katechismus der Bibliothekslehre* (Leipzig 1856).
503. The concept prevalent in France and Belgium was put forth for

instance, by Namur, as shown in chapter 9 (Theory and Terminology of Bibliography at the Beginning of the nineteenth century). Schmidt did not know Namur's *Manuel du bibliothécaire* of 1834 before he had finished his own work; cf. Schmidt (153), p. 458.

504. Cf. Schmidt (153), p. 4.
505. See also note 427.
506. Cf. Eichler (41), particularly pp. 17 and 30.
507. Concerning instruction in bibliography at the Paris Ecole des Chartes since 1869 chapter 9 (French Usage to 1918); for literary references to similar instruction in other cities during the nineteenth century, see Grundtvig (77), pp. 431 f.
508. He indicated on p. iv the reasons why he did not include subject bibliographies.
509. Cf. Schneider (156), pp. 9–11. Concerning the use of the term *Bücher-* or *Literaturverzeichnis* (*Schrifttumsverzeichnis*), cf. note 455.
510. Schneider's first intention was to compile a systematic bibliography of general bibliographies; the theoretical expositions were added later. Cf. Schneider (156), p.v.
511. It is not completely unobjectionable to speak of a systematic part of bibliography as a subject of instruction, because this "systematic bibliography" could be mistaken for a systematically organized list of publications. The same objections can be raised for other attributes. Therefore, it is not advisable to refer to the second part of the discipline of bibliography as the practical—in contrast to the first, the theoretical—something Schneider seems to have considered; cf. Schneider (156), p.v. Practical bibliography usually means the preparation or the utilization of lists of literature. A reason for the attribute "systematic" is that the theory of an information about lists of literature are called systematic or enumerative bibliography in English. The division of bibliography into a theoretical part and a bibliography of bibliographies goes back to Widmann (191), who thereby continued one of Schneider's ideas. Lameere and Sury once differentiated between theory and literature of bibliography; cf. chapter 9 (French Usage to 1918). Petzholdt too said *Literatur der Bibliographie*; cf. chapter 9 (German Usage to 1918). I give preference to an adjectival wording. Two of the authors of the *Handbuch der bibliographischen Nachschlagewerke*, Totok and Weimann (178) are, according to their statement in a letter, inclined to call bibliography as a subject of instruction *Bibliographik*. It would indeed be advisable to have different names for the theory of the description of literature and lists of literature, on the one hand, and the description of literature and lists of literature per se on the other.
512. Cf. Schneider (156), p. ii.
513. Cf. chapter 9 (French Usage to 1918).
514. Schneider did not indicate the contradictions and exaggerations; I am unable to find any.
514. Cf. chapter 9 (French Usage to 1918).
516. Cf.—besides the textbooks and handbooks of bibliography listed in the bibliography at the end (3, 51, 96, 178, 191)—the article by Horn (84).

517. An exception is Baer's work (3), written for book dealers.
518. Cf. chapter 9 (French Usage to 1918).
519. Cf. Leyh (106), pp. 52 f. One reads in Schneider's *Einführung* (155), p. 4, "We Germans have long since abandoned that boundless concept of 'broad' bibliography and think of it predominantly in its narrow sense, namely as the theory of listing literature." This is a misstatement. Few Germans ever thought of bibliography as the theory of listing literature.
520. Cf. Vorstius (184), p. 324 and (182), pp. 1 f.
521. Cf. Krabbe (96), 5th ed., p. 7; 6th ed., p. 9.
522. Cf. Schneider (157).
523. Cf. Widmann (191).
524. Even though the most difficult tasks that Schneider once assigned to the theory of bibliography now, according to prevalent opinion, belong in the theory of cataloging, the remaining problems have only partially been solved to satisfaction. Characteristics that catalogs and bibliographies have in common have been elaborated, yet so far no conclusions have been drawn from their differences. Further more a most important area that Schneider hardly touched upon has been attacked only in recent years: the methodology of the utilization of lists of literature. Cf. the works of Baer (3) and Weitzel (189).
525. It is worthwhile mentioning that the *Grosse Herder* (Freiburg, Br., 1952) explains bibliography as lists of literature and information about such lists.
526. Cf. chapter 9 (German Usage since 1919).
527. Cf. chapter 9 (German Usage to 1918).
528. To designate the concept in a narrow form (knowledge of books containing lists of literature) Germans like to use a word of foreign origin (*Bibliographie*) which actually has the same meaning as the German term in its broad sense, *Bücherkunde*. Cf. chapter 8 (German Usage to 1918).
529. Cf. Fuchs (57), p. 80, and Fleischhack (52), p. 44.
530. Cf. "Entwurf eines Rahmenplans für die volksbibliothekarische Ausbildung" (42), pp. 155–58.
531. Cf. Günther Franz's *Bücherkunde zur deutschen Geschichte* (Munich 1951); Wilhelm Fuchs's *Juristicsche Bücherkunde* (5th ed., Göttingen 1953); Gottfried Kricker's *Medizinische Bücherkunde und Bibliotheksbenutzung* (3d ed., Leipzig 1954). No one can deduce from the titles of these three works whether they teach a knowledge of books in the first or second degree—information on the most important books or on the most important lists of books in the respective fields. The *Grosse Brockhaus* (Wiesbaden 1952) too seems to equate bibliography in its narrowest sense with *Bücherkunde*; there one finds, s.v. "Bibliographie," "Theory of lists of books—or lists of literature [*Lehre von den Bucher—oder Literaturverzeichnissen* [Bücherkunde)]."
532. Cf. chapter 9 (French Usage since 1919). Unfortunately this term cannot be used for this concept in German, because in that language secondary bibliography already means something else, namely a

bibliography compiled from a primary bibliography and not from the literature on hand.

533. Milkau had a predecessor in the Danish librarian Svend Dahl, whose *Haandbog i Bibliotekskundskab* first appeared in 1912 in Copenhagen.

534. Milkau even solicited contributions—almost in the footsteps of Peignot—on languages and their relationships, as well as on the academies of sciences. In the second edition these two chapters were omitted; instead the history of paper was added.

535. Cf. Grundtvig (77), p. 421. Volume 1 of the latest edition of Dahl's handbook, entitled Nordisk *Handbog i Bibliotekskundskab* (Copenhagen 1957) deals with literary history first.

536. Cf. Leyh (106), p. 53.

537. Cf. Schneider (156), p. 13.

538. Cf. Fisk (50), p. 556.

539. Cf. Feyl (49), pp. 266 ff.

540. Cf. Dube (36), p. 75.

541. Cf. Schmidt (154).

542. Cf. Grundmann (76). Concerning the discussion of the concept of book science, cf. *Börsenblatt für den Deutschen Buchhandel*, Frankfurt edition, XXII, 1966, pp. 49–51.

543. Cf.—besides the German editions of the Brussels Decimal Classification—the *Allgemeine Systematik für Büchereien* (Reutlingen 1956); also the *Einheitliche Systematik. Gliedereung für die Gruppen der Deutschen Nationalbibliographie* (Leipzig 1958). In addition, Ladislaus Buzás's *Der systematische Katalog der Universitätsbibliothek München*, vol. 1 (Munich 1957). The catalog of the Rostock university library, edited in 1966 by Gisela Ewert, is organized differently. Bibliographies there are in class A, but bibliography is in class K after class J, which is knowledge of the sciences. Dr. Roloff kindly called my attention to the fact that Ewert followed the official Soviet classification.

544. Even today the École des Chartes uses bibliography in its broad meaning. Cf. *Notice sur l'Ecole des chartes*, 18th ed. (Paris 1968), p. 32. For a copy of the *Notice* I am indebted to Mr. P. Marot, the director of the school.

545. Cf. Friden (55); Stein (164); Calot (22); Caron (23).

546. Cf. Calot (22), p. 11.

547. *Ibid.*, p. 14.

548. Cf. chapter 9 (English Usage).

549. Cf. chapter 9 (French Usage to 1918).

550. Cf. chapter 9 (French Usage to 1918).

551. Cf. Otlet (135), pp. 286 f.

552. Cf. chapter 9 (German Usage to 1918).

553. Cf. Malclès's *Les Sources du travail bibliographique* (Geneva 1950–58) (handbook); *Cours de bibliographie* (Geneva 1959) (textbook, 1st draft); *Manuel de bibliographie* (Paris 1963) (textbook, 2d draft); *La Bibliographie* (Paris 1956) (history).

554. Cf. Malclès (116), vol. 1, p. 2.

555. In her *Manuel* (115), p. 6, Malclès noted that in the eighth edition of its *Dictionnaire* (1932) the French Academy defined bibliography as "knowledge of books published on a certain subject, their editions, value, and rarity." The *Grand Larousse encyclopédique* (Paris 1960) explains it as "science of books and their editions in a category decided upon."
556. Cf. Malclès (116), vol. 1, p. 3.
557. By description Malclès did not mean the description of titles—here called identification and later transcription—but rather their annotation.
558. Cf. Malclès (112), p. 107.
559. Cf. Malclès (113), p. 6.
560. Cf. Malclès (115), p. 7.
561. Cf. chapter 9 (French Usage since 1919).
562. Cf. chapter 9 (German Usage to 1918).
563. Cf. Malclès (116), vol. 2, p. iii.
564. Sources, for Malclès, did not mean lists of books, but rather the books themselves, the sources of knowledge. This was also true for Née and Langlois (all chapter 8 [French Usage up to 1789] and chapter 9 [French Usage to 1918]).
565. Cf. Malclès (113), pp. viii f.
566. In a different passage of the same work, on p. ix, Malclès wrote pointedly, "Bibliography is the art of discovering those books one does not already know." Cf. Malclès (116), vol. 1, p. 2.
567. Cf. chapter 9 (French Usage to 1918).
568. Cf. Malclès (113), p. viii.
569. Cf. chapter 9 (French Usage since 1919).
570. Cf. Malclès (116), vol. 2, p. iv.
571. Cf. chapter 9 (French Usage to 1918).
572. Cf. chapter 9 (German Usage since 1919).
573. Cf. Malclès (113), p. 7.
574. Cf. chapter 9 (French Usage since 1919).
575. Cf. chapter 9 (French Usage since 1919).
576. Cf. Langlois (103), 2d ed., vol. 1, p. 202.
577. Cf. Malclès (112), p. 7.
578. Cf. Malclès (112), p. 11; Friden (55).
579. Cf. Horne (85), p. 27.
580. The second point refers to subject bibliographies.
581. Cf. Horne (85), p. 362.
582. *Ibid.*, p. 373.
583. Cf. Vorstius (183), p. 82.
584. Cf. Brown (19), pp. 9–17.
585. Cf. Fumagalli (61), p. vi.
586. Cf. Ranganathan (144), p. 417.
587. Cf. Brown (19), p. 3.
588. *Ibid.*, p. 4.
589. *Ibid.*, p. 8.
590. *Ibid.*, p. 10.
591. *Ibid.*, p. 10.

592. *Ibid.*, p. 8.
593. *Ibid.*, pp. 17–19.
594. Cf. chapter 8 (French Usage to 1789; French Usage 1789–1815).
595. Cf. chapter 9 (French Usage to 1918).
596. Cf. Brown (19), pp. 58 f. and 155 f.
597. *Ibid.*, pp. 58 f.
598. Cf. Harrod (79) and Landau (102), s.v. "Bibliography." Harrod, influenced by the Americans Van Hoesen and Walter (cf. chapter 9 [English Usage]) whom he cited, also included library administration, which he called bibliothecal bibliography.
599. Cf. Esdaile (47), p. 20; also chapter 9 (German Usage to 1918).
600. Cf. *ibid.*, p. 17.
601. Cf. *ibid.*, p. 228, at the beginning of the chapter: "The collation of books: An understanding of the processes of book-building outlined in the preceding chapters will enable one to examine and describe books."
602. Cf. chapter 9 (English Usage).
603. Cf. Esdaile (47), p. 21.
604. This does not mean that he thought every book should be described like an incunabulum. He differentiated among four methods of cataloging: minimum entry, short entry, short standard description, and full standard description. Only the fourth grade is close to the cataloging of incunabula, but even that grade is not equal.
605. Cf. Esdaile (47), pp. 377–79.
606. Cf. Greg (74), p. 48. Greg's more important articles were gathered in his *Collected Papers* (72).
607. Cf. Greg (73), p. 243.
608. The German term *kritische Bibliographie* means something else: a bibliography with critical annotations.
609. Cf. Greg (71), p. 30: "At length, however, it was realized that just as behind all the extant manuscripts lay the original that it was the object of the genealogical method to reconstruct, so behind the earliest edition of a work lay the copy that the printer had before him and that a good deal can sometimes be inferred respecting the character of this copy from the bibliographical and textual peculiarities of the edition printed from it."
610. Unfortunately a study by Liselotte Heil, "*Buchkundliche Forschungsmethoden in ihrer Anwendung auf dis englische Literaturgeschichte*," submitted to the Bibliothekar-Lehrinstitut of Nordrhein-Westfalen as an examination paper (Cologne 1955), has not been printed. I am indebted to this informative paper for many important references. On p. 3 Heil listed the few comparable studies of the texts of German authors.
611. An outline of this introduction appeared in 1914 together with Greg's lecture cited in chapter 9 (English Usage). Cf. McKerrow (111).
612. Cf. McKerrow (110), p. vi.
613. Cf. Cowley (29), p. 19.
614. Cf. chapter 3 and chapter 8 (French Usage up to 1789).
615. Cf. Frank C. Francis's article in *Chambers' Encyclopaedia* (1959), and Fredson T. Bowers's in the *Encyclopaedia Britannica* (1962).

616. A single reference, without mention of the term critical bibliography, can be found in Malclès (115), p. 7, note 3.
617. This term demonstrates how tempting it is to enlarge the concept of bibliography even further. Van Hoesen and Walter did not think of bibliography as limited to the preparation of lists, as Harrod (79), s.v. "Bibliography," affirmed.
618. Van Hoesen and Walter called it bibliothecal bibliography. See also note 598.
619. This does not mean subject bibliographies, but bibliographies for a particular kind of literature—for example, lists of dissertations.
620. This can be observed in Schneider and even more in Malclès.
621. Concerning the Italian concept of bibliography, compare Fumagalli's concept (61) with the Polish one described by Korpala (95).
622. Cf. *Winkler Prins Encyclopaedie*, 6th ed., vol. 4 (Amsterdam 1949), p. 125, s.v. "*Bibliografie*." In the seventh edition, this remark is missing. Caron's remark was cited in chapter 1.
623. Cf. *Die Bibliographie in den europäischen Ländern der Volksdemokratie* (7). Concerning the role of recommending bibliography, cf. p. 31 (Bulgaria); p. 51 (Poland); pp. 77 f. (Romania); pp. 98, 101, and 120 (Czechoslovakia); p. 140 (Hungary).
624. Cf. *Gegenstand und Methode der Bibliothekswissenschaft* (64), pp. 20 and 338.
625. Cf. Borov (16), p. 305. Feyl of East Berlin reported during the same conference that this combination is already in existence at the Library Science Institute at Humboldt University. Cf. note 539 and chapter 9 (German Usage since 1919).
626. Cf. chapter 9 (German Usage since 1919).
627. Cf. chapter 8 (French Usage 1789–1815; Designations of Bibliographies [German Usage]).
628. This can easily be gathered from the lists compiled by Malclès: "Important specialized and retrospective bibliographies of the nineteenth century and the first specialized periodically published bibliographies established during the nineteenth century." Both lists were intended for her history of bibliography (112), but only the second was printed, on pp. 93 ff. The first was merely included in the second improved edition, which appeared outside the book trade.
629. Cf. chapter 9 (German Usage to 1918).
630. Two titles that once more show the continuity in the same field may serve as examples: Karl Christoph Stiller's *Deutsche Bücherkunde der Freimaurerei* (Rostock 1830) and Reinhold Taute's *Maurerische Bücherkunde* (Leipzig 1885).
631. The title of this bibliography, *Quellenkunde der deutschen Geschichte*, is a test case for the ambiguous entitling of a list of literature. Knowledge of sources, especially in history, usually means something else; in French, however, it is permissible to call a knowledge of the publications in a certain field *connaissance des sources*. See also note 564.
632. Cf. the reference of the historian Fritz Ernst in *Das historischpolitische Buch* 4, 1956, p. 225: "On the other hand, in our discipline *Bücherkunde* has meant a selection of books with brief annotations, ever

since Victor Loewe published his guide under his real name and with this final title."

633. Cf. *Kieler Schrifttumskunden zur Wirtschaft und Gesellschaft*, published by the Institut für Weltwirtschaft at Kiel University.

634. Cf. the remark of Werner Schochow in *Zeitschrift für Bibliothekswesen und Bibliographie* 13, 1966, p. 165.

635. The series of these bibliographies starts with the indexes published by William Frederick Poole: *Alphabetical Index to the Subjects Treated in the Reviews and Other Periodicals* (New York 1848); *Index to Periodicals* (New York 1853).

636. It is not now and never was customary to call the description of an individual book bibliography. One finds nowadays in Germany, however, in some systematically arranged announcements of new books, a column entitled *Bibliographie*, where the number of pages and illustrations is indicated. Bibliography here means description of that book. What is presented in this column, however, is but a small part of the bibliographic data necessary for the description of a book. For this reason, one should refrain from using this term here.

قائمة المصادر

1. Achard, Claude François. *Cours élémentaire de bibliographie*. Marseille, 1806–7.
2. Bacon, Francis. *De dignitate et augmentis scientiarum*. London, 1623. English edition: *Of the Proficience and Advancement of Learning*. London, 1605.
3. Baer, Hans. *Bibliographie und bibliographische Arbeitstechnik*. Frauenfeld, 1961.
4. Baillet, Adrien. *Jugements des sçavans sur les principaux ouvrages des auteurs*. Paris, 1685–86.
5. Barbier, Antoine Alexandre. *Dictionnaire des ouvrages anonymes et pseudonymes*. Paris, 1806–9. Title of 3d ed.: *Dictionnaire des ouvrages anonymes*. Paris, 1872–79.
6. Besterman, Theodore. *Les débuts de la bibliographie méthodique*. 3d rev. ed. Translated from the English. Paris, 1950.
7. *Die Bibliographie in den europäischen Ländern der Volksdemokratie*. Bibliothekswissenschaftliche Arbeiten aus der Sowjetunion und den Ländern der Volksdemokratie in deutscher Übersetzung, vol. 3. Leipzig, 1960.
8. Birt, Theodor. *Das antike Buchwesen in seinem Verhältnis zur Literatur*. Berlin, 1882. Reprint Aalen, 1959.
9. Bissel, Christian. *Die "Bibliographia politica" des Gabriel Naudé*. Erlangen, 1966.
10. Blum, Rudolf. "Bibliotheca Memmiana. Untersuchungen zu Gabriel Naudés *Advis pour dresser une bibliothèque*," in *Bibliotheca docet. Festgabe für Carl Wehmer*. Amsterdam 1963, pp. 209–32.
11. ———. "Wilhelm Totok und Karl-Heinz Weimann: Entwurf einer bibliographischen Terminologie." *Zeitschrift für Bibliothekswesen und Bibliographie* 12 (1965), pp. 224–31.
12. ———. "Goethe und die Bibliothekarwissenschaft." *Zeitschrift für Bibliothekswesen und Bibliographie* 16 (1969), pp. 81–85.
13. ———. "Vor- und Frühgeschichte der nationalen Allgemeinbibliographie." *Archiv für Geschichte des Buchwesens* 2 (1959), pp. 233–303. Separate reprint Frankfurt am Main, 1959.
14. Boecler, Johann Heinrich. *Bibliographia historico-politico-philologica curiosa*. Germanopoli, 1677. Published anonymously.
15. Boehmer, Justus Christophorus. *Prolusiones VII publicarum lectionum auspiciis in Academia Julia praemissae*. Helmstedt, 1707.
16. Borov, Todor. "Die Bibliographie als Universitätslehrfach." *Gegenstand und Methoden der Bibliothekswissenschaft* 64, pp. 296–311.
17. Bouginé, Carl Joseph. *Handbuch der allgemeinen Litterargeschichte nach Heumanns Grundriss*. Zurich, 1789–92.

18. Boulard, Martin Silvestre. *Traité élémentaire de bibliographie*. Paris, 1804.
19. Brown, James Duff. *A Manual of Practical Bibliography*. London, 1906.
20. Brunet, Jacques Charles. *Manuel du libraire et de l'amateur de livres*. Paris, 1810. 5th ed. Paris, 1860–65. Reprint Berlin, 1921.
21. Cailleau, André Charles, and Duclos, R. *Dictionnaire bibliographique, historique et critique des livres rares* . . . Paris, 1790.
22. Calot, Frantz, and Thomas, Georges. *Guide pratique de bibliographie*. Paris, 1936. 2d ed. Paris, 1950. Citations are from the 2d ed.
23. Caron, Pierre, and Jaryc, Marc. "La bibliographie." *Encyclopédie française* 18 Paris, 1939, pp. 24, 14–16.
24. *Catalogus Bibliothecae Thuanae a . . . Petro et Jacobo Puteanis ordine alphabetico primum distributus, tum a . . . Ismaele Bullialdo secundum scientias et artes digestus, denique editus a Josepho Quesnell* . . . Paris, 1679.
25. Christ, Karl. "Ein bibliothekarischer Briefwechsel des 16. Jh. 'De ordinanda bibliotheca'," in *Aus der Handschriftenabteilung der Preussischen Staatsbibliothek. Abhandlungen und Nachbildungen von Autographen, Ludwig Darmstaedter zum 75. Geburtstag dargebracht*. Berlin, 1922, pp. 64–77.
26. Clemens, Claudius. *Musei sive bibliothecae tam privatae quam publicae extructio, instructio, cura, usus*. Lyon, 1635.
27. Conring, Hermann. *De Bibliotheca Augusta quae est in arce Wolfenbuttelensi*. Helmstedt, 1661.
28. Cotton des Houssayes, Jean Baptiste. *Oratio habita in comitiis generalibus Societatis Sorbonicae die vigesima tertia Decembris 1780*. Paris, 1781.
29. Cowley, John Duncan. *Bibliographical Description and Cataloguing*. London, 1939.
30. Davillé, Louis. *Leibniz historien*. Paris. 1909.
31. Debure, Guillaume François (le Jeune). *Bibliographie instructive*. Paris, 1763–68.
32. Delalain, Paul. "Les ancêtres de la bibliographie de la France." *Bibliographie de la France* (1911), *Chronique*, pp. 223–29.
33. ———. *L'imprimerie et la librairie à Paris de 1789 à 1813*. Paris, 1899.
34. Denis, Michael. *Einleitung in die Bücherkunde*. Vienna, 1777–78.
35. Doresmieulx, Claude. *Bibliographus Belgicus seu Librorum index qui in Regiis ac maxime Catholicis Belgii Provinciis Anno Christiano 1640 novi vel emendatiores vel auctiores prodierunt*. Lille, 1641.
36. Dube, Werner. "Internationale Konferenz über Probleme der Hochschulbildung für Bibliothekare, 25.–27. März 1958." *Zentralblatt für Bibliothekswesen* 72 (1958), 69–75.
37. Ebert, Friedrich Adolf. *All gemeines bibliographisches Lexikon*. Leipzig, 1821–30.
38. ———. "Bibliographie." *Allgemeine Encyclopädie der Wissenschaften und Künste*. Edited by Johann Samuel Ersch and Johann Gottfried Gruber. 10. Leipzig, 1823, p. 47.
39. ———. "Über einige Mängel der neueren deutschen Bibliographie

und ihr Verhältnis zur französischen." *Hermes* 10 (1821), pp. 104–120.
40. ———. *Zur Handschriftenkunde*. Leipzig, 1823.
41. Eichler, Ferdinand. *Begriff und Aufgabe der Bibliothekswissenschaft. Vortrag, gehalten im Österreichischen Verein für Bibliothekswesen in Wien am 30. Mai 1896*. Leipzig, 1896.
42. "Entwurf eines Rahmenplans für die volksbibliothekarische Ausbildung." *Mitteilungsblatt. Verband der Bibliotheken des Landes Nordrhein-Westfalen* N. F. 13 (1963), pp. 155–58.
43. Erman, Wilhelm, and Horn, Ewald. *Bibliographie der deutschen Universitäten*. Leipzig, 1904–5.
44. Ersch, Johann Samuel. *Allgemeines Repertorium der Literatur für die Jahre 1785–1790*. Jena, 1793–94.
45. ———. *Handbuch der deutschen Literatur seit der Mitte des 18. Jh.* Leipzig, 1812–14. New ed. Leipzig, 1822–40.
46. ———. "Über Litteratoren und Rezensenten." *Allgemeiner Litterarischer Anzeiger* (1797), pp. 1–4, 9–13, 25–28. Published anonymously.
47. Esdaile, Arundell. *A Student's Manual of Bibliography*. Revised by Roy Stokes. London, 1954 and 1967. 1st ed. 1931. Citations from the 1954 ed.
48. Fabricius, Johann Andreas. *Abriss einer allgemeinen Historie der Gelehrsamkeit*. Leipzig, 1752–54.
49. Feyl, Othmar. "Die Wissenschaftskunde als bibliothekswissenschaftliche Hochschuldisziplin." *Gegenstand und Methoden der Bibliothekswissenschaft* 64, pp. 263–75.
50. Fick, Richard. "Die bibliographische Schulung des Bibliothekars." *Zentralblatt für Bibliothekswesen* 45 (1928), pp. 551–61.
51. Fleischhack, Curt, Rückert, Ernst, and Reichardt, Günther. *Grundriss der Bibliographie*. Leipzig, 1957.
52. ———. *Wege zum Wissen*. 5th ed. Leipzig, 1944.
53. Francke, Johann Michael. *Catalogus Bibliothecae Bunavianae*. Leipzig, 1750–56.
54. François de Neufchâteau, Nicolas Luis. *Recueil des lettres circulaires . . . émanées du Citoyen François (de Neufchâteau) pendant see deux exercises du Ministère de l'Intérieur*. 1 Paris an VII (1799).
55. Friden, Pierre. "Bibliographie." *Revue de synthèse* 7 (1934), pp. 45–52. (Article for the Vocabulaire du Centre international de synthèse).
56. Frobes, Nikolaus. *Christiani Wolfii philosophia rationalis sive logica in compendium et luchulentas tabulas redacta*. Helmstedt, 1746.
57. Fuches, Wilhelm. *Juristische Bücherkunde*. 5th ed. Göttingen, 1953.
58. ———. *Juristische Bücherkunde in Göttingen vor 100 und 180 Jahren*. Leipzig, 1929.
59. ———. *Zur Theorie und Praxis des Realkatalogs*. Göttingen, 1941.
60. ———. "Zur Würdigung von Matthiaes 'Ordo Catalogi librorum Materialis'." Enclosure to Fuchs. *Zur Theorie und Praxis des Realkatalogs*. Göttingen, 1941.
61. Fumagalli, Giuseppe. *Bibliografia' di Giuseppe Ottino*. 4th ed. Milan, 1935.

62. Furnagalli, Giuseppe. *Utilità, storia ed oggetto dell'insegnamento bibliografico.* Bologna, 1890. Reprint from *Rivista dell'Istruzione Superiore* 4 (1890).
63. Garnier, Jean. *Systema Bibliothecae Collegii Parisiensis Societatis Jesu.* Paris, 1678. Reprinted from *Sylloge*, edited by Koeler. Frankfurt am Main, 1728. See no. 173.
64. *Gegenstand und Methode der Bibliothekswissenschaft unter besonderer Berücksichtigung der Bibliothekswissenschaft als Hochschuldisziplin. 2. Konferenz der bibliothekswissenschaftlichen Hochschulen und Institute in den sozilalistischen Ländern. Berlin, 20.-26. Mai 1962*. Leipzig, 1963.
65. *Geschichte der Universität Jena*. Jena, 1958–62.
66. Gesner, Johann Matthias. "Ein Gutachten Johann Matthias Gesners über die Anforderungen des bibliothekarischen Berufs." Edited by Johannes Franke. *Beiträge zur Theorie und Praxis des Buch- und Bibliothekswesens* 2; Sammlung bibliothekswissenschaftlicher Arbeiten 8. 1895, pp. 98–104.
67. Gesner, Konrad. *Bibliotheca universalis Catalogus omnium scriptorum* . . . pt. 1 Zurich, 1545; *Pandectae sive Partitiones universales*. pt. 2 Zurich, 1548.
68. Graesel, Arnim. *Handbuch der Bibliothekslehre.* Leipzig, 1902.
69. Graesse, Johann Georg Theodor. *Lehrbuch einer allgemeinen Literärgeschichte.* Dresden, 1837–59.
70. Grand, Ernest Daniel. "Bibliographic." *La Grande Encyclopédie* 6 Paris, 1888, pp. 598–641.
71. Greg, Walter Wilson. "Bibliography, a Retrospect." *The Bibliographical Society. 1892–1942. Studies in Retrospect.* London, 1945, pp. 23–31.
72. ———. *Collected papers.* Oxford, 1966.
73. ———. "The function of bibliography in literary illustrated in a study of the text of 'King Lear'." *Neophilologus* 18 (1933), pp. 241–62.
74. ———. "What is bibliography?" *Transactions of the Bibliographical Society* 12 (1914), pp. 39–53.
75. Grégoire, Henri. *Rapport sur la bibliographie, présenté à la Conventionale le 22 Germinal An 2*, Paris an 2 (1794). Reprinted Paris, 1873.
76. Grundmann, Herbert. "Von der Notwendigkeit und Möglichkeit einer allgemeinen Buchwissenschaft," in *Wege zur Buchwissenschaft. Viktor Burr zur Vollendung des 60. Lebensjahres.* Edited by Otto Wenig. Bonn, 1966, pp. 403–44.
77. Grundtvig, Vilhelm. "Gedanken über Bibliographie." *Zentralblatt für Bibliothekswesen* 20 (1903), pp. 403–44.
78. Haebler, Konrad. *Handbuch der Inkunabelkunde.* 2d ed. Stuttgart, 1966.
79. Harrod, Leonard Montague. *The Librarian's Glossary*. 2d ed. London, 1959.
80. Hartwig, Otto. *Schema des Realkatalogs der Kgl. Universitätsbibliothek zu Halle a.d.S.* Leipzig, 1888. Zentralblatt für Bibliothekswesen, supplement 3.
81. Heil, Liselotte. "Buchkundliche Forschungsmethoden in ihrer

Anwendung auf die englische Literaturgeschichte." Cologne: Bibliothekar-Lehrinstitut des Landes Nordrhein-Westfalen, 1955. Typed research paper.
82. Heumann, Christoph August. *Conspectus rei publicae literariae*. Hannover, 1718. 5th ed. Hannover, 1740. 7th ed. Hannover, 1763.
83. Holzmann, Michael, and Bohatta, Hanns. *Deutsches Anonymen-Lexikon*. Weimar, 1902–28.
84. Horn, Ewald. "Was ist Bibliographie?" *Archiv für Bibliographie* 1, 1926, pp. 1–10.
85. Horne, Thomas Hartwell. *An Introduction to the Study of Bibliography*. London, 1814.
86. Hottinger, Johann Heinrich. *Bibliothecarius quadripartitus*. Zurich, 1664.
87. Jacob, Louis. *Bibliographia Parisina, hoc est Catalogus omnium librorum Parisiis annis 1643 et 1644 inclusive excussorum*. Paris, 1645.
88. Jugler, Johann Friedrich. *Bibliothecca Historiae Litterariae selecta, olim titulo Introductionis ad notitiam rei litterariae et usum bibliothecarum insignita, cuius primas lineas duxit B. G. Struvius*. Jena, 1754–63.
89. Kane, W. "Jean Garnier, Librarian." *Mid-America* 22 (1940), pp. 75–95; 191–222.
90. Kayser, Albrecht Christoph. *Über die Manipulation bei der Einrichtung einer Bibliothek*. Bayreuth. 1790.
91. Kern, Marie. *Daniel Georg Morhof*. Leipzig, 1928.
92. Kestner, Christian Wilhelm. *Bibliotheca medica*. Jena, 1746.
93. Klaiber, Ludwig. "Die französischen Bibliotheken seit der Renaissance," supplemented by Albert Kolb, in *Handbuch der Bibliothekswissenschaft*. Established by Fritz Milkau. 2d ed. by Georg Leyh. Vol. 3 *Geschichte der Bibliotheken*. Wiesbaden, 1955, pp. 682–880.
94. Kleemeier, Friedrich Johann. *Handbuch der Bibliographie*. Vienna, 1903.
95. Korpala, Józef. *Abriss der Geschichte der Bibliographie in Polen*. Translated by Hildegard Zimmermann. Leipzig, 1957.
96. Krabbe, Wilhelm. *Bibliographie: Ein Hilfsbuch für Bibliothekspraktikanten*. 5th ed. Leipzig, 1943; 6th ed. Hamburg, 1951.
97. Krieg, Michael Otto. "Jacob Friedrich Reimmann." *Das Antiquariat* 14 (1958), pp. 233–40.
98. Krüsicke, Johann Christoph. *Vindemmiarum litterariarum specimen* I. Hamburg, 1727.
99. Labbé, Philippe. "Bibliotheca bibliothecarum." In his *Nova bibliotheca mss. librorum*. Paris, 1653. Separate ed. Paris, 1664.
100. Lambeck (Lambecius), Peter. *Prodromus historiae litterariae*. Hamburg, 1659.
101. Lameere, Eugène, and Sury, Charles. "Les Ecoles du Livre et la création d'une Ecole du Livre à Bruxelles." *Bulletin de l'Institut international de bibliographie* 2 (1897), pp. 217–44.
102. Landau, Thomas. *Encyclopaedia of Librarianship*. 3d ed. London, 1966.
103. Langlois, Charles Victor. *Manuel de bibliographie historique*. Paris, 1896. 2d ed. Paris, 1901.

104. Lawätz, Heinrich Wilhelm. *Handbuch für Bücherfreunde und Bibliothekare.* Halle, 1788–93.
105. Lempicki, Sigmund von. *Geschichte der deutschen Literaturwissenschaft bis zum Ende des 18. Jahrhunderts.* Göttingen, 1920.
106. Leyh, Georg. "Besprechung von Schneider 'Handbuch der Bibliographie'." *Zentralblatt für Bibliothekswesen* 41 (1924), pp. 50–54.
107. Liliencron, Roches von. "Morhof, Daniel Georg." *Allgemeine Deutsche Biographie* 22, Leipzig, 1885, pp. 236–42.
108. *Livre du centenaire: École Nationale des Chartes.* Paris, 1921.
109. Ludwig, Christian Friedrich. *Einleitung in die Bücherkunde der praktischen Medizin.* Leipzig, 1806.
110. McKerrow, Ronald Brunles. *An Introduction to Bibliography for Literary Students.* Oxford, 1927.
111. ———. "Notes on bibliographical evidence for literary students and editors." *Transactions of the Bibliographical Society* 12 (1914), pp. 215–318.
112. Malclès, Louise-Noëlle. *La Bibliographie*, Que sais-je, 708. Paris, 1956. Citations are from this edition. 2d ed. (text revue et corrigé par l'auteur) in *Bibliographie de la France: Chronique.* 1960.
113. ———. *Cours de bibliographie.* Geneva, 1959.
114. ———. "Le fondateur de la bibliographie nationale en France, le R. P. Louis Jacob de Saint-Charles." *Mélanges Frantz Calot.* Paris, 1960, pp. 243–55.
115. ———. *Manuel de bibliographie.* Paris, 1963.
116. ———. *Les sources du travail bibliographique.* Geneva, 1950–58.
117. Marchand, Prosper. *Catalogus librorum Bibliothecae Domini Jochimi Faultrier.* Paris, 1709.
118. Martin, Gabriel. *Bibliotheca Bultelliana.* Paris, 1771.
119. Matthiae, Georg. "Project, wie eine öffentliche Bibliothec in die bequemste und gemeinnützigste Ordnung zu bringen." *Nützliche Sammlungen* 51–54. Hannover, 1755, columns 786–863.
120. Ménestrier, François Claude. *Bibliothèque curieuse et instructive* 1. Trévoux, 1704.
121. Meusel, Johann Georg. *Leitfaden zur Geschichte der Gelehrsamkeit.* Leipzig, 1799–1800.
122. Morhof, Daniel Georg. *Polyhistor.* 2d ed. Lübeck, 1714.
123. Mortet, Charles. "Le cours de bibliographie et de service des bibliothèques à l'École des Chartes." *Bibliothèque de l'École des Chartes* 81 (1920), pp. 76–96.
124. ———. "Leçon d'ouverture du cours de bibliographie et de service des bibliothèques, faite à l'École des Chartes le 8 décembre 1897." *Revue internationale de l'enseignment* 35 (1898), pp. 18–31.
125. Murray, David. *Bibliography.* Glasgow, 1917.
126. Murray, James A. H. *A New English Dictionary on Historical Principles* 1. Oxford, 1888.
127. Namur, Jean Pie. *Manuel du bibliothécaire.* Brussels, 1834.
128. ———. *Projet d'un nouveau système des connaissances humaines.* Brussels, 1839.
129. Naudé, Gabriel. *Advis pour dresser une bibliothèque.* 2d ed. Paris, 1644.

130. ——. *Bibliothecae Cordesianae Catalogus*. Paris, 1643.
131. ——. *Considerations politiques sur les coups d'état*. Rome, 1639. Reprint, n.p. 1667.
132. Née de la Rochelle, Jean François. *Catalogue des livres et estampes de la bibliothèque de feu M. Perrot*. Paris, 1776.
133. ——. "Discours sur la science bibliographique et les devoirs du bibliographe." In *Bibliographie instructive* by Debure, 10. Paris, 1782. Reprint, Paris, 1793.
134. *Notice sur l'École des Chartes*. 18th ed. Paris, 1968.
125. Otlet, Paul. *Traité de documentation*. Brussels, 1934.
136. Parent (l'Ainé). *Essai sur la bibliographie et sur les talents du bibliothècaire*. Paris, an 9 (1800/01).
137. Paulli, Simon. *Historia litteraria sive Dispositio librorum omnium facultatum ac artium . . . in usum philobiblorum congesta*. Strasbourg, 1671.
138. Paunel, Eugen. *Die Staatsbibliothek zu Berlin: 1661–1871*. Berlin, 1965.
139. Peignot, Gabriel. *Dictionnaire raisonné de bibliologie*. Paris, 1802–4.
140. ——. *Manuel bibliographique*. Paris, 1800.
141. ——. *Repertoire bibliographique universel, contenant la notice raisonnée des bibliographies spéciales*. Paris, 1812.
142. Petzholdt, Julius. *Bibliotheca bibliographica*. Leipzig, 1866.
143. Possevino, Antonio. *Bibliotheca selecta*. Rome, 1593.
144. Ranganathan, Shiyali Ramamrita. *Prolegomena to library Classification*. London, 1957.
145. Reimmann, Jakob Friedrich. *Bibliotheca historiae literariae critica eaque generalis, hoc est Catalogi Bibliothecae Reimmanianae systematico-criticae*. Pt. 2. Hildesheim, 1739.
146. ——. *Versuch einer Einleitung in di Historiam literariam sowohl insgemein als auch in die Historiam literariam derer Teutschen insonderheit*. Magdeburg, 1708–13.
147. Robert, Ulysse. *Recueil des lois, décrets . . . concernant les bibliothèques publiques*. Paris, 1883.
148. Šamurin, Evgenij Ivanovič. *Geschichte der bibliothekarisch-bibliographischen Klassifikation*. Translated by Willi Hoepp. Leipzig, 1964–68.
149. Schelhorn, Johann Georg, Jr. *Anleitung fur Bibliothekare und Archivare*. Ulm, 1788.
150. Scherer, Emil Clemens. *Geschichte und Kirchengeschichte an den deutschen Universitäten*. Freiburg, Br., 1927.
151. Schlegel, Friedrich. *Geschichte der alten und neuen Literatur*. Edited and with a foreword by Hans Eichner. Paderborn, 1961. Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe 6, 1.
152. Schmidt, Charles. "Un cours de bibliographie à la fin du XVIIIe siècle." *Le Bibliographe moderne* 13 (1899), pp. 125–27; 399–407.
153. Schmidt, Johann August Friedrich. *Handbuch der Bibliothekswissenschaft*. Weimar, 1840.
154. Schmidt, Wieland. "Die Wissenschaft vom Buch." In *Universitas litterarum*. Edited by Werner Schuder. Berlin, 1955, pp. 739–51.

155. Schneider, Georg. *Einführung in die Bibliographie*. Leipzig, 1936.
156. ———. *Handbuch der Bibliographie*. Leipzig, 1923. 3d, unaltered ed. Leipzig, 1926. 4th, completely new and enlarged ed. Leipzig, 1930.
157. ———. "Theorie und Geschichte der Bibliographie." In *Handbuch der Bibliothekswissenschaft*. Edited by Fritz Milkau. 1. Leipzig, 1931, pp. 828–49.
158. Schreiber, Heinrich. *Nachklänge zu Friedrich Adolf Eberts' Lehrbuch der Bibliographie*. Von einem späten Verehrer. n.p., 1936. Published anonymously.
159. Seizinger, Johann Georg. *Theorie und Praxis der Bibliothekswissenschaft*. Leipzig, 1863.
160. Simon, Konstantin Romanovič. *Istorija inostrannoj bibliografii*. Moscow, 1963.
161. ———. "Ob-ekt, celevoe naznačenie, metodika i formy bibliografii v ich istoriceskom razvitii." *Trudy Biblioteki Akademii nauk SSSR i Fundamental'noj biblioteki obščest vennych nauk AN SSR 5* (1961), pp. 7–23.
162. *Die Stadtbibliothek in Frankfurt am Main*. Edited by Friedrich Clemens Ebrard. Frankfurt am Main 1896.
163. Steffen, Christel. "Untersuchungen zum 'Liber de scriptoribus ecclesiasticis' des Johannes Trithemius." *Archiv für Geschichte des Buchwesens* 10 (1970).
164. Stein, Henri. "La bibliographie." *Grand Mémento encyclopédique Larousse* 1. Paris, 1936, p. 141.
165. ———. "Fragments d'une théorie générale de la bibliographie." *Le bibliographe moderne* 1 (1897), pp. 5–15.
166. ———. *Manuel de bibliographie generale. Bibliotheca bibliographica nova*. Paris, 1898.
167. Stock, Karl F. "Österreichische Bibliographen des 17. und 18. Jahrhunderts." *Archiv für Geschichte des Buchwesens* 9 (1968), columns 207–16.
168. Stoewasand, Rudolf. "Das Haus Debure, Larcher und der Cremer-Vermerk in der Gutenberg-Bibel." *Gutenberg-Jahrbuch* 1957, pp. 36–41.
169. Stolle, Gottlieb. *Anleitung zur historie der Gelahrtheit*. Jena, 1718, 4th ed. Jena 1736.
170. Struve, Burkhard Gotthelf. *Bibliotheca iuris selecta*. Jena, 1703.
171. ———. *Introductio ad notitiam rei litterariae et usum bibliothecarum*. Jena, 1704. 2d ed. Jena, 1706.
172. Sweertius, Franciscus. *Athenae Belgicae*. Antwerp, 1628.
173. *Sylloge aliquot scriptorum de bene ordinanda et ornada bibliotheca*. Edited by Johann David Koeler. Frankfurt am Main 1728.
174. Taylor, Archer. *Book Catalogues*. Chicago, 1957.
175. ———. *Catalogues of Rare Books: A Chapter in Bibliographical History*. University of Kansas Publications. Library series, 5. Lawrence, Kansas, 1958.
176. ———. *Renaissance Guides to Books*. Berkeley, Calif., 1945.
177. Thomasius, Christian. *Lustiger und ernsthaffter Monats-Gespräche anderer Theil . . . des 1688. Jahres*. Halle, 1688.
178. Totok, Wilhelm, Weitzel, Rolf, and Weimann, Karl-Heinz. *Handbuch*

der bibliographischen Nachschlagewerke. 3d ed. Frankfurt am Main, 1966.

179. Unger, Johann Georg. *De libris bibliothecarum nomine notatis.* Leipzig, 1734.

180. Van Hoesen, Bartlett, Henry, and Walter, Frank Keller. *Bibliography, Practical, Enumerative, Historical: An Introductory Manual.* New York, London, 1928.

181. Vogler, Valentin Heinrich. *Introductio universalis in notitiam cuiuscunque generis bonorum scriptorum.* Helmstedt, 1670.

182. Vorstius, Joris. *Ergebnisse und Fortschritte der Bibliographie in Deutschland seit dem Ersten Weltkrieg.* Zentralblatt für Bibliothekswesen, Supplement 74. Leipzig, 1948.

183. ——. *Grundzüge der Bibliotheksgeschichte.* 5th ed. Leipzig, 1954.

184. ——. "Zur Theorie der primären Nationalbibliographie." *Zentralblatt für Bibliothekswesen* 47 (1930), pp. 323–43.

185. Voss (Vossisus), Gerhard Johannes. *De philologia.* Amsterdam, 1650. 2d ed. Amsterdam, 1660. Citations are from the 2d edition.

186. Wachler, Ludwig. *Handbuch der allgemeinen Geschichte der literärisch Cultur.* 1 Marburg, 1804.

187. Wattenbach, Wilhelm. *Das Schriftwesen im Mittelalter.* 4th ed. Graz.

188. Wegner, Gottfried. *Biblidion de bibliothecis.* n.p. 1686. Published under the pseudonym Georg Finwetter.

189. Weitzel, Rolf. *Bibliographische Suchpraxis.* Stuttgart, 1962.

190. Wendel, Carl. "Das griechisch-römische Altertum." In *Handbuch der Bibliothekswissenschaft.* Established by Fritz Milkau. 2d ed. by Georg Leyh. 3 *Geschichte der Bibliotheken.* Wiesbaden, 1955, pp. 55–145.

191. Widmann, Hans. "Bibliographie." In *Handbuch der Bibliothekswissenschaft.* Established by Fritz Milkau. 2d ed. by Georg Leyh. 1. Wiesbaden, 1952, pp. 1006–46.

192. ——. "Herstellung und Vertrieb des Buches in der griechisch-römischen Welt." *Archiv für Geschichte des Buchwesens* 8 (1967), columns 545–640.

193. ——. "Leibniz und sein Plan zu einem Nucleus librarius." *Archiv für Geschichte des Buchwesens* 4 (1963), columns 621–36.

194. Wolff, Christian. *Die deutsche Logik: Vernünfftige Gedanken von den Kräften des menschlichen Verstandes.* 10th ed. Halle, 1740. Title of Latin edition: *Philosophia rationalis sive logica.* Frankfurt and Leipzig 1728 and later.

195. Zeltner, Hermann. "Philosophie als bibliographischer Begriff." In *Aus der Arbeit des Bibliothekars. Aufsatze und Abhandlungen, Fritz Redenbacher zum 60. Geburtstag dargebracht.* Erlangen, 1960, pp. 177–94.

196. Ziegler, Konrat. "Photios." In *Pauly's Realencyclopadie der classischen Altertumswissenschaft.* New ed. begun by George Wissowa. 39. Stuttgart, 1941, columns 667–737.

قائمة المحتويات

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

* * *